
السيد يوسف
الإخوان المسلمون:
هل هي صحوة إسلامية ؟
الجزء الثاني
حسن البنا
والبناء الفكري
Bibliotheca Alexandrina
0132953



الإخوان المسلمون :

هل هى صحوة إسلامية ؟

حسن البنا والبناء الفكرى

الكتاب : الإخوان المسلمون : هل هى صحوة إسلامية ؟

الجزء الثانى

حسن البنا والبناء الفكرى

المؤلف : السيد يوسف

الناشـر : مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

٤ ش ٩ ب المعادى ـ ت ٣٧٥٢٠٣٣

المدير العام ورئيس التحرير : أ. فريد زهران

الطبعة الأولى : ١٩٩٤

الغلاف للفنان : محمود الهندى

صف وتنفيذ : هشام صلاح

المراجعة : مصطفى عبادة

رقم الايداع : ١١٣٥٧ / ٩٤

حسن البنا والبناء الفكرى

آراء وجهود حسن البنا وراء نمو الجماعة

وسائل الاتصال الإعلامى
(رسائل – صحافة – مطبعة – محاضرات – اجتماعات – دعاة)

أشرنا سابقا إلى حرص حسن البنا على دفع فرقة الموسيقى إلى الأمام وما يعنيه ذلك من إدراك لدور الدعاية والإعلام فى نشر فكرته وتثبيت دعائمها .

ورغم أن حسن البنا يرفض الغرب ويرفض حضارته وكل منجزاته فقد نصح أتباعه بل وأغراهم على الأخذ بوسائله فى الدعاية فقد ذكرلهم أن فى الشرق والغرب اليوم دعوات ومبادىء وفكر ومذاهب وآراء ومنازع كلها تتقسم عقول الناس وتتنازع ألبابهم وكلها يزينه أهله ويقوم بالدعاية له أبناؤه وأتباعه وعشاقه ومريدوه ويدعون له من المزايا والمحاسن ويبالغون فى هذا الادعاء ما يبرزه للناس جميلا خلابا رائعا" .

وذكر أن الدعاة اليوم مثقفون مدربون "ولا سيما فى البلاد الغربية " وأن وسائل الدعاية تغيرت فبعد أن كانت خطبة أو اجتماع أو كلمة أصبحت " نشرات ومجلات وجرائد ورسالات ومسارح وخيالات وحاك ومذياع وقد ذلل ذلك كله الوصول إلى قلوب الناس جميعهم نساء ورجالا فى بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم"

ودعا اتباعه إلى الاستفادة من هذه الوسائل والأخذ بها " لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسائل جميعا حتى يأتى عملهم بثمرته المطلوبة " (١)

الرسائل : وضرب لهم بنفسه المثل والقدوة فى الاستفادة من وسائل الغرب فى الدعاية فكانت أولى النشرات التى أصدرها هى نشر القانون الأساسى للإخوان المسلمين واللائحة الداخلية (٢) ثم أصدر رسالة المرشد العام وصدر منها عددان الأول بتاريخ ٢٠ شعبان ١٣٥١ تقريبا الموافق ١٩ ديسمبر ١٩٣٢ والثاني بتاريخ ٥ رمضان ١٣٥١ الموافق ٢يناير ١٩٣٣ .

و فى هاتين الرسالتين حدد أهداف ومبادىء الإخوان المسلمين ومنها.

١ – سلامة الاعتقاد والاجتهاد فى طاعة الله تبارك وتعالى وفق الكتاب والسنة

٢ – الحب فى الله والاعتصام بالوحدة الإسلامية .

٣ – التأدب بأدب الإسلام الحنيف .

٤- تربية النفس والترقى بها إلى معرفة الله تعالى وإيثار الآخرة على الدنيا .
٥- الثبات على المبدأ والوفاء بالعهد مع اعتقاد أن أقدس المبادىء هو "الدين".
٦- الاجتهاد فى نشر الدعوة الإسلامية بين طبقات الأمة ابتغاء وجه الله .
٧- حب الحق والخير أكثر من أى شىء فى الوجود (٣) .

ويلاحظ أن هذه مجرد أهداف دينية أخلاقية عامة ومبهمة ، وبعيدة عن التحديد ، والتأثير الصوفى فيها واضح ، ولم تشتمل على الأهداف السياسية . أو القضايا الاجتماعية التى خاض الاخوان غمارها بعد ذلك ، ورغم ذلك كان حسن البنا يرى هذه المبادىء والأهداف مبهمة عند كل الأحزاب السياسية والزعماء الدينيين والجمعيات الإسلامية القائمة حينئذ (٤) .

وقد صدرت بعد ذلك رسائل ونشرات منها ما يخص أعمال الإخوان الاجتماعية ومنها ماهو شرح لأهداف دعوتهم ومنها ماهو موجه للحكومات لمطالبتها بالأخذ بتعاليم الإسلام ومن هذه الرسائل : نحو النور ، دعوتنا ، إلى أى شىء ندعو الناس - المأثورات ، إلى الشباب ، محاضرة الثلاثاء ورسالة الجهاد (٥) .

وكانت المطبعة الصغيرة التى أسسها البنا بعد المؤتمر الثانى مستمرة فى طبع رسائل الإخوان وقد نمت هذه المطبعة حتى أصبحت من أهم المشروعات الاقتصادية للجماعة .

صحافة الجماعة

مجلة "الإخوان المسلمون" :

وبناء على قرار من الإخوان صدر العدد الأول من مجلة "الإخوان المسلمون" بتاريخ الخميس ٢٨ صفر ١٣٥٢ وذلك يوافق أواخر شهر مايو ١٩٣٣ إذ كان التاريخ فى صدر أعدادها قاصرا على الهجرى فقط وكانت المجلة أسبوعية وذات طابع ثقافى .

ومن رواية حسن البنا لقصة إنشاء هذه المجلة تبرز لنا جرأته الشديدة وإصراره وإيمانه بقدرته على تحقيق هدفه فلم يكن بخزينة الإخوان بالقاهرة رصيد ما فأخذ حسن البنا جنيهين سلفة كانا فى جيب الشيخ رضوان محمد رضوان "ليكونا هما رأس مال هذه المجلة وقد كان ، وحملت الجنيهين

وذهبت بكل بساطة وإيمان إلى المكتبة السلفية وهناك تفاهمت مع السيد محب الدين الخطيب .. أن يكون مديرا للمجلة ولكن تطبع بالسلفية وأن يكون الجنيهان دفعة أولى وما بقى بعد ذلك فعلى الله وابتسم الرجل المؤمن المجاهد المحبوب ووافق على ذلك هو الآخر بكل بساطة وإيمان فصدر التصريح وبدأ الطبع فظهرت جريدة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية (٦) .

وكان حسن البنا يقوم بتحرير أغلب مواد الأعداد الأولى باسمه وبأسماء مستعارة أو بلا توقيع وقد حملت المجلة " فى ترويستها "شعار " صوت الحق والقوة والحرية "وكان أول مدير لها محب الدين الخطيب ويرأس تحريرها الشيخ طنطاوى جوهرى وكان الإخوان بحارة نافع رقم ٣٠ بعطفة عبدالله بك بالسروجية بالقاهرة – وهو العنوان الذى انتقلت إليه الجريدة من الإدارة القديمة – يقومون بتغليفها وتوزيعها ونشرها .

وقد عاشت هذه المجلة أربع سنوات كاملة ثم خرجت هى وصاحب امتيازها من إطار الجماعة بعد أن حاول استغلالها لصالح أهدافه فطردته الجماعة ومعه الجريدة التى سميت بعد ذلك باسم " الخلود " ويشرح حسن البنا قصة النهاية لهذه المجلة فيقول " وحدث أن تسلل إلى التحرير أحد الذين يجيدون السبك والخديعة ونمسك عن ذكر اسمه (٧) الآن فأراد أن يتخذ من جريدة الإخوان الأسبوعية الطهور سبيلا الى مآربه ولكن الدعوة التى تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد نفته وأقصته إقصاء لارجعة بعده , ولكنها فى سبيل هذا الإقصاء فقدت ترخيص هذه الجريدة معه على أن يسميها باسم آخر فاختار لها اسما " الخلود " قضى الله عليها بالفناء فلم يصدر منها إلا عدد أو عددان وانتهى أمرها" (٨) .

النذير :

بعد أن فقدت الجماعة مجلة " الإخوان المسلمون " استصدروا رخصة أخرى بمجلة "النذير " صاحب امتيازها ومديرها محمود أبو زيد عثمان المحامى ورئيس تحريرها صالح مصطفى عشماوى وكانت أسبوعية سياسية وصدر العدد الأول منها بتاريخ الاثنين ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧ ويوافق مايو ١٩٣٨ وكان صدور هذه المجلة بمثابة إعلان لدخول الإخوان لمرحلتهم الثانية بعد مرور حوالى عشر سنوات على تأسيس أول شعبهم ، وابتداء اشتراكهم العلنى فى العمل السياسى فى الداخل والخارج وقد أعلن حسن البنا أن الإخوان المسلمين قد اقتحموا ميدان السياسة فى مقاله الافتتاحى بالعدد

الأول بعنوان :"خطوتنا الثانية : إلى الأمام دائما الدعوة الخاصة بعد الدعوة العامة ، أيها الإخوان تجهزوا" وقد ذكر فى هذا المقال أن " الإسلام عبادة وقيادة ودين ودولة وروحانية وعمل وصلاة وجهاد وطاعة وحكم ومصحف وسيف لا ينفك واحد من هذين عن الآخر " وإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن "

وتحدث فى هذا المقال أيضا عن حالة مصر يوم ظهرت الدعوة وكيف أن الإخوان لم يزجوا بأنفسهم فى هذه الميادين وانصرفوا إلى ميدان تربية الأمة وأشار إلى نجاحهم فى ذلك حتى أصبح لهم ٣٠٠ شعبة ثم يقول الآن حان وقت العمل وأن الخطوة الثانية التوجة إلى دعوة الخاصة ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال .... إلى الآن أيها الإخوان لم تخاصموا حزبا .. كان ذلك موقفكم أيها الإخوان سلبيا ... أما اليوم فلن يكون كذلك ستخاصمون هؤلاء جميعا فى الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم ... ولسنا فى ذلك نخالف خطتنا ... ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءا من الدين "

ثم تحدث بعد ذلك عما يتوقعة من اضطهاد (٩) .

وقد استمرت النذير تنطق باسم الإخوان لمدة تقل عن العامين ، ثم انشق صاحب امتيازها ومعه عدد آخر ليكونوا " شباب محمد" وتصدر المجلة فى عامها الثالث باسم شباب محمد فى أول محرم ١٣٥٩ هجرية الموافق ٩ فبراير ١٩٤٠ وفيها بصفحات ٣،٢ مقال موقع من ١٨ شخصية بعنوان " غضبة فى سبيل الله "!! موقفنا النهائى من جمعية" الإخوان المسلمين "ويصدر العدد الثانى أيضا فى ٨ محرم ١٣٥٩ هجرية ١٦ فبراير ١٩٤٠ السنة الثالثة وبه مقال بعنوان " سلم الاستبداد بين الأمس واليوم – حول نظرية التفويض الإلهى فى الإمامة والحكم " بقلم محمد حسين أبو سالم ص١ وفيه يهاجم الأستاذ حسن البنا وفى نفس العدد باب بعنوان " مواكب المجاهدين استقالات وتأييد لشباب محمد " ص٤ .

وفى العدد الثالث بتاريخ ١٦ محرم ١٣٥٩ – ٢٤ فبراير ١٩٤٠ السنة الثالثة مقال باسم الهيئة العامة لشباب محمد ، القاهرة فى المحرم ١٣٥٩ هجرية بعنوان " البيان الأخير : تشويه الحقائق فى بيان الإخوان المسلمين "

استئجار مجلات أخرى :

بعد أن فقد الإخوان مجلة النذير فى أعقاب هذا الانشقاق - مع ملاحظة أن المجلة السابقة فقدت أيضا فى انشقاق فردى - لم يعد للإخوان مجلة يملكون امتيازها وتعبر عن جماعتهم فاستأجروا مجلات أخرى كان أصحابها قد استصدروها ليؤجروها لغيرهم ، واستمر حال الإخوان هكذا لعدة سنوات وكلما صودرت واحدة استأجروا أخرى ومن هذه المجلات النضال والمباحث والتعارف .

مجلة المنار :

كان السيد محمد رشيد رضا قد أصدر مجلة المنار منذ ١٨٩٨ بدعم ومساندة الشيخ محمد عبده وكانت تعتمد فى الأساس على ما يكتبه الشيخ محمد عبده ومايصرح به فى محاضراته أو خطبه أو فتاويه وخاصة تفسيره للقرآن الكريم وبعد وفاة الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥ استمر الشيخ رشيد رضا فى استكمال نشر الأجزاء التى فسرها الشيخ محمد عبده وهى حوالى خمسة أجزاء وتابع محمد رشيد رضا تفسير الأجزاء التالية ولكنه لم يستطع أن يرقى إلى مستوى اجتهاد أستاذه الذى كان يلقى أضواء جديدة ومفاهيم جديدة فى تفسيره أما الشيخ رشيد رضا فقد التزم المنهج السلفى النصوصى الذى تربى عليه فى سوريا ثم عاد إليه بعد موت الأستاذ الإمام محمد عبده ، فى هذا التفسير أخذ يلملم من هنا ومن هناك من مختلف التفسيرات السابقة وقد وصل فى تفسيره إلى سورة هود وتوفى الشيخ محمد رشيد رضا فى مساء الخميس ٢٣ من جمادى الأول ١٣٥٤ هجرية الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٣٥ وكان قد وصل فى إصدار المنار إلى الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين والصادر فى ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٤ أول يوليو ١٩٣٥ ثم توقفت عن الصدور ثم أستأنفت نشاطها فأصدر الورثة من هذا المجلد الأعداد : الثانى ويبدو أن مادتة كانت معدة قبل وفاة رشيد رضا والثالث والرابع عامى ١٩٣٥، ١٩٣٦ وقام العالم السلفى السورى الشيخ محمد بهجت البيطار ليتابع تفسير القرآن الكريم فأتم تفسير سورة يوسف ثم ، توقفت المجلة عن الصدور. وعزم الإخوان على مواصلة إصدارها فاتفقوا مع الورثة وصدر العدد الخامس من المجلد الخامس والثلاثين فى غرة جمادى الآخر ١٣٥٨ الموافق ١٨ يوليو ١٩٣٩ وتلاه خمسة أعداد أخرى تم بها هذا المجلد وكان صاحب الامتياز السيد محمد شفيع رضا أحد الورثة ورئيس التحرير لهذه

الأعداد الستة الأستاذ حسن البنا الذى صار يحرر أكثر مافيها بقلمه وأصبحت تعبر عن جماعة الإخوان المسلمين وبدأ حسن البنا فى التفسير حيث انتهى سلفه فبدأ بتفسير سورة "الرعد".

وقد كتب حسن البنا فى الجزء الخامس بعد أن تولى رئاسة تحريرها مقالا بعنوان " افتتاح فى الميدان من جديد" أثنى فيه على رشيد رضا وذكر أن رشيد رضا كان يأمل أن يجعل من المنار فى عامها الخامس والثلاثين لسانا يعبر عن جماعة تخلف جماعة الدعوة والإرشاد وهى مدرسة تربية الدعاة التى كان قد كونها عام ١٩١١ وتوقفت - فقد كتب رشيد رضا فى فاتحة المجلد الخامس والثلاثين ما نصه " سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الإسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والإرشاد فى أعلى مقصديها " وتمنى أن يشد الأزهر أزر هذه الجماعة وتشد أزره فيكون من تعاونهما الخير الكثير ويذكر حسن البنا أن الله قد استجاب لأمنية رشيد رضا فقامت جماعة الإخوان المسلمين بإصدار المنار وتحريرها بواسطة نخبة من أعضائها لتنطق بلسانها (١٠) .

وقد كتب الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر تصديرا لهذا العدد الخامس بمناسبة عودة المجلة للظهور حلل فيه مجلة المنار والدور الذى كانت تقوم به وأثنى على رشيد رضا وأن وفاته خسارة كبيرة وأن احتجاب المنار خطب فادح وأنه لايوجد فيما أعلم الأن ذلك الرجل الذى له من السعة فى الاطلاع وحسن التدبير وحكمة الرأى وقوة الإدراك فى السياسة الشرعية ما يضارع به المرحوم السيد رشيد .

ويعبر عن سروره بإعادة الأستاذ البنا لإصدار المنار فهو "رجل مسلم غيور على دينه ويفهم الوسط الذى يعيش فيه ويعرف مواضع الداء فى جسم الأمة الإسلامية ويفقه أسرار الإسلام وقد اتصل بالناس اتصالا وثيقا على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالإصلاح الدينى والاجتماعى على الطريقة التى كان يرضاها سلف هذه الأمة " وتمنى لحسن البنا التوفيق (١١) وقد توقفت المنار " عند العدد العاشر من المجلد ٣٥ والصادر فى شعبان ١٣٥٩ سبتمبر ١٩٤٠ حيث صدر بعدها أمر الحاكم العسكرى فى حكومة حسين سرى باشا بإلغاء ترخيص المجلة .

مجلة "الإخوان المسلمون" مرة أخرى :

وفى مصالحة بين الوفد والإخوان وفى مساومة بين المرشد العام والنحاس باشا رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وزعيم حزب الوفد تنازل المرشد عن ترشيح نفسه فى الاسماعيلية لمجلس النواب مقابل السماح له بمزاولة نشاط الجماعة داخل الشعب والتصريح للاخوان باصدار مجلة "الإخوان المسلمون " الاسبوعية بدءا من السبت ٢٤ شعبان ١٣٦١ هجرية الموافق ٢٩ من أغسطس ١٩٤٢ وكانت ثقافية سياسية توزع داخل شعب الاخوان وصدرت فى بداية الأمر كل أسبوعين وكان رئيس تحريرها صالح عشماوى واستمرت فى الصدور حتى صودرت مع حلهم فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ (١٢) .

جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية :

أنشا الاخوان المسلمون شركتين مساهمتين هما شركة الإخوان للطباعة ورأس مالها سبعون ألفا وشركة الإخوان للصحافة برأس مال قدرة خمسون ألفا علــى أن تساهم الجريدة فى المطبعة بمبلغ عشرين ألفا وهذه المبالغ قابلة للزيادة وقيمة السهم الواحد أربعة جنيهات تسدد دفعة واحدة أو ربعها أولا والباقى على أقساط تتراوح بين ثلاثة وستة والمساهمة مطلوبة من الإخوان ومن الهيئات الإسلامية ومن الأفراد والجماعات.

وقد استنفر حسن البنا الأعضاء للمساهمة فى هذين المشروعين بمقالة له بمجلة " الإخوان المسلمون " الأسبوعية تحت عنوان " أيها الاخوان مشروعكم الثانى " ويشير بالمشروع الأول إلى شراء الدار الجديدة بالحلمية الجديدة وبالمشروع الثانى الجريدة اليومية والمطبعة الإسلامية . يقول حسن البنا : قد انتهت حرب الحسام .. وبقيت حرب المبادىء والآراء وبقى دور المطبعة والإذاعة ومعركة الأوراق والصحف ، وها أنتم تشهدون هذا السيل الجارف من المطبوعات والجرائد والمجلات تحمل مختلف الآراء والتوجيهات وتغزو العقول والأفكار بمختلف الدعايات ، والاحتلال العقلى أشد فعلا فى حياة الأمم من الاحتلال العسكرى والاستعمار الفكرى أبقى أثرا من الاستعمار السياسى " (١٣) .

وصدر العدد الأول من جريدة "الإخوان المسلمون " اليومية يوم الأحد ٣ جمادى الثانى ١٣٦٥ هجرية الموافق ٥ مايو ١٩٤٦ وكان مدير الادارة

والسياسة أحمد السكرى ورئيس التحرير المسئول زكريا خورشيد فلما اختلف أحمد السكرى مع البنا تولى رئاستها صالح عشماوى .

وقد ثارت الأقاويل حول التصريح بإصدار هذه الجريدة فى الوقت الذى ألغيت فيه تصاريح عدد كبير من الصحف والمجلات التى كانت تصدرها هيئات وطنية وديمقرطية وتقدمية وعمالية وفى الوقت الذى ألقى فيه الدكتاتور صدقى باشا الرجل الحديدى للقصر وللانجليز بمئات من الوطنيين والديمقراطيين والنقابيين والتقدميين والشيوعيين وراء القضبان وقدم المئات منهم أمام المحاكم فى قضايا الرأى وأصدر القوانين التى تجرم كثيرا من الآراء والأفكار .

ولقد وجهت الاتهامات للإخوان بالاتفاق مع صدقى باشا والتآمر معه والحصول على مساعدات مالية وعينية وتسهيلات دعائية منها الترخيص بالجريدة والسماح لها وللجماعة بحرية الحركة وتوفير ما تحتاجه من الأوراق وغير ذلك من المساعدات الأخرى ، وإذا صرفنا النظر عن كل هذه الاتهامات فالواقع أن الجريدة ساندت صدقى باشا فى حملته ضد معارضيه وضد القوى الوطنية والتقدمية والنقابية ومعاداته للحريات والديمقراطية بل وعبرت عن شماتتها فى القوى الوطنية وساعدت أجهزة الجماعة من جوالة وجهاز سرى فى إرشاد الحكومة ومدها بالمعلومات ضد معارضيها . وقد استمرت هذه الجريدة فى الصدور حتى حلت الجماعة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ وقد صدر منها حوالى ٧٩٤ عددا آخرها فى ٣ ديسمبر ١٩٤٨ وهو آخر المجلد الأخير منها . ويذكر أحد أقطاب الإخوان أن هذه الجريدة قد وقعت فى عديد من الأخطاء التى سببت لها المتاعب (١٤) .

كما أشار إلى هذه الأخطاء والمتاعب الأستاذ أحمد السكرى فى بياناته التى ردبها على إقالته من عضوية الجماعة ولكنه نسب هذه الأخطاء والمتاعب إلى تكرار تدخل حسن البنا فى إدارة الجريدة وسياستها .

ولقد اعترف الشيخ حسن البنا بالمتاعب التى جلبتها الجريدة للإخوان فى مقال له بهذه الجريدة بمناسبة مرور عامين على صدورها تحت عنوان : " مشرق الشمس " تحدث فيه عن أهداف الجريدة وأن هذه الأهداف مازالت كما كانت " محاربة الإلحاد والإباحية ومكافحة الظلم الاجتماعى ومقاومة الصهيونية الباغية ، والاستعمار البغيض" . كما تحدث عن المتاعب التى جلبتها هذه الجريدة فقال: ولقد جرت هذه الصحيفة على هيئة الإخوان المسلمين ودعوتهم عناء كثيرا وتعبا أليما .. من الناحيتين المادية والأدبية ..

فكل كلمة تكتب فى صحيفة الإخوان تحاسب عليها الهيئة وتسأل عنها الدعوة ... وعبثا نحاول أن نفهم الناس أن الجريدة شىء والدعوة شىء آخر وأن القائمين على الدعوة محال أن يراجعوا كل ما يكتب فى الجريدة ، أو يدققوا فى كل كلمة تنشرها أو خبر تطلع به "

ثم يشكو من الخلافات الداخلية والانشقاقات والتمردات ضده من بعض العناصر القيادية وبشكل خاص من خلافاته مع أحمد السكرى فيقول "ولقد واجهت القائمين بأمر هذه الجريدة من رجال الدعوة والشركة تلك العقبة الخالدة التى تعترض كل القائمين بعظائم الأمور وجلائل الأعمال والتى شكا منها عمر وعلى من قبل (ضعف الأمين وخباثة القوى)".

وعن الشكوك والاتهامات التى أحاطت بالجريدة محاولا دفعها ونفيها يقول : وعجب الناس من صمود جريدة "الإخوان المسلمون" عامين كاملين على شدة العواصف وقوة الزعازع وتراكم الأنواء واختلاف الأهواء وشدة البلاء ، وظن الكثيرون بها الظنون ، فمن قائل إنها المصروفات السرية تتوالى أقساطها ، ومن قائل بل إعانات الدول الأجنبية تترادف هباتها ، ومن قائل بل هى أموال جهات عليا تندى أكفها ، إلى غير ذلك من المزاعم والافتراضات حتى ذهب بعضهم إلى تحديد عدد الآلاف والمئات ... والإخوان يسمعون ويبتسمون لأنهم يعرفون تمام المعرفة أنها عصارة كدهم وبقية أموالهم ، وبعض أقواتهم ... وما رأيت كالإخوان جماعة ينطبق عليها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأنصار (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع) (١٥) .

مجلة الكشكول الجديد :

أنشأ الإخوان هذه المجلة بناء على اقتراح بعض الأعضاء على أن تكون أسبوعية تتولى الرد على الوفد والشيوعيين ومهاجمتهم . ولم يعلن عن الكشكول الجديد على أنه من صحافة الإخوان ولكن الإخوان هم الذين أنشأوها ومولوها وقام عليها محمود عساف وأمين اسماعيل بعد أن قدما استقالتهما من الجماعة ، ومن أمثلة ما كانت تنشره الكشكول باب بعنوان "دائرة المعارف الوفدية" بدأت بحرب الألف وأذكر منها شرحا لكلمة "أب" جاء بها " أبوك معروف لك طبعا ويقال للوفديين ملعون أبوكم .... وليست الوزارة ميراثا عن أبيكم .. الخ وصفحة أخرى بعنوان " مجلس نوابهم فى المنام " يتولى كاتبها بأسلوب تهكمى ساخر تأليف جلسات هزلية لمناقشاتهم فى مجلس النواب

وهكذا كانت تتحدث عن مصطفى النحاس وسليمان غنام وفؤاد سراج الدين بعبارات نحاس الوفد وغنام الوفد وسراج دين الوفد ، وبالرغم من قوة المجلة فى تحريرها وإغراقها فى الفكاهة فقد توقفت بعد قليل بسبب استنكار الإخوان أنفسهم لأسلوبها .

الشهاب :

وهى مجلة شهرية إسلامية ثقافية بحتة أصدرها حسن البنا فى نوفمبر سنه ١٩٤٧ وكان صاحب امتيازها ومديرها ورئيس تحريرها حسن البنا وقد صدرت على غرار مجلة " المنار " وبديلا لها وكان البنا قد استقال من عمله كمدرس وتفرغ للدعوة منذ صدور جريدة "الإخوان المسلمون" فى مايو سنه ١٩٤٦ وقد أراد أن يكون له مورد خاص فأصدر مجلة الشهاب وخصص لنفسه راتبا شهريا منها وقد صدر من هذه المجلة عدة أعداد فى سنه ١٩٤٨ ولم تكن تباع ولكنها اعتمدت فى توزيعها على الاشتراكات ثم أصابتها الجائحة فانقطعت عن الصدور بحل الإخوان المسلمين .

وقد أصدرت الجماعة فى فترة الشهاب مجلة طلابية ولكن أصابها ما أصاب غيرها فتوقفت أيضا .

المطبعة :

أدرك حسن البنا منذ البداية أهمية المطبعة وأنها من ألزم وسائل الدعوات وأنه كان يتمنى أن تتاح له فرصة اقتناء مطبعة وقد أشرنا إلى أن المؤتمر الثانى قد اتخذ قرارا بتكوين شركة صغيرة لإنشاء مطبعة للإخوان .

ويذكر أحد قادة الإخوان أن المرشد العام انتهز فرصة زيارة شخص له على معرفة قديمة به وله دراية بفن الطباعة ويحتاج إلى عمل يكتسب منه لسوء حالته وهو الأستاذ أحمد السراوى وأراد أن يستفيد من ميزاته فاستأجر له محلا واشترى له مطبعة وورقا وحرر بثمن ذلك كله كمبيالات بضمانة الأستاذ المرشد واختار له كتابا يعيد طبعه على ورق مصقول أبيض وهو كتاب " إحياء علوم الدين " وأخرج عدة أجزاء منه ثم اختفى السراوى فجأة وقد اضطر الأستاذ المرشد إلى تسديد ثمن كل هذه الأشياء ولم يفرط فى أدوات الطباعة إلا بالقدر الذى عجز عن سداد ثمنه واستبقى منها أكبر قدر يمكن استبقاؤه حيث أبقى على الحروف التى أفادت الجماعة بعد ذلك (١٦) .

وقد كانت هذه الحروف هي أساس المطبعة التي أنشأها الإخوان وطبعوا من خلالها مجلاتهم ورسائلهم ونشراتهم وكانت المطبعة في بداية الأمر مرتبطة بإدارة الجماعة وبمقراتها ثم استقلت بعد ذلك في المكان فانتقلت إلى مقر خاص بها بعطفة الرسام رقم ٧ بالغورية بجوار مسجد الفكهاني بالقاهرة (١٧) ثم استقلت بعد ذلك إداريا وانتقل مكانها إلى الغورية وصارت مستعدة لطبع ما يطلب منها من كتب أو أشغال تجارية أو تجليد أو أكلشيهات وتم ذلك بقرار من مكتب الإرشاد بنشرة صادرة بتارخ ٤ ربيع الأول ١٣٥٦هجرية (١٨) وقد تطورت المطبعة تطورا كبيرا حين بدأ الإخوان يستعدون لاصدار جريدة يومية ومع اتساع نشاطهم وتضخم عضويتهم تكونت شركة مساهمة للطباعة برأس مال قدره سبعون ألفا من الجنيهات وذلك في سنه ١٩٤٥ . ولاستنفار أعضاء الجماعة واستثارة حماسهم للاشتراك في أسهم هذه الشركة كتب حسن البنا مقالا بعنوان " أيها الاخوان مشروعكم الثاني " بمجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية فقال " قد انتهت حرب الحسام .. وبقيت حرب المبادىء والآراء وبقي دور المطبعة والإذاعة ومعركة الأوراق - والصحف وهأنتم تشهدون هذا السيل الجارف من المطبوعات والجرائد والمجلات تحمل مختلف الآراء والتوجيهات وتغزو العقول والأفكار بمختلف الدعايات والاحتلال العقلي أشد فعلا في حياة الأمم من الاحتلال العسكري والاستعمار الفكري أبقى أثرا من الاستعمار السياسي "

وقد دعا الأعضاء إلى شراء أسهم شركة الطباعة وشركة الصحافة وذكر أن قيمة السهم الواحد أربعة جنيهات وتسدد القيمة دفعة واحدة أو يسدد ربعها أولا والباقي على أقساط تتراوح بين ثلاثة أقساط وستة أقساط والمساهمة مطلوبة من الإخوان ومن الهيئات الإسلامية ومن الأفراد والجماعات (١٩) .

المحاضرات والاجتماعات

كانت المحاضرات من الوسائل الأساسية في نشر دعوة الإخوان بل لقد بدأت الدعوة بالخطابة والمحاضرات والدروس التي كان حسن البنا وزملاؤه يلقونها في المساجد والمقاهي في البداية ثم امتدت الى شعب الجماعة ومركزها العام بعد تأسيسها وكان المسجد في البداية - واستمر ذلك على امتداد تاريخ الجماعة - هو المنصة الأكثر نفعا لما له من هيبة ووقار ، وكان مسرح التجنيد الأساسي للجماعة حيث يتجمع فيه بشكل طبيعي وتلقائي

جماهير المسلمين وهم على استعداد فطرى لأى وعظ أو توجيه دينى خاصة الشباب وكانت المحاضرات خلال الأيام الأولى لنشر الدعوة فى القاهرة أو الاسماعيلية تتناول موضوعات دينية وأخلاقية ، وكان حسن البنا هو المتحدث فى أغلب الأحيان وهو الشخصية الرئيسية وراء المحاضرات والدروس والخطابة ، وحين نمت الجماعة واتسع نشاطها بدأت موضوعات المحاضرات تتنوع فشملت تاريخ الإسلام ودور مصر فى نشره ، وتناولت القضايا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتاريخ حركة الإخوان هذا عدا شرح وتفسير آيات من القرآن الكريم والتعرض لبعض الأحاديث التى لها علاقة بالأحداث بالشرح والتفسير , وقد كانت أحاديث الثلاثاء التى بدأت من عام ١٩٣٩ بالمركز العام فى لبها تدور حول هذه الموضوعات وكانت القضايا السياسية والاجتماعية تعرض فى صيغ عامة فى حياة حسن البنا كما كانت القضايا الدينية تعرض بعيدا عن مواطن الخلافات وكان هدف حسن البنا من ذلك ألايتعرض للتفاصيل حتى يجمع حوله أكبر عدد من الناس وحتى لا يغرق فى الجزئيات التى قد تثير من الخلافات والشقاق أكثر مما تفيد فى التجمع والوحدة ويسجل " ميتشل " هذه الملاحظة حين يذكر أنه فى عام ١٩٥١ حدث تغير ملحوظ فى اللهجة والتركيز (فقضية الاسلام هى القضية الأساسية إلا أن طريقة عرضها اختلفت) وغدت أكثر تحديدا فالصيغ العامة التى كانت تشكل لب دعوة حسن البنا لم تعد تقنع الأعضاء الأمر الذى اقتضى نظرة علمية واعية لمشكلة الإسلام فبدأ قسم نشر الدعوة فى الاستفادة من أعضائة المهنيين فى مجالات القانون والاقتصاد والمجتمع والتربية والكيمياء والهندسة وعالم الحيوان . كذلك كان لموت حسن البنا بجانب الصراع الداخلى .. أثر كبير فى التطور الذى طرأ على الجماعة ، فالشخصية القوية التى استطاعت إنشاء الجماعة بنجاح كانت هى نفس الشخصية التى حدت من إمكانيات الجماعة فى النمو . وباختفاء شخصية البنا أصبح لزاما على الجماعة أن تلتفت إلى مثقفيها بحثا عن إجابة للتحديات المتزايدة التى تواجهها من خارج صفوفها فحلت المادة العلمية محل الشعارات وأصبح لها الأولوية (٢٠) .

الـــدعــــــاة

جماعة الإخوان المسلمين حركة مؤسسة على دعوة ولابد للدعوة من رجال يذيعونها بين الناس ويقنعونهم بها ومن هنا كان لابد لهؤلاء الدعاة من

إعداد وتدريب يؤهلهم لهذه المهمة . وبما أنها دعوة سياسية دينية وكانت المساجد هى المنابر التى تنطلق منها الدعوة للإعلان والاقناع . لذلك كانت الخطابة أهم وسيلة للجماعة للاتصال بالناس وتجييشهم لحساب الدعوة ، وكان لحسن البنا قدرات أسطورية فى الخطابة والحديث لذلك كان له أبلغ الأثر فى النمو السريع للجماعة وكان يعتبر الخطابة مؤهلا أساسيا لترقى العضو فى مناصب الجماعة ، وشرطا ضروريا ، وكان الداعية فى حاجة إلى قدرات خاصة من قوة الشخصية والثقافة الواسعة التى تحيط بالأمور الدينية وما يدور فى الدنيا من أحداث محلية وعالمية وما يموج فيها من مذاهب وتيارات علاوة على التحلى بالأخلاق الفاضلة والقدرة على الوصول إلى الناس والتأثير فيهم سواء بالاتصالات الفردية أو المواجهات العامة ومع ذلك فقد كان التركيز فى التدريب على العلوم الدينية البحتة فى حياة حسن البنا أما بعد ذلك فقد احتاجت الخطابة إلى القدرة على إدخال العلوم الحديثة والعلمانية فى الخطب من هنا اقتضت الظروف أن يضع حسن البنا البرامج التدريبية والمناهج التى تشرح رؤيته للإسلام وتحدد نوعية المعارف والكتب الجديرة بالدراسة وسبل التطبيق العملى لما يدرس واستطاع بذلك أن ينشىء مدرسة للخطابة وأن يصنع جيلا من الخطباء .

وقد نظم حسن البنا عام ١٩٣٨ فصولا صيفية للدعوة والإرشاد وتولى إدارتها بنفسه ، كما أثنى على كتاب ألفه أحد الإخوان القدامى تناول فيه ما يحتاجه الداعية من توجيهات وفرق بين الداعية والخطيب العادى ووضح أساليب العمل وموضوعات خطب الدعاة ووسائل الاتصال الممكنه وقد استند المؤلف فى دراسته هذه على القرآن الكريم والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى (٢١) .

وكان حسن البنا فى سبيل تكون كوادر من الدعاة ينتقى الأعضاء الذين يقوم بتدريبهم لهذه المهمة من بين طلبة الجامعة والموظفين من ذوى الأصول الريفية الذين يستطيعون تحمل مشاق الدعوة والصبر على متاعب الريف وخشونة الحياة فيه وتمكنهم أصولهم هذه من التعاطف مع مشاعر الأغلبية الساحقة من العمال والفلاحين .

ولذلك وضع البرامج الصيفية للاستفادة من الطلاب أثناء الإجازة الصيفية فى تثقيفهم وتدريبهم ونشر الدعوة .

فقد نشرت مجلة النذير فىعددها الثانى فى سنتها الأولى فى ٦ ربيع الثانى ١٣٥٧ هجرية قرارا لمكتب الإرشاد ينظم إجازة الطلبة فيترك الطلاب

فى المدة من أول يونيو ١٩٣٨ إلى ٢٠ يوليو أحرارا فى الإقامة فى القاهرة أو السفر لزيارة الأهل وعلى المقيمين والمسافرين أن يقوموا بدراسات قرآنية ودارسات فى السيرة النبوية وأن يقوموا " بنشر الدعوة بصورة فردية " وبما يطلب إليهم القيام به من أعمال خلال مقامهم بالبلاد ويكلفون كذلك بكتابة تقريرات أسبوعية (يتابعون) بها صلتهم بالمكتب ولا بأس بأن يسافر بعض الإخوان فى رحلات كشفية أو للدعوة بحسب ظروفهم .

وخصص مكتب الارشاد الفترة من ٢٠ يوليو إلى ٢٠ أغسطس للإقامة"بمعسكر إخوانى جامع بمدينة الإسكندرية ، يفكر فى إعداده المكتب من الأن ويوضع له منهاج تفصيلى تتحقق به الأغراض الآتية :

١- التزكية الروحية

٢- الفائدة العلمية والرياضية

٣- الدعوة بالاسكندرية

٤- الاستعداد للعام الدراسى القادم بمنهاج عملى حافل

وخصص مكتب الارشاد المدة من ٢٠ أغسطس إلى نهاية الإجازة لبعثات فى البلاد من الإخوان الذين ليست لهم ملاحق دراسية (٢٢) .

وقد كان لهذا الاهتمام بتدريب الدعاة أثره فى خلق أعداد كبيرة من أعضاء الإخوان قادرين على الخطابة والحديث والحوار والمناقشة بينما قل عدد المنظمين مما دفع بأحد قادة الإخوان إلى أن يكتب فى مجلة الإخوان فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ بعنوان من حديث الإخوان العاملين : وداع ، يسخر فيه من كثرة الدعاة ويشكو من قلة المنظمين ويأخذ عهدا على نفسه بأن يعمل بجد لإعداد جيل من " مهندسى القاع " ويبدو أنه كان فى هذا المقال يتهكم على بعض المنشقين فى ذلك الوقت على حسن البنا وكانوا قبل ذلك يتصدرون الدعوة وينعمون ببريقها ومناصبها دون أن يصيبهم رذاذ متاعبها ويتركون مشاقها وأثقالها للمنظمين القليلين مهندسى القاع فهو يشبه سفينة الدعوة بالسفن التجارية الضخمة التى يعمل فيها صنفان من المهندسين الأول على سطح السفينة يرصد الكواكب وينظر الى الأفق البعيد ويحدد سير السفينة وهو فى جلسته هذه العالية ينظر إليه السفر فى إكبار وإجلال ، فالحركة من يده أمر والكلمة من فمه قدر ويسير بين السفر فى حلته الناصعة وشرائطه اللامعة . وصنف آخر من المهندسين سكنه قاع السفن بين الزيت والفحم والضجيج والنار يتلقى الأمر ويراقب الآلة وعرقه يتصبب من جبينه ويده ملوثة وثيابه تحمل آيات العناء بقعا متناثرة ، إن أهل السفينة لو صعد إليهم مهندس القاع

لتحاشوا ثيابه ولنظروا إليه فى خشية وإشفاق ، وإنهم ليستقبلون شهيقا عميقا إذا أوى إلى جحره الغائر فى قاع السفينة .

لا أدرى لماذا أطلقنا على الصنف الأول الدعاة وعلى الثانى المنظمين فقد يكون فى هذا كثير أو قليل من التجوز وإنما أحسسنا وفرة الصنف الأول عندنا وحاجتنا إلى كثير من رجال الصنف الثانى الذى يرى حياته بين آلات الدعوة لاعلى منابرها ويتعبد إلى الله بالإرهاق ويحسن حركة الآلة تسبيحا ويسعد بالزيت إذا لامس ملابسه والفحم اذا ملأ خياشيمه . هذا صنف لابد أن يتوفر فى سفينة الدعوة حتى تسير ، ولا تغنى عنه الشرائط الذهبية والمناظير المكبرة ، صنف يتقرب إلى اللــه فى قاع السفينة ذاكرا قول الرسول علية الصلاة والسلام " أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد " وسمعنا صوتا يسرى مع الليل هادئا عميقا : ما أكثر مهندسى السطح وأشد حاجتنا إلى مهندسى القاع فى سفينة الدعوة !!.... وصمتنا وكان صمتنا عهدا أن تخرج للدعوة جيلا من مهندسى القاع يحفظ توازن الأمر ... ودار الزمن وانفرج وجه الحقل عن نبت جديد ، هذا جيل محدود العدد من مهندسى القاع يحاول أن يسد الفراغ ويتقرب إلى الله فى زيت الآلة وحرارة المرجل ويقبض على صمامات الدعوة بعيون يقظة وأعصاب فولاذية (٢٣) .

المنهج التربوى أو التلقين العقائدى

تربية الأمة: يتضح من أحاديث حسن البنا عن التربية أنه كان ينظر إليها على مستويين مستوى الأمة ومستوى أعضاء الجماعة فعلى المستوى الأول يرى أن الأمة جاهلة بتعاليم الإسلام وهوسبب هام فى تدهور أحوال المسلمين وتسيطر عليها الخرافات التى تشوه هذه التعاليم وتعانى الفساد الناشىء عن العادات غير الإسلامية وتغلغل الفكر الغربى والتقاليد الغربية وعلاج هذه العيوب يكون بالتعليم والتربية وتعليمها حقوقها ووسائل الحصول عليها " يجب أن تكون دعامة النهضة "التربية فتربى الأمة أولا وتفهم حقوقها تماما وتتعلم الوسائل التى تنال بها هذه الحقوق وتربى على الإيمان بها ويبث فى نفسها هذا الإيمان بقوة أو بعبارة أخرى تدرس منهاج نهضتها درسا نظريا وعمليا وروحيا" .

وهو يرى أن تدريس هذا المنهج يحتاج إلى وقت طويل "فلا بد أن تتذرع الأمة بالصبر والأناة والكفاح الطويل . وكل أمة تحاول تخطى حواجز الطبيعة يكون نصيبها الحرمان ، ومن أجل هذا يجب أن تعد البلاد التى تود النهضة مدرسة طلبتها كل المواطنين وأساتذتها الزعماء وأعوانهم وعلومها الحقوق والواجبات العامة أو الغاية والوسيلة ، ومن أجل ذلك أيضا يجب أن ينظم أمران مهمان هما المنهج والزعامة .

فأما المنهج فيجب أن تكون موارده قليلة .. عملية بحتة ملموسة النتائج .. وأما الزعامة فيجب ان تختار و تنتقد حتى إذا وصلت إلى درجة الثقة أطيعت وأوزرت ، ويجب أن يكون الزعيم زعيما تربى ليكون كذلك لا زعيما خلقته الضرورة وزعمته الحوادث فحسب أو زعيما حيث لا زعيم .

ثم يقول إنه لا نهوض لأمة بغير خلق ... فليكن حجر الزاوية إصلاح خلق الأمة ، لقد طغت العادات ومظاهر الحياة غير الإسلامية علينا حتى صار المصلح فى أشد ما يكون حاجة إلى قوة الإرادة واليقظة والبحث عن المظاهر الإسلامية بين هذا السيل الجارف من المظاهر .

ولكن حذار أن يشتد على العامة فيشتد على نفسه ثم على مريديه الذين فهموا غايته ثم يترك الناس يقلدونهم بالاختلاط لا بالأمر والشدة .

إن نهضتنا لاتزال مبهمة لاوسائل لها ولا غايات ولا مناهج ولا برامج " ثم يشكو من فقر المناهج والوسائل فيقول يظهر أن النهضة فى فجرها كانت خيرا وأقوم سبيلا (٢٤) وفى حديث الثلاثاء ذكر أن داء الأمم

دب فى المسلمين " فأصبحوا أهل فسق" ودعاهم إلى أن يخرجوا الدنيا من قلوبهم ويمسكوا بها بأيديهم" فلا يسلموا أنفسهم لها "وليس معنى ذلك أن نتركها للسفهاء والفسقة والكفار يتولون أمورها ويستولون على خيراتها وتكون الأموال بينهم دولة تخرج من اليد الآثمة إلى أختها الجشعة" ثم أوضح أن معالم الطريق إلى الخير والسعادة تتلخص فى ثلاثة أركان الأول توحيد الغاية والثانى معرفة الدليل والثالث اختيار الرفقة (٢٥) وفى سبيل تربية الأمة حشد الإخوان قنوات من الاتصال لتحقيق هدفهم من صحافة ورسائل عامة ومحاضرات ودروس وخطب واجتماعات ودعاة ومن مدارس ومستوصفات ومؤسسات للبر والخدمة العامة .. وقد تحدثنا عن بعض هذه الوسائل .. وكان هدفهم أيضا منها خلق الجو العام والمناخ الإسلامى الذى تستطيع الجماعة من خلاله تكوين التعاطف الجماهيرى معها ومع برامجها كما تستطيع من خلاله أن تنتقى الأعضاء النشيطين لتجندهم وتنظمهم داخل مؤسساتها التنظيمية وتدربهم على مستويات أعلى فتخلق منهم الكوادر القادرة على قيادة الأمة إلى تحقيق أهدافها العليا .

تربية الأعضاء

وهنا ننتقل الى المستوى الثانى من التربية وهو تربية هؤلاء الأعضاء تربية روحية وبدنية وعقلية لخلق الولاء للجماعة داخل نفس العضو مع الحفاظ على هذا الولاء ، وكانت المؤسسات التنظيمية من نظام الأسر وفرق الجوالة والكتائب والجهاز السرى عبارة عن أطر تهدف إلى خلق الروابط القوية بين الأعضاء والجماعة ، لأن يمين الولاء الذى كان يكتفى به فى بداية الدعوة لم يعد كافيا لضمان استمرار الولاء بعد زيادة الأعضاء وتعذر المتابعة الشخصية والمباشرة من حسن البنا لكل عضو .

ولهذا أهتم البنا منذ مرحلته الأولى بالاسماعيلية برفع مستوى الإخوان علميا وثقافيا وروحيا وكان هذا هو أساس المنهج الذى وضعه لمدرسة التهذيب الأولى بالاسماعيلية فالمنهاج الذى وضعه لهذه المدرسة عبارة عن دراسة إسلامية قوامها تصحيح تلاوة القرآن بحيث يتلوه الأخ المنتسب إلى هذه المدرسة ، وبالتالى إلى الدعوة وفق أحكام التجويد ، ثم محاولة حفظ آيات وسور ، ثم شرح هذه الآيات والسور وتفسيرها تفسيرا مناسبا ، ثم حفظ بعض الأحاديث وشرحها كذلك ، وتصحيح العقائد والعبادات وتعرف أسرار التشريع وآداب الإسلام العامة ، ودراسة التاريخ الإسلامى

وسيرة السلف الصالح والسيرة النبوية ، بصورة مبسطة تهدف إلى النواحى العملية والروحية ، وتدريب القادرين على الخطابة والدعوة تدريبا علميا بحفظ ما يستطاع من النظم والنثر ومادة الدعوة ، وعمليا بتكليفهم التدريس والمحاضرة فى هذا المحيط أولا ، ثم فى أوسع منه بعد ذلك ... ولم يكن هذا المنهاج التعليميى هو كل شيء . فقد كانت معانى التربية العملية التى تتفاعل فى أنفسهم بالمخالطة والتصرفات الواقعية والود والمحبة فيما بينهم والتعاون الكامل فى شئون حياتهم ، وتهيىء نفوسهم لما فى ذلك من خير أقوى العوامل فى تكوين هذه الجماعة (٢٦) .

ويلاحظ أن هذا المنهاج لا يعدو أن يكون منهجا دينيا وأخلاقيا وقد خصص حسن البنا أغلب أحاديث الثلاثاء لغرس منهجه التربوى فى عقول أتباعه وتلقينهم العقيدة التى تصبح أساسا لسلوكهم وتحركاتهم فهو يرى أن ما ينقص المسلمين إنما هو التجمع والتكتل وسلامة العقيدة فهم لا تنقصهم الأموال والأعداد إنما ينقصهم صفاء القلوب وارتباطها وأن المسلمين الأوائل انتصروا "بقوة إيمانهم وسلامة عقيدتهم واتحاد كلمتهم" وأن المسلمين يحتاجون إلى الثقة بأنفسهم وبمنهاجهم وأننا فى حاجة إلى "أن ندعم فى أنفسنا عقيدة تلهب فينا الغيرة والحماس والرابطة التى تعين على الحق والعدل" (٢٧) .

شروط نجاح الدعوات

وفى مكان آخر يتحدث عما يحتاجه أصحاب الدعوات لنجاح دعوتهم فيذكر أركانا ثلاثة :

- الأول الفهم والتحديث فعلى الناس أن يفهموا هدفهم حتى لا ينحرفوا ويطبقوه فى مجتمعاتهم .
- الثانى فحص الدعوة وتعمقها ونشرها بين الناس ودعوة الناس إليها مع ترك الدنيا .
- الثالث حماية الدعوة وحفظها من عدوان المفسدين (٢٨) .

ويذكر أن أركان الدعوة هى المنهاج والجنود والقائد وأنه لا نجاح لدعوة دون أن تتحقق لاركانها شروط ، فالمنهاج لابد له من الوضوح والشمول والتأثير ، والجنود لابد لهم من الإيمان والحب والبذل ، والقائد لابد فيه من الإخلاص والكفاية والحزم وهو يرى أن هذه الشروط متوفرة فى جماعة الإخوان المسلمين وأنها تنطبق عليهم وكأنها رسمت من أجلهم وحدهم

، ثم يسخر من الديمقراطية والشيوعية والدكتاتورية ويتهمها بأنها لا تضمن الحرية ولا تحقق السعادة " فأين من نظامنا هذه النظم التافهة المتداعية هذه الديمقراطية والشيوعية والدكتاتورية كلها أنظمة لاتضمن الحرية ولاتحقق السعادة " (٢٩) .

ويحاول حسن البنا أن يضفى على هذه الشروط صفات القداسة والمهابة ، وأن القرآن الكريم قد أشار إليها ونوه بها فيذكر فى حديث الثلاثاء تحت عنوان " أجمع السور لمعانى القرآن ومراميه سورة تعدل ثلث القرآن " أن سورة الحجرات جمعت ملامح النهضة كاملة لما فيها من تطبيق لقواعدها ، فالنهضة الكاملة إنما تأتى من قائد وجند ومنهاج وغاية . وقد جمعت سورة الحجرات كل ذلك فثلثها الأول يبين حق القيادة وشرائطها وحسن الأدب معها .. وثلثها الثانى تناول صفات الجند وما يكونون عليه من حب ووحدة ، والثلث الأخير حدد الغاية ووضحها .

ويبدو أن حسن البنا بهذا الحديث لم يكن فقط يسبغ على شروط النهضة التى وضعها نوعا من القداسة ، بل كان يعرض بالمنشقين على الجماعة ، وأنهم لم يحسنوا الأدب معه كقائد وبذلك خالفوا تعاليم القرآن الكريم التى تحث على احترام القائد وحسن الأدب معه وطاعته وعدم السخرية به أو التقول عليه مع أن قيادته تقودهم تحت لواء رسول الله (ص) وتنهج بهم نهجه وتسير وفق سنته " (٣٠) .

وفى حديث آخر يذكر أن نجاح الفكرة يتوقف على أمور ثلاثة "أن يتصورها أهلها تصورا واضحا وأن يؤمن بها أصحابها إيمانا عميقا ، وأن تجتمع قلوب أهلها عليها اجتماعا قويا" (٣١) .

وحول هذا المعنى يتحدث بتفصيل أكثر فى موقف آخر من حديث الثلاثاء بعنوان " كيف تنجح الدعوات " فهو بتأمله لحقيقة الدعوات يرى أنها تقوم على دعائم ، ويتساوى فى ضرورة توفر هذه الدعائم الدعوات الربانية والدنيوية فكل منها لابد له :

أولا :

من وضوح الغاية وظهورها وانطباقها على حاجات الناس ، فما أسرع الفقراء إلى تلبية نداء يدعوهم لاقتسام أموال الأغنياء ، وكذلك ما أسرع الأمة المغلوبة المستذلة إلى تلبية نداء يدعوها لرفع الظلم واسترداد العزة وتحطيم القيود ، هذه روسيا الشيوعية استغل دعاتها فقر الناس فى تحطيم النظم الرأسمالية والقضاء على فروق الطبقات ، وهذا هتلر قد نجح فى حشد

الشعب الألمانى حوله ليرجع لألمانيا عزها وكرامتها وليحررها من قيود معاهدة فرساى بعد الحرب الماضية لأن دعوته مست وترا حساسا فى الشعب وهو الكرامة والعزة .

ثانيا :

يجب أن تجد الدعوة أنصارا حولها يلتفون ، ولها يعملون ، وفى سبيلها يضحون .

ثالثا :

وتمتاز الدعوة الربانية بشرط ثالث وهو تأييد الله سبحانة وتعالى للقائمين بها .

وهو يقول إن هذه الشروط تحققت فى الدعوة فى عهدها الأول أيام النبى (ص) وستتحقق فى عهدها الثانى على يدى الإخوان مدللا على ذلك بوصول صوت الإخوان يدوى فى كل مكان ثم يشكو بأن الإخوان قد بذلوا جهودا ضخمة فى مصر غير أن الثمار قليلة ولو كانت هذه الجهود الهائلة بذلت لشعب آخر لأثمرت أكثر ولكنه يعلل ذلك بماعانت مصر من ويلات ظلم الأتراك لعدة قرون ، ثم استهتار واستبداد الفرنسيين والانجليز (٣٢) .

وبمناسبة الاحتفال بمرور عشرين عاما على تأليف أول شعبة بالاسماعيلية يتحدث حسن البنا أيضا عن شروط نجاح الدعوات فيذكر : أن الدعوات إنما تغلب وتظهر إذا توفر لها أربعة أمور أن تكون حقا فى ذاتها وأن يقوى إيمان المؤمنين بها وأن يكون الناس فى حاجة إليها وأولا وأخيرا أن يؤيدها الله تبارك وتعالى (٣٣) .

وحسن البنا بهذا الإلحاح فى أكثر من موضع على ذكر شروط نجاح الدعوات يريد أن يغرس فى نفوس الأعضاء ضرورة فهم الدعوة وهدفها والتعمق فيها والايمان بها وتطبيقها فى حياة الأعضاء حتى تصبح جزءا من كيانهم وشخصياتهم تصاحبهم فى كل لحظة من لحظات حياتهم فى يقظتهم وفى منامهم وفى قيامهم وفى قعودهم بحيث يخلق الشخصية الإسلامية التى تتنفس فى كل الأوقات مفاهيم الإسلام وقيمه كما يتصورها.

وهو يحاول أن يشحن الأعضاء بالثقة والأمل فى النصر فيكتب فى حديث الجمعة بجريدة الإخوان بعنوان " أربعة أدلة " ليؤكد حتمية انتصار الإسلام وتحرر دوله ، ومن المفارقات الغريبة أن هذا المقال صدر فى نفس العام الذى حلت فيه جماعة الإخوان المسلمين ، والأدلة الأربعة منها السمعى ومنها التاريخى ومنهاالحسابى ومنها سنة الله التى لا تتخلف ويأتى الدليل

السمعى بعدد من الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى "والله متم نوره ولو كره الكافرون "

ويذكر فى الدليل التاريخى أن أطوار التاريخ تدلنا على أن الإسلام أقوى ما يكون عودا وأنشط ما يكون مقاومة إذا أحدقت به الأخطار وأحاطت بأممه وشعوبه المتاعب ، هناك يتجلى ما فى هذه النفوس من إيمان كامن وعزم قاطع وتنتفض لتجاهد فتنتصر وتفوز وتعلو من جديد كلمة الله " وأشار إلى الردة وهزيمتها وصد التتار والغزوات الصليبية وأن محنة اليوم ليست بأقصى من محن الأمس .

وعن الدليل الحسابى يذكر أن الدور لنا لا علينا لأن فجر الحضارة انبثق من الشرق بحضارة للهنود والصينيين والفرس والمصريين والفينيقيين والبابليين ثم انتقلت إلى الغرب بفلسفة اليونان وسلطة الرومان ثم عادت إلى الشرق برسالات الأنبياء ثم استيقظ الغرب ونهض نهضته الحديثة المعتمدة على العلم والاختراع وقد أساء استخدام هذا العلم فى الدمار والهلاك ويتوقع أن تفلت منه زمام القيادة ليتلقفها الشرق مرة أخرى .

ويتحدث فى الدليل الرابع عن سنة الله التى لا تتخلف فحضارة الغرب زبد لابد أن يذهب جفاء أما الشرق فعنده ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض (٣٤) .

ويحاول حسن البنا أن يخلق روح التلاحم بين أعضاء جماعته ويغرس فى نفوسهم روح الإيثار والمحبة التى تساعدهم على تحمل مشاق طريق الكفاح ففى حديث الثلاثاء وتحت عنوان " تخير الرفيق قبل الطريق " يذكر أن طرق العقائد شاقة وطويلة من سار فيها بلا رفيق كان كمن سار فى الهيجا بغير سلاح نهشته الذئاب وعصفت به الحوادث .

ثم يتحدث عن شروط الرفقة وهى اتحاد الهدف وإخلاص الرفقاء له ولبعضهم والتحلى بالقوة فلا رفقة بين الضعفاء أو بين ضعيف وقوى و الاستعداد للتضحية وللطوارىء مع التقوى والوفاء والصلاح .

ثم يقول إن شعب الإخوان تعمر بالرفقاء الصالحين .

وحين قسم أنواع الرفقة نلاحظ نوعين : الأول الرفقة العامة وواجباتها أن يعين المسلم أخاه " بما فضل عنه ويدفع الشر ويرد الظلم ويبادله المجاملات . والثانى ، الرفقة الخاصة وفيه " يختار الرفقاء طريقا واحدا يخترقونه إلى الهدف "وهذه الرفقة تجمع إلى واجبات الرفقة العامة :

أولا : الثقة الكاملة التامة التى تجعل الشخص يشعر بأن زميله أحسن منه وأكمل وأفضل .
ثانيا : الإيثار : أن يؤثر الرفيق رفيقه على نفسه .
ثالثا : أن تحمل عنه ما يثقله وتسارع إلى محاولة رفع ما يؤلمه (٣٥) .

البنا يضفى عبقا سلفيا على دعوته

لكى يعمق حسن البنا إحساس الأعضاء بدعوته ويغريهم على الإقبال عليها والتشبث بها والاستماتة فى الدفاع عنها أضفى عبقا سلفيا على الدعوة بمقارنتها بالدعوة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتشبيهها بها فهو يقف بين أتباعه يحدثهم حديث الثلاثاء ويقول لهم " كلما وجدت مع الإخوان فى حفل شعرت بخاطر هذا الخاطر هو المقارنة بين عهدين لدعوتنا : عهدها الأول حين قام الرسول صلى الله علية وسلم وحده يجاهد منفردا .... وعهدها الثانى عهد انبعاثها على أيدكم أنتم أيها الإخوان فقمتم تجددون العهد وتحشدون القوى وتبذلون الجهود حتى يرجع للدعوة شبابها وتكتمل قوتها (٣٦) .

ويؤكد هذا المعنى فى موقف آخر حين يشبه وقفته بين أتباعه بوقفة النبى علية الصلاة والسلام واجتماعه بأصحابه الأول فى بطن الصفا ويفيض عليهم من روحه الكريم ومن آيات الوحى الإلهى ، ويحاول حسن البنا بذلك أن يبعث فى أتباعه روح الأمل فى النصر وأن يستثير فيهم روحا من التعالى والقداسة مستنفرا وجدانهم الدينى " أيها الإخوان الفضلاء إن ما تثيره فى نفسى الليلة .. عاطفة الثلاثاء شعور من نوع جديد .. فهو رجوع بالذهن والفكر والقلب معا إلى بطن الصفا ، بدأت نفسى تحس هذا الشعور لأول ما وقفت فى صلاة المغرب الليلة .. وقفت ونظرت إلى الإخوان وكانت هذه النظرة هى التى ذهبت بفكرى وقلبى إلى بطن الصفا .. حيث كان يجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول دعوته ، مع نخبة من مختلف الأعمار والمنازل " (فمنهم الصبى ، ومنهم الكهل ، ومنهم الشاب ، ومنهم الغنى ومنهم الفقير ، ومنهم الظاهر ، ومنهم المغمور ، منهم اللقن المثقف ومنهم الأمى العامى ، منهم العبد ومنهم الحر) وهم جميعا فى عدد الأصابع لايزيدون عن الآحاد ولا يصلون المائة ويجتمع صلى الله عليه وسلم مع هذه النخبة فى بطن الصفا يفيض عليها من روحه الكريم ويلقنها من كتاب الله العظيم ويملى عليها من آيات الوحى الإلهى ويكون منها الأمة الجديدة بالدعوة

الجديدة للعالم الجديد .. والله يا إخوان .. كدت أنسى التكبير فى الصلاة لأنى كدت أغلب فى تصور هذا الموقف ، فطويت النفس على ما فى النفس وانتهزت فرصة هذه الوقفة بينكم لأنفس عن نفسى بعض ما فى نفسى .. لم لا يكون ؟! من هذا الانعقاد – الصفا – ومن هذه الفئة الخلف لتلك الفئة السالفة ، ولم لا تلقون الدعوة الجديدة لتكون منكم الفئة الجديدة التى يبنى عليها العالم الجديد ؟ ... وطالعت فى أشخاصكم وفى صدوركم هذه النخبة الكريمة بين يدى رسول الله .

ويذكرهم بأن هذه النخبة اجتمعت برجل (النبى) ليس بأعظمهم جاها ولا بأعزهم عددا ولا بأقواهم عدة ولكنه رجل منهم ، ثم يتساءل فيم كان هؤلاء يحلمون ؟ وفيم كانوا يفكرون حين اجتمعوا فى خفية وفى مناجاة سرية ، ويجيب " إنهم يريدون أن يضعوا فى رءوس الناس عقلا جديدا ، وأن يقيموا على ظهر الأرض دنيا جديدة ، وأن يرمموا من هياكل البشرية بناء جديدا " وأشار إلى أن هذه المجموعة العزلاء القليلة استطاعت أن تقيم نظاما جديدا وإنسانية جديدة وأن تجمع قلوب العباد على رب العباد حين قامت دعوتها على أساس الإيمان الكامل والحب والتضحية ، وختم كلامه بأن هذه الأسس " لو قامت فى أنفسنا كما قامت فى أنفسهم لسلكت بنا من مسالك العزة والنصر ما سلكت بهم " (٣٧) وهو فى مكان آخر حين يتحدث عن ذكريات الهجرة وعن نشوة اللقاء بالإخوان يتمنى أن يخرج من أتباعه جيش الخلاص والإنقاذ مثل أهل مكة ، والمدينة ، تجمعهم عاطفة الإيمان الجبارة وتجمعهم فكرة واحدة تجعلهم صفا واحدا . " فكم منا يستطيع يا أخى أن يكون هواه تبعا لما جاءت به الدعوة ؟ "

فمتى تصل فكرتنا أيها الإخوان إلى درجة أن تكون هى المهيمنة الأولى على كل أعمالنا ؟ فما وافقها قضيناه وما خالفها خالفناه .. ولو أن الفكرة سيطرت على مجموعة مثل مجموعتنا هذه إلى هذا الحد لأحدثت فى العالم حدثا ذا شأن بعيد كاف لالتفاف القلوب حولكم وحدبهم عليكم (٣٨) .

وحين يسبغ حسن البنا على دعوتة عبقا سلفيا وروحا قدسية يلتمس لنفسه السبب فى أن نجاح الأعمال وانتصارها لا يتوقف فى رأيه على كثرة العدد ولامضاء العدد وإنما يتوقف على القوى الروحية فهى القوى الكبرى والوسيلة المجدية ولها فعل السحر وتأثير الكهرباء ، إن الإيمان بالفكرة والالتفاف حولها هو كل شيء (٣٩) .

وقد كان إيمان حسن البنـا بـالقوى الروحيـة وبـأثر الدين فـى تحريك المشاعر وسهولة توجيهها إلى تحقيق الأهداف هو سر إعجابـه بطريقـة السيد البدوى لإعادة الخلافة واستخلاص الحكم من أيدى المماليك مستخدما فى ذلك الوسائل الصوفية من الذكر والتلاوة فقد روى حسن البنا – كما سبق أن أشرنا – أنه أعجب لفترة من الوقت واسترعت تفكيره قصة السيد البدوى التى رواها له وهو فى بداية حياته شاب فلاح، وجعل السيد البدوى ومستشاروه إشارات هذا الذكر السيف الخشبى ، أو العصا الغليظة لتقوم مقام السيف ، والطبل يجتمعون عليه ، والبيرق ليكون علما لهم ، والدرقة ، وهذه شعائر الأحمدية (٤٠) .

ولعل هذا هو سبب اتجاه حسن البنا إلى التدرج فى الخطوات وإخفاء أهدافه السياسية فى بداية حركته كما يرى البعض . ولقد كانت الإثارة العاطفية بالعبق السلفى من الوسائل التى تبعث الحمية فى نفوس الأعضاء وكانت من العوامل التى جذبت انتباه الأعداد الكبيرة التى تبنت فكر الجماعة فى الأربعينات فى حياة حسن البنا ، ولذلك حينما تغيرت أساليب التلقين العقائدى فى عهد المرشد الجديد "حسن الهضيبى" فشلت الجماعة فى جذب انتباه هذه الأعداد الكبيرة . فلقد ابتعد المرشد الجديد عن التوجه العاطفى إلى الجماهير على غرار ما كان يحدث فى فترة حسن البنا ، وكان الهضيبى يكره استعراضات القوة وينتقد كل مستلزمات الاجتماعات الجماهيرية بدءا من الأحاديث النارية إلى إلقاء الشعارات وتأجج المشاعر والتظاهر وكان الهضيبى يعترض على ترديد الشعار التقليدى " الله أكبر ولله الحمد ..الخ " أثناء الاجتماعات العامة وكان هذا جزءا من سياسته فى مكافحة الشعارات ومبالغات الماضى وكان اعتراضه على الشعارات الصوتية بمثابة إطفاء لجذوة حماس العضو (٤١) .

ولقد اتبع حسن البنا فى تربيته للأعضاء منهجا متدرجا يأخذ بالعضو مرحلة بعد الأخرى حتى يصل به إلى مرتبة المجاهد . فقد قسم الأعضاء إلى ثلاث مراحل المرحلة الأولى التمهيدية وقد وضع لها منهجا ميسرا يتلاءم مع العضو المبتدىء ، فعلى هذا العضو أن يلم بالمبادىء الأساسية للإسلام ، وعلى المنهج فى هذه المرحلة أن يغرس العقيدة الصحيحة فى القلوب مع قراءة القرآن الكريم وتعليم التجويد ..الخ . المرحلة الثانية : التكوينية ومنهجها يوضح أركان الإيمان فهما والتزاما ويفسر القرآن ويشرح الحديث ،

ويعمق العقيدة ويضع خطة للتربية الروحية والخلقية والدراسة العلمية والثقافية ... الخ .

المرحلة الثالثة : وفيها يلزم الأخ بدراسات خاصة كالفقة وأصوله ، والسنة ومكانها فى التشريع وتاريخ الإسلام والحركات المعاصرة وما يدبره أعداء الإسلام ، كما يلزم الأخ بقيام الليل وتلاوة القرأن وتدبر معانيه ... مع إعداد النفس وتهيئتها للبذل والتضحية والقيام بالواجب نحو أمته وأوطانه (٤٢) .

وقد اتبع حسن البنا بجانب الدراسات النظرية للأعضاء نماذج من التربية بالقدوة ، فكان يلتقى بتلاميذه من الشباب فى رحلات تستمر يوما أو بعض يوم خارج المدينة ، أو فى لقاءات داخلها ينتقل بهم فى مجالات مختلفة من صلاة إلى تلاوة إلى طعام مشترك إلى تدريبات رياضية إلى جلسات روحية إلى تدريب على الخطابة وكان بذلك يربط بين النظرية والتطبيق العملى .

فكان يصلى بهم صلاة طويلة مطمئنة يقرأ فيها من طوال المفصل من آيات القرآن الكريم ، وكان يقدم تلاميذه تباعا للإمامة يدربهم عليها ويزرع فيهم الثقة بأنفسهم ويضطرهم من بعد للحفظ والتجويد ، وأثناء تناولهم لطعامهم المشترك يذكر لهم بعض الأحاديث التى تتعلق بآداب الطعام والشراب ، وحين يقودهم إلى تدريبات رياضية يذكرهم خلالها بآداب الرمى و السباق والجهاد .. ويدعوهم لقيام الليل للعبادة فرادى وجماعات ويضرب المثل بنفسه فيكون أسبقهم ، ويجلس بينهم جلسات روحية للذكر والتلاوة ولا مانع من سرد القصص والحكايات المشوقة اللطيفة وأحيانا يصل التأثر الذى ترق به القلوب إلى حد البكاء .

وكان يعلمهم أساليب الخطابة والدعوة ، ويعقد الجلسات للنقد المتبادل بين الخطباء فيدربهم بذلك على مواجهة الجماهير وقيادتها ويفك عقدة ألسنتهم فتنطلق فصيحة معبرة ومؤثرة ... وكان الحب يحوط هذه الرحلات واللقاءات ، ويترك ذكريات حلوة تزرع الرغبة فى تكرارها .. وكان لحسن البنا قدرة خارقة على التأثير فى أتباعة " يستثير العاطفة بإقناع العقل ويلهب الروح بالمعنى لا باللفظ " (٤٣) وقد سبق ان ذكرنا أن حسن البنا أشرف بنفسه عام ١٩٣٨ على إنشاء أول مدرسة للكادر نظمتها الجماعة لتدريب كوادرها على الدعوة والإرشاد (٤٤) .

تربية العضو على المراوغة

ومن الأمور الملفتة للنظر ، والتى أثارت نقدا موجها لحسن البنا ولجماعته فيما يتعلق بأسلوبه فى مواجهة النقد الموجه إليه أو إلى الجماعة – أنه عمل على تربية الأعضاء على المروغة وعدم المجابهة وإشاعة جو من التعتيم التام على الآراء المعارضة ، والقدرة على الهروب من تحديد المواقف الواجبة وإعلانها إلى مسارب أخرى وقضايا جانبية تستقطب الاهتمام وتمتص الطاقة بعيدا عن المشكلات الرئيسية ، مستثمرا فى ذلك قدراته الأسطورية فى الحديث والخطابة وما يتمتع به من إجلال ومهابة فى قلوب أتباعه ، ويعبر طارق البشرى عن هذه الملاحظة فيقول : كان للمرشد أسلوبه الماهر فى المراوغة وعدم المجابهة ، كان يقول (اشغلوا الناس عن الفكرة الباطلة بالفكرة الصحيحة) أى صرف انتباه الناس عما ينشغلون به إلى ما يرى شغلهم فيه بغير مجابهة ولا نقاش ، وكان يقول إن الإشاعة يقضى عليها بعمل إيجابى نافع يستلفت الأنظار و يستنطق الألسنة بالقول فتحل الإشاعة الجديدة وهى حق مكان الإشاعة القديمة وهى باطل .

كان يستثير العواطف لا بموقف حازم من الاستعمار يجابه به ما يشغل الناس فعلا ، ولكن بإثارة فكرة جديدة يريد شغلهم بها (إن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب ، وتلك الأيام نداولها بين الناس) ثم يتكلم عن أن الدين يوجه المسلمين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح .... ويقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا (٤٥) هذا فى الوقت الذى نشكو نحن ونجاهد ضد التسلط الاستعمارى الانجليزى على أرضنا وشعبنا وكأنه بهذه الروح الاستعلائية الفارغة والنظرة المتعصبة يقدم المبرر للسيطرة الاستعمارية الممقوتة ما دام يسعى إلى السيادة على الشعوب !! ويتجه إلى أفضل استعمار وأبرك فتح !! ويعطى للمسلمين الحق فى الوصاية على البشرية القاصرة وحق الهيمنة والسيادة على الدنيا ! فى عصر تناضل فيه الشعوب ضد نزعات التسلط والنهب والاستعلاء .

امتصاص طاقة العضو

وقد سبق أن أشرنا إلى أن حسن البنا قد كون كتائب أنصار الله فى خريف عام ١٩٣٧ بهدف استيعاب نشاطات العضو البدنية والعقلية والروحية وضمان ولائه للجماعة وأفكارها وأعضائها ، وأن كل كتيبة كانت تلتقى على حدة فى ليلة معينة من الأسبوع لتمارس تدريباتها فى تلك الليلة ، وكانت هذه

التدريبات تتضمن السهر ليلا وأداء أكبر قدر ممكن من صلوات الفرد والجماعة والتسبيح ، وأقل قدر ممكن من النوم وكانت هذه الجلسات يتخللها توجيهات روحية فى أى موضوع بدءا من الصوفية وانتهاء بالجنس يلقيها حسن البنا فى أى وقت من الجلسة , وكان الالتزام المطلوب من عضو الكتائب يتلخص فى ثلاث كلمات " العمل والطاعة والصمت " (٤٦) وبهذا الالتزام يصبح العضو مهيأ للانضمام إلى التنظيم السرى .

وحين فشل نظام الكتائب فى إنجاز البرامج والمراحل المعد لها انتقلت الوظيفة التى كانت مرجوة منه وهى التلقين العقائدى التربوى وضمان ولاء العضو للجماعة . انتقلت إلى نظام الأسر الذى أنشىء فى سبتمبر ١٩٤٣هذا علاوة على مشاركة فرق الجوالة فى النهوض بهذه الوظيفة منذ نشأتها فعضو الأسرة يخضع لالتزامات شخصية واجتماعية ومالية تنعكس على سلوكياته الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بهدف تكوين الشخصية الإسلامية مع التركيز على التنشئة الأخلاقية والاجتماعية للعضو . فالعضو من الناحية الشخصية ملتزم بأداء فرائض الدين وتجنب الكبائر وإثبات الولاء الدائم للتنظيم ومبادئه وقادته وهداية منزله ومن الناحية الاجتماعية يقوى علاقاته بالأسرة فيحضر اجتماعاتها ويقضى معها ليلة شهريا فى الهواء الطلق يتناولون وجباتهم جماعة وينامون معا ويؤدون صلاة الجمعة والفجر والعشاء معا وجماعة ومن الناحية المادية فكل عضو مسئول عن بقية الأعضاء يتحملون معا الأعباء ويقتسمون المكاسب ، والعلاقة بين أفراد الأسرة تبنى على دعامات التعارف والتفهم والتكافل .

وكان مكتب الارشاد العام فى توجيهاته حريصا على ربط الأعضاء بالجماعة وامتصاص كل وقتهم لحساب برامج الجماعة ، ففى المنشور الدورى الأول لسنه ١٣٥٨ هجرية والصادر من هذا المكتب يعدد مظاهر النشاط الشهرى للإخوان فنجد فيه " يوم النصيحة .. يوم الآخرة .. يوم العبادة .. يوم التعارف " كما يعدد مظاهر النشاط الأسبوعى فنجد فيه أيضا " ليلة الدرس الذى يلقيه المرشد فى القاهرة ويلخص فى النذير - ليلة الكتيبة - يوم المعسكر " (٤٧) .

لقد كانت الجماعة حريصة على أن يعيش العضو كل لحظة من حياتة فى إطار قيم ومبادىء وسلوكيات وتوجيهات الجماعة فلا يتنفس إلا من خلال أوامرها ونواهيها ، فهى لاتعتمد فى ربط العضو بها على الإثارة وحدها ولا تكتفى بعمل العضو بين صفوفها فى اللجان المختلفة ولكنها بعبارة طارق

البشرى - " تضعه كفرد بين عدد ضخم من الواجبات تحيط بحياته كلها وترسم له أعماله وسلوكه اليومى وعلاقاته الشخصية ، وتنصحه حتى بالتزام طريقة معينة فى التحدث والضحك ، وثمة واجبات لبدنه ... وواجبات لخلقه وواجبات لجبيه وواجبات لغيره وواجبات للدعوة ... وواجبات لربه وواجبات قبل النوم ... ثمة تعليمات عن زيارة الآخرين والتجمل فى الحديث . وإن اتباع كل هذه التعليمات والنصائح التنظيمية يجعل عضو الجماعة عضوا بها فى كل لحظة من لحظات عيشه ، فلا تشمل مهامه التنظيمية جانبا واحدا من جوانب حياته بل تحيط بجوانبه كلها فيمارس نشاطه اليومى لا باعتباره فردا عاديا ولكن باعتباره عضوا وأخا مسلما . وذلك يعنى أن تمتص الدعوة والجماعة كل نشاطه الحيوى ويرتبط بها لا فهما وإيمانا فحسب وليس فى نشاطه العام فقط ، ولكن فى جميع نثريات الحياة ، بحيث يصبح كما لو كان يستمد وجوده المادى منها ، ويخلق فيه ذلك الطواعية والسلاسة لجماعته ويصبح هو والآخرون من إخوانه مجتمعا مغلقا يحيا أفراده حياتهم اليومية وفق تعليمات وضعتها قيادتهم لا يشاركهم فى الالتزام بها أحد من خارجهم . وبهذا يذوب الأفراد فى الجماعة وفى زعيمها المجسد لها المبايع على السمع والطاعة بواسطة أمور لا تتعلق بهدف سياسى معين ، ولا بمنطق عقلى واضح ولا بنشاط عام محدد و لكن يذوبون بالانسياق من الداخل ، ويتم هذا البناء النفسى للفرد مع إشاعة عبق سلفى يحيط بالجماعة ومنشآتها وأفرادها (٤٨) .

البرامج وغموض الأهداف

كثر الحديث حول مناهج الإخوان وغموض أهدافهم واتهموا من قبل أعدائهم بإخفاء أهدافهم واعترف كثير من قادتهم بهذا الإخفاء للأهداف ، والتمسوا له المبررات المختلفة ، وتركز هذا الغموض حول الأهداف السياسية ، أما حول توقيت هذا الإخفاء فقد دار تساؤل هل أخفى حسن البنا أهدافه بعد فترة من تأسيس الجماعة حين برزت فى الميدان السياسى أم هل أخفى أهدافه السياسية منذ بدأ تأسيس جماعته ؟

وبمعنى آخر لقد بدأت جمعية الإخوان المسلمين كجمعية دينية يقتصر نشاطها على التربية الأخلاقية والاجتماعية فهل كان هذا هو هدفها الحقيقى والأصيل ثم تطورت مع الأحداث إلى الاشتغال بالسياسة أم أن هذا كان هدفا مرحليا يخفى وراءه الهدف الأصيل وهو الاشتغال بالسياسة والتطلع إلى الحكم ؟

وإذا استعرضنا تاريخ الجماعة وتاريخ حسن البنا ، وجدنا من الشواهد والمواقف ما يوحى بالاحتمال الأول كما وجدنا أيضا ما يرشح للاحتمال الثانى .

فمما يرجح الاحتمال الأول أن ثقافة حسن البنا ونشاطه العملى قبل تأسيسه لجماعة الإخوان المسلمين كان يغلب عليه الروح الدينية الصوفية ، كما كان بعيدا عن التيارات السياسية والنشاط الحزبى ، ولم تبدر منه بوادر نقد للنظام السياسى بل كان يبدو منه الرضا والتأييد لهذا النظام – فرغم الانقلابات الدستورية التى قام بها الملك فؤاد فى العشرينات فقد كان حسن البنا يملى على تلاميذه وهو بالاسماعيلية قطع إملاء يشيد فيها بالملك ، وكان يحرض العمال على حسن استقبال الملك فؤاد وضرورة الخروج إلى الشوارع لاستقباله حين كان يمر بالاسماعيلية ، ويبرر هذا لأحد موظفى شركة قناة السويس الفرنسيين بقوله " حتى يفهم الأجانب أننا نحترم ملكنا – وحين تبرعت شركة قناة السويس – وهى خاضعة للقوى الاستعمارية – لجماعة الإخوان بالاسماعيلية بمبلغ ٥٠٠ جنيه كانت تنظر إليها كجماعة دينية يمكن أن تلعب دورا فى التهدئة والمحافظة على الاستقرار ، ومما يرجح الاحتمال الثانى الواقع العملى الذى تطورت إليه الجماعة واعتراف الكثيرين من قادة الإخوان بل وتباهيهم بقدرة حسن البنا على إخفاء أهدافه ، وخداع كل القوى السياسية الأخرى من الإنجليز والسراى والأحزاب .

ويمكن على ضوء هذا أن نفهم مرة أخرى إعجاب حسن البنا بقصة السيد البدوى التى سمعها فى صباه والتى سبق ذكرها .

ومهما كانت النوايا الحقيقية لحسن البنا حين أسس جماعته فإنى أرجح أن تطور الجماعة إلى العمل السياسى قد جاء تطورا طبيعيا لاتساع نشاط الإخوان من جهة واحتكاكهم بالقوى السياسية المحلية والخارجية ، وتحقيقا لطموحات قادتهم وخاصة طموحات حسن البنا الذى كان رغم تواضعه الظاهرى يؤمن بقدراته إيمانا لا حد له ويثق بنفسه ويعتقد بكفاءته لقيادة الأمة وكان ذكاؤه و فصاحته وقدرته الخطابية على التأثير على الناس واستلاب أفئدتهم واستهواء نفوسهم كان لهذا كله الأثر الكبير فى تزايد طموحه ، وإنى أرجح أن أحزاب الأقلية والقصر وبعض الشخصيات المستقلة والطموحة مثل على ماهر باشا وعزيز المصرى وبعض الشخصيات ذات الاتجاهات الإسلامية والتى كانت تبحث عن قاعدة شعبية تعتمد عليها فى تحركها مثل **عبدالرحمن عزام باشا وصالح حرب** والشيخ **مصطفى المراغى** أى كل القوى التى كانت تكره الوفد وتعاديه وتبحث لها عن قوة شعبية تعتمد عليها فى حربها للوفد .. أرجح أن هذه القوى قد شجعت الاخوان وشدتهم إلى العمل السياسى ودفعتهم إليه لا حبا فى الإخوان وإنما كراهية للوفد ، وقد استجاب الإخوان لهذا التحريض وتخلقت لهم أهدافهم الخاصة وطموحاتهم التى حاولوا إخفاءها لا عن حلفائهم من أحزاب الأقلية ، التى كانت تحكم فحسب بل عن كثير من أعضاء الجماعة الذين دخلوها على أساس دينى أخلاقى لا سياسى .

لقد حاولت أحزاب الأقلية والقصر أن تستثمر الإخوان لصالحها ، وفى نفس الوقت حاول الإخوان الاستفادة من هذا التحالف لصالحهم .

لقد أنشئت جماعة الإخوان فى ظل حكومة محمد محمود الرجعية ، ورغم أن هذه الحكومة قد أنشئت للعصف بالدستور وإصدار القوانين المعطلة للحريات العامة ومطاردة القوى الديمقراطية ، فلم تستشعر هذه الحكومة أية خطورة من هذه الجماعة ، بل لقد شكلت هذه الجماعة فى ظل رضاء هذه الحكومة ، ولأهدافها الأخلاقية والدينية المعلنة ، لم تجد هذه الجماعة معارضة من كل القوى السياسية والاجتماعية الفاعلة فى ذلك الوقت .

وقد علل صلاح عيسى لمناخ الرضا هذا بأن " ذكاء الشيخ حسن البنا الذى أخفى به بمهارة أهدافه الحقيقية جعل وزارة اليد الحديدية تظن أن الإخوان المسلمين يمكن أن يكونوا عامل تهدئة فى وقت كان يتميز بالصراع الديمقراطى العنيف ، وقد تكرر هذا الظن طوال مرحلة الانقلاب الدستورى الذى قاده الدكتاتور المصرى اسماعيل صدقى فى الثلاثينات . فعلى عكس

توقعات كل المراقبين آنذاك توسع الإخوان المسلمون فى ظل الانقلاب الدستورى وانتشروا وأصدروا صحفا ومجلات ونقلوا مقر جمعيتهم من الاسماعيلية إلى القاهرة .ولأن الأخوان كانوا يدعون آنذاك إلى افكار يمكن فى التحليل النهائى اعتبارها أفكارا معارضة ، فقد بدا غريبا أن تنتشر حركتهم فى ظروف جذر ديمقراطى عنيف كما حدث أيام حكم اسماعيل صدقى ، لكن الإخوان الذين كان مؤسسهم حسن البنا من أذكى الشخصيات السياسية فى العالم العربى ، تركوا السلطات القائمة تظن أن حركتهم تخدمها – وهو ما كان يتحقق موضوعيا – بحكم أنهم يستلبون الشبان الذين كانوا منهمكين تحت قيادة حزب الوفد فى النضال ضد دكتاتورية إسماعيل صدقى .. والأرجح فى كل هذا أن الإخوان المسلمين – الذين ثبت فيما بعد أنهم كانوا يستهدفون السلطة بمفهومها السياسى – وقد خططوا لنشاطهم بحيث لا يواجهون جبهات قوية ، وفى نفس الوقت فأنهم لم يعلنوا عن أهدافهم الحقيقية ... ان الإخوان المسلمين كانوا ضد الجميع : ضد الوفد وضد أحزاب الأقليات وضد النظام بمجمله وبمختلف مؤسساته بما فيها النظام الملكى نفسه (٤٩) .

ومما يشير إلى رضاء الحكومة وموافقتها على نشاط الإخوان ذلك التقرير الذى كتبه أحد رجال الشرطة بالاسماعيلية وأثنى فيه على جماعة الإخوان لدورها الإيجابى فى نشر الأمن واستقراره وقدرتها على هداية المنحرفين وتحويلهم إلى مواطنين صالحين وأوصى فى نهايته بالعمل على نشر فروع لهذه الجمعية فى مختلف البلدان سعيا لاستقرار الأمن .

بل إن **محمد محمود باشا** وهو رئيس الحكومة ورئيس حزب الأحرار الدستوريين قد عرض على الشيخ حسن البنا أن يفتح مزيدا من الشعب للإخوان فى الصعيد ويسمح للإخوان بأن يقيموا حفلاتهم فى مضيفة الأسرة "بأبو تيج" (٥٠) .

دعا البنا إلى ضرورة المنهج

وإذا بحثنا عن موقف الشيخ حسن البنا النظرى من ضرورة وضع منهج واضح للنهضة لوجدنا فى أدبياته ما يؤكد حرصه على ضرورة هذا المنهج فهو ينعى على الأحزاب خلو وثائقها من البرامج والمناهج وأن نهضتنا لا تزال مبهمة لأنه لا وسائل لها ولا غايات ولامناهج ولا برامج " سل أى زعيم سياسى : رئيس الوفد أو رئيس الأحرار أو رئيس حزب الشعب أو رئيس حزب الاتحاد عن المنهج الذى أعده للنهوض بالأمة والسير بها إلى نوال أغراضها ، لاشىء أبدا . كل مافى الأمر تطاحن على الحكم وتهاتر بالألفاظ ودس وتقرب من العدو وانتظار لما يلقى إليهم من فضلات مائدته على حساب مصر وأهل مصر . قل مثل ذلك تماما فى الزعماء الإصلاحيين الدينيين . سل الجمعيات الإسلامية عن برامجها لا شىء كذلك ثم يقول " يظهر أن النهضة فى فجرها كانت خيرا وأقوم سبيلا " (٥١) .

وهو يضع ثلاثة شروط لأية نهضة ومنها المنهج حتى لا تتخبط فى سيرها وتندم فيقول فى ملاحظة دقيقة وبصيرة نافذة وحكمة بالغة وفى مقال بعنوان " لابد من هذا لكل أمه تريد النهوض " هى ثلاثة أمور لابد منها لكل أمة تريد النهوض : أن تتعرف أعداءها لتحذرهم ، وأن تهتدى إلى أحبابها لتستخلصهم ، وأن تضع المنهج الحازم الحكيم للنهضة لتسير عليه فلا تلتوى بها الطريق ، والأمة التى لا تعرف أعداءها تقع فى خديعتهم وتقول بعد ضياع الفرصة (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) والأمة التى لاتعرف أحبابها تضعف قوتها بيدها وتندم حيث لا ينفع الندم ، والأمة التى لا تضع منهج نهضتها تتخبط فى سيرها فلا تتقدم خطوة واحدة وقد تتأخر خطوات كثيرة (٥٢) .

ثم يعيد نشر هذا المقال بعد عدة سنوات ويضيف إليه أن هذه الأمة تسير إلى النهضة سيرا حثيثا تبدو عليها دلائل الفتوة والحياة ، ولكنه يسجل خوفه من جهلها بأعدائها ونفورها من أحبابها وتراخيها فى تحديد نقاط المنهج الذى تسير عليه " ثم يسجل تعجبه من التباين بين قادة الأمة ، بل وأفراد الناس فى المسلك الذي يؤدى إلى الغاية " هذه الحيرة فى الهدف وذلك الاختلاف فى الوسائل تضعف قوة الأمة وتذهب ريحها وتفرق جهودها بل تجعلها متعاكسة يبطل كل منها الآخر فلا تصل الى شىء أبدا ، لهذا كان من أول واجبات المصلحين أن يحددوا المنهج تحديدا دقيقا مضبوطا " (٥٣) .

وهو يتتبع تاريخ النهضات فى الأمم المختلفة شرقية وغربية قديما وحديثا ويسجل أن النهضات الناجحة كان لها منهاج محدد تعمل لتحقيقه وتتواصل على تنفيذه الأجيال المتعاقبة من الزعماء والقادة فلا يكون هناك انقطاع بل تواصل مستمر لايهدم الخلف مابناه السلف " وأن أساس النجاح فى كل نهضاتها (الامم) منهج محدد وقوم يعملون فى حدود هذا المنهج " .... أعتقد يا عزيزى أن كل انقلاب تاريخي وكل نهضة فى أمة تسير طبق هذا القانون حتى النهضات الدينية التى يرأسها الأنبياء ...فهل سارت نهضتنا وفق هذا القانون الكونى والسنة الاجتماعية ؟ ذلك ما أشك فيه كثيرا فإنى ألاحظ أن خلق التسرع المركوز فى طباعنا وسرعة التأثر وهياج العواطف الذى يبدو فينا واضحا . وغيرهما من أسباب اجتماعية وغير اجتماعية جعلت نهضاتنا فورات تشتد وتقوى بقوة المؤثر الوقتى وشدته ثم تخمد وتزول كأن لم يكن شيء , ولئن كانت الغاية التى نعمل لها واضحة معروفة للكثيرين فأنا واثق من أمرين : **الأول** ، أن الوسائل غير معروفة ولا محددة وقد تكون متعاكسة يحبط بعضها بعضا ونحن لا نشعر . **والأمر الثانى** ، أن الصلة منقطعة تماما بين السابق واللاحق فقد يصل السابق إلى نصف الطريق فإذا جاء اللاحق لم يتبعه لانقطاع الصلة بينهما فيبدأ طريقا جديدا قد يصل فيه إلى مقدار ما وصل سابقه وقد يقصر عنه وقد يسبق قليلا ، ولكنه على كل حال لا يصل بالأمة إلى النهاية لأن أعمار الأفراد جد قصيرة بالنسبة لأعمار النهضات والشعوب ، و نحن نتصور أن الواحد يستطيع أن يحقق للأمة كل ما تبتغي وهى فكرة خيالية وخدعة نفسية عاطفية يجب أن تزول من نفس كل عامل حتى ينتفع بما عمل سلفه" . ثم انتهى بأن الأصول النظرية لمنهاج الإخوان هى الأصول والقواعد التى جاء بها القرآن الكريم وأن وسائلهم هى الوسائل والخطوات التى أثرت عن الرسول العظيم (ص) ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها (٥٤) .

الدين أقوى الوسائل للاصلاح

وقد وضع حسن البنا شروطا لمنهج النهوض بالأمة حتى يحقق هدف الأمة من أقرب طريق فالمنهاج لا بد أن يكون واضحا سهلا محدود الغايات ، عمليا لا يعتمد على الخيال ، شاملا يعبر عن أمانى الأمة وعواطفها وآمالها ، محوطا بصفة من القداسة تدفع الي المحافظة عليه والتضحية فى سبيله ، معينا على جمع كلمتها ومساعدا على ضم صفوفها وتوحيد وجهتها . ثم ختم

شرحه بأن الله من على الأمة بهذا المنهج تاما كاملا موفور الشروط مكتمل الوسائل والغايات ذلك المنهج الإلهى هو (القرآن الكريم) (٥٥) .

ومن هنا كان حرصة على طبع دعوته بالطابع الدينى ليحوطها بالقداسة ويبتعد عن مواطن الخلاف ليجمع الصفوف حولها ، وفى ضوء هذه الشروط نستطيع أن نفهم أيضا إعجابه باستخدام السيد البدوى للدين كوسيلة لاسترجاع الخلافة المغتصبة .

وحسن البنا حين يفاضل بين الوسائل المختلفة للإصلاح يصرح بانحيازه للدين باعتباره أقوى الوسائل للإصلاح ففى مقال له ١٩٣٤ تحت عنوان " هل نحن قوم عمليون ؟ " يستعرض رأية والآراء الأخرى حول طرق الإصلاح فيقول : " رأى قوم أن يصلحوا من أخلاق الأمة عن طريق العلم والثقافة ، ورأى آخرون أن يصلحوها من طريق الأدب والفن ورأى غيرهم أن يكون هذا الإصلاح عن طريق أساليب السياسة وسلك غير هؤلاء طريق الرياضة . وكل أولئك أصابوا فى تحديد معانى هذه الألفاظ أو أخطأوا وسددوا أو تباعدوا ، وليس هذا مجال النقد والتحديد ، ولكن أريد أن أقول إن الإخوان المسلمين رأوا أن أفضل الوسائل فى إصلاح نفوس الأمم (الدين) ورأوا إلى جانب هذا أن الدين الإسلامى جمع محاسن كل هذه الوسائل وبعد عن مساويها فاطمأنت إليه نفوسهم وانشرحت به صدورهم ، وكان أول وسائلهم العملية فى تطهير النفوس وتجديد الأرواح (تحديد الوسيلة واختيار المبدأ) .

وعلى هذا الأساس وضعت (عقيدة الإخوان المسلمين) مستخلصة من كتاب الله وسنه رسوله لا تخرج عنهما قيد شعره (٥٦) .

ولقد سبق الشيخ محمد عبده إلى هذه الفكرة حيث دعا إلى حركة إصلاح تتخذ من الدين سبيلا "وهذه سبيل لمريد الإصلاح فى المسلمين لا مندوحة عنها فإن إتيانهم من طريق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى إنشاء بناء جديد ليس عنده من مواده شىء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا (٥٧) ويقول أيضا إن "أنفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعا فيها ، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التى أودعه فيها فلا ينبت ويضيع تعبه ويخفق سعيه ، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التى يسمونها أدبية من عهد محمد على إلى اليوم فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فسادا .. وإن قيل إن لهم شيئا من المعلومات – فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على

أصول دينهم فلا أثر لها فى نفوسهم" (٥٨) ومع هذا التشابه فقد وقف محمد عبده ضد الحكومة الدينية واستغلال الدين فى السياسة وأكد على مدنية الحكومة فى الإسلام .

من هذا العرض لأفكار حسن البنا النظرية حول أهمية المنهج ووضوحه لم يجد أحد تناقضا بينه وبين نشاط وفكر الجماعة فى مرحلتها الأولى حيث كانت لاتتجاوز الأهداف الدينية الأخلاقية التى لا تجد إلحاحا على تفصيلها وتوضيحها لأنها بطبيعتها مفهومة وفطرية تستجيب لطبائع الناس وقد سجلت رسالة المرشد فى يناير ١٩٣٣ مبادىء الإخوان المسلمين وهى :

١- سلامة الاعتقاد والاجتهاد فى طاعة الله تبارك وتعالى وفق الكتاب والسنة .
٢- الحب فى الله والاعتصام بالوحدة الإسلامية .
٣- التأدب بآداب الإسلام الحنيف .
٤- تربية النفس والترقى بها إلى معرفة الله تعالى وإيثار الآخرة على الدنيا .
٥- الثبات على المبدأ والوفاء بالعهد مع اعتقاد أن أقدس المبادىء هو الدين .
٦- الاجتهاد فى نشر الدعوة الإسلامية بين طبقات الأمة ابتغاء وجه الله .
٧- حب الحق والخير أكثر من أى شىء فى الوجود (٥٩) .

وهذه الأهداف الدينية الأخلاقية هى أهداف عامة مقبولة لا تجد أى مسلم يقف ضدها فى أى زمان أو أى مكان ، والتأثير الصوفى فيها واضح وهى بعيدة كل البعد عن القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى يحتاج التصدى لها إلى الوضوح والدقة والتحديد والتفصيل .

وحين عقد المؤتمر الثالث فى مارس ١٩٣٥ ووافق على عقيدة الجماعة التى قدمها المرشد العام لم تخرج هذه العقيدة عن الإطار الأخلاقى الصرف ، فرغم أن مصر كانت تئن من هيمنة الاستعمار وسيطرة الاقطاع والسراى ويعانى الشعب من أزمة اقتصادية حادة ، وتكبل الحريات وتضرب الديمقراطية بالانقلاب الدستورى ، رغم كل هذه المتاعب التى تواجه الشعب فلم تشتمل عقيدة الإخوان على كلمة واحدة عن القضية الوطنية أو الاستعمار ولم تتعرض بالحل لأية مشكلة من مشاكل الشعب الفقير .

الجماعة تصادر الدين لحسابها

ولكن لم تكتف عقيدة الإخوان بالانعزال عن مشاكل مصر وشعبها وإنما أرادت أن تعمق عزلة الإخوان عن بقية طوائف الشعب وتبعدهم عن التفاعل مع التيارات والهيئات المختلفة ، وتخلق فيهم روح التعصب وضيق الأفق ففي البند الرابع من عقيدتنا " نص على مقاطعة كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التي تناوىء تعاليم الإسلام " .

وهي ترى أن كل ماعداها من الهيئات مناوىء لتعاليم الإسلام لأن المؤتمر الثالث أيضا قد اتخذ قرارا خطيرا يحتكر به الإسلام لحساب الجماعة ، فذكر أن " على كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام ، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة (٦٠) .

وقد علق أحد الباحثين على هذا القرار بأن " الجماعة تصادر به الدين لمصلحتها وبهذا لا تصبح مجرد جمعية تطبق الدين كما يحاول غيرها أن يفعل ، وإنما تؤكد أن منهجها وحده هو الإسلام الصحيح ، ومن ثم فإن من يقف ضدها كجماعة يكون خارجا على الإسلام ذاته .. إنه مبدأ يسعى للسيطرة على الإسلام لا للاتصاف به فقط (٦١) .

ويعلق أحد الكتاب على هذا التحليل بقوله : " وبهذا يمكننا أن نفسر حملات القتل والاغتيال التي نظمها أعضاء الجماعة ضد خصومها " (٦٢) .

كما يمكننا أن نبصر في هذا الاتجاه المتعصب وضيق الأفق والذي ظهر في مؤتمر الإخوان ١٩٣٥ البدايات الأولى التي مهدت في السبعينات والثمانينات لفكر جماعات التكفير والهجرة وكلها خرجت من تحت معطف الإخوان المسلمين .

وبهذا المنهج الديني الأخلاقي البعيد عن السياسة عاشت جماعة الإخوان المسلمين في مرحلتها الأولى بعيدة عن الأضواء مغمورة بين الهيئات السياسية ومجهولة من هذه الهيئات ومن يعرفها يعرفها كهيئة دينية مع محاولة البعض الاستفادة منها في تحقيق أطماعه في الصراع الدائر بين التيارات السياسية والاجتماعية .

ومما يدل على أن حركة الإخوان كانت مغمورة وغامضة وغير واضحة بالنسبة للهيئات السياسية أن **مصطفى النحاس** باشا لم يكن يعرف حسن البنا حين قابله ضمن وفد لعرض مقترحات خاصة بالتعليم والتربية الدينية وكان مصطفى النحاس يظن أن حسن البنا أحد العمد الذين يتألف منهم هذا الوفد (٦٣) .

بداية انغماس الإخوان فى السياسة

وهكذا استمر نشاط الإخوان هادئا بعيدا عن الأضواء لا يلفت اهتمام السياسيين حتى عقدت معاهدة ١٩٣٦ بعدها بدأ الاهتمام بالإصلاح الداخلى وخاصة المؤتمر الخامس ١٩٣٨ الذى حدد فيه البنا خصائص دعوة الإخوان المسلمين ووسائلهم وخطوات مناهجهم وأن دعوتهم سلفية سنية صوفية سياسية رياضية علمية ثقافية اقتصادية اجتماعية ، وأشار إلى أن من خصائص دعوة الإخوان ١ - البعد عن مواطن الخلاف ٢ - البعد عن هيمنة الكبراء والاعيان ٣ - البعد عن الهيئات والأحزاب ٤ - التدرج فى الخطوات ٥ - إيثار النواحى العملية على النواحى المظهرية ٦ - تواؤمها مع روح الشباب ٧ - سرعة الانتشار فى المدن والقرى (٦٤) .

وتطرق حسن البنا فى هذا المؤتمر إلى نواح عديدة وكرس بهذا المؤتمر الانغماس الكامل لجماعة الإخوان فى العمل السياسى الأمر الذى كانت تتكره قبل ذلك .

ولقد ظهرت فى هذه الفترة شعارات الإخوان عن الأشياء الكريهة التى يجب تجنبها والأشياء المحببة التى يجب التمسك بها أى الموبقات العشر والمنجيات العشر وهناك أيضا الواجبات العشر وفى كل هذه التوجيهات تجد التعرض لقضايا سياسية ووطنية واقتصادية وقومية جنبا إلى جنب مع القضايا الاجتماعية والأخلاقية والدينية فالموبقات العشر تشتمل على ١ - الاستعمار ٢- الخلافات السياسية والمذهبية والشخصية ٣- الربا ٤- الشركات الأجنبية ٥- التقليد الغربى ٦- القوانين الوضعية ٧- الإلحاد والفوضى الفكرية ٨- الشهوات والإباحية ٩- فساد الخلق وإهمال الفضائل النفسية ١٠- ضعف القيادة وفقدان المناهج العلمية .

والمنجيات العشر تشتمل على :

١- الوحدة ٢- الحرية ٣- تنظيم الزكاة ٤- تشجيع المشروعات الوطنية ٥- احترام القومية ٦- العمل بالشرائع الإسلامية ٧- تثبيت العقائد الايمانية ٨- إقامة الحدود الإسلامية ٩- تقوية الفضائل الخلقية ١٠- اتباع السيرة المحمدية.

أما الواجبات العشر فتشتمل على ما يأتى :

١- حمل شارتنا ٢- وحفظ عقيدتنا ٣- وقراءة وظيفتنا ٤- وحضور جلستنا ٥- وإجابة دعوتنا ٦- وسماع وصيتنا ٧- وكتمان سريرتنا ٨- وصيانة كرامتنا ٩- ومحبة إخواننا ١٠- ودوام صلتنا (٦٥) .

اتهام الإخوان بغموض الأهداف

ولقد ثار النقاش والجدل داخل جماعة الإخوان وخارجها حول هذا التطور الجديد ، والناس منه فى مواقف متعارضة وحيرة من أمر هذا التحول تتساءل وتلح فى السؤال ، مما دفع حسن البنا فى حديث الثلاثاء إلى الرد على هذه التساؤلات محاولا أن يحدد طبيعة الإخوان ، ويعدد الدوافع المختلفة للانضمام لجماعة الإخوان المسلمين ، يقول حسن البنا " لازال كثير من الناس ولازال كثير من الإخوان الجدد يقفون فى شيء من التردد والحيرة أمام أهداف الإخوان .. يرانا بعض المتعبدين نصلى الصبح فنقرأ الأدعية المأثورة ، فيقول هؤلاء قوم يتعبدون لله فلا بأس أن أكون معهم على طاعة الله ، فيتابعهم على أنهم أهل أوراد ومشايخ طرق . وبهذا يقع على ضالته المنشودة ، ثم يراهم آخر بعد قليل يقومون بألعاب رياضية فيقول هؤلاء قوم مجاهدون يربون فى النشء معانى البطولة وينمون فيهم القوة الجسمانية وتقوية العضلات ، فينضم إليهم على هذا الاعتبار ، ويجيء ثالث فيدخل دارهم فيجد على يمينه شركة المعاملات الإسلامية ، وما قامت به من مشروعات فيقول هذا جميل ، إن الإخوان المسلمين لن يتحرروا اجتماعيا إلا إذا تحرروا اقتصاديا ، فلا بد أن نملأ هذه الناحية الاقتصادية ، فأنا معهم على الاستقلال الاقتصادى ، ثم يجيء رابع فيجدهم يتكلمون فى الأهداف الوطنية . فلسطين سوريا لبنان .. أندونسيا شمال افريقيا .. يقولون لا تصلح أمة ما دامت يد الغاصب تستغل كل مشروع من مشروعات الحياة فيها ، وما داموا مكبلين بالأغلال أغلال العبودية والإستعمار . فيقول هذا جميل .. جميل أنهم يعملون للصالح العام .. فأنا معهم . وهكذا نجدهم قد اختلفوا فى أغراضهم . ثم يأتى الأول فيقول : مالنا والسودان واندونسيا وما إليها ، لم تنضم إلى الإخوان إلا على كلمة " لاإله إلا الله " والصلاة والصيام وما إليها ، فما لنا وهذا ؟ فيدخل فى نفسه شيء ، ويجيء الآخر فيقول : إننا اجتمعنا على الإخوان للعمل على الأهداف الوطنية ، فمالنا والمأثورات والصلاة والصيام ؟ "إنهم بتوع دين " مالى وهذا ، ثم يجيء الثالث ممن دخلوا على عمل الاستقلال الاقتصادى ، وقد رأهم اتجهوا إلى ناحية الخير فيقول : مالى وهذا ، لقد عاونتهم على عمل

الاستقلال الاقتصادى فحسب ، فمالى وهذا . وهكذا نجدهم اختلفت وجهاتهم وتغيرت أوضاعهم " .

ثم يقول : والواقع أيها الإخوان أن هذه الصورة تتراءى أمام الناس لأنها كلها عند الإخوان ... فالذى ينظر إلى الإخوان من ناحية واحدة لا يرى إلا ما وقع عليه نظره ، أما من نظر إليهم من جميع نواحيهم فإنه يجدنا نعمل للإسلام ، ونستمد من الإسلام . ولانخرج عن الإسلام .. فهمنا الإسلام على أنه نظام كامل يريد أن ينظم شئون الحياة وأول شأن من شئونه إصلاح النفس وحسن الصلة بالله (٦٦) .

وتتكرر الاتهامات الموجهة إلى الإخوان بغموض الأهداف ويتناول حسن البنا هذه الاتهامات ليرد عليها بما يزيدها غموضا وإبهاما ، ونعرض هنا أحد ردود حسن البنا فى حديث الثلاثاء عن هذا الاتهام :

حين يتحدث أحد المترددين على دار الإخوان عن غموض فكرتهم ويريد توضيحا لها فيقول حسن البنا " ثم يذكرنا الأخ بناحية أخرى فيقول : رغم ترددى على دار الإخوان المسلمين لم أستطع أن أتبين هذا تبينا كاملا واضحا ، لأنكم تخوضون فى كثير من المعانى العلمية ، ولا نسمع عن فكرة الإخوان شيئا .. فنحن نريد كلاما يوضح الغاية ويكشف عن الوسيلة ، لنسير معكم على وضوح ، وإنى أشكر للأخ هذا التوجيه ثم أقول : إن فكرة الإخوان وهدفهم يمكن أن يوضع فى جملة واحدة " إننا نريد أن نحقق رسالة الإسلام " لأن للإسلام رسالة هى أكمل وأوسع وأتم الرسالات الكبرى ، لم تر الدنيا فى تاريخ الرسالات أحسن ولا أتم بالخير والعدل والرحمة منها . ثم يقول :

إن فكرة الإخوان هى تخليص الناس من الآراء الكثيرة التى فرقت الكلمة وصرفت القلوب ، وترجعهم إلى المعين الأول ، وهو ما كان عليه رسول الله (ص) وأصحابه ... ثم نحاول أن نجمع القلوب على رسالة الإسلام حتى يهزها الشوق ويحييها الأمل " (٦٧) .

وإذا كان هناك من انتقد من داخل جماعة الإخوان المسلمين تورطها فى السياسة فهناك على الجانب الآخر من أسكرته نشوة الانغماس فى السياسة ، ورفعت حرارته الثورية الخطب المثيرة والواعدة ، واللهجة الواثقة بالنفس وبالمستقبل التى كان يسمعها من المرشد العام وقادة الجماعة فاندفع يستعجل الثمرة وجنى الحصاد ، ولكن البنا يحاول أن يمسك بالعنان حتى لا تفلت منه السيطرة على حركة الجماعة فيتوجه إلى المتعجلين ببيان مراحل الدعوة من تعريف وتكوين وتنفيذ لأن الدعوة لابد لها من دعائم تنهض عليها من وضوح

الفكـرة وتحديدهـا واستخلاص المؤمنيــن المخلصيــن لهـا وتكوينهـم بحيـث ينهضون بعبء الدعوة ويؤمنون بهـا ويغـارون عليهـا ويكونـون مـن الايمـان والارتباط والقوة بحيث لا ينالون مـن قريـب ولا ينصرفـون عن دعوتهم اذا واجههتم المصاعب والمشقات التى لابد منها فى كل دعـوة يـراد حمـل النـاس عليها " .

والبنا يصارح المتعجلين بأن المرحلة الثانية لم تكتمل " ولم نتكون بعد التكويـن الـذى يسـمح لنـا بـالتنفيذ العملـى " وأنـه مصـر علـى الاسـتمرار فـى الطريـق الـذى رسـمه وأن مـن عصـانى وأبـى إلا الفـورة الوقتيـة والحماسـة العاطفية والتهور الذى أعتقد أنه لا يجـدى فـإن اللـه غفـور رحيـم ولينصـرف عنى إلى حيث يشاء ... ولكنى لا أريد أن أحمل تبعـة طريـق لا أثـق بفائدتهـا ... من أراد أن يتعجـل فميـادين التعجـل أمامـه فسـيحة فليعمـل وليحمـل تبعـة عمله وأنا أعتقد أن البطولة الممتازة هى جهاد النفس فـى الصـبر حتـى يحيـن الوقت المناسب لكل عمل .. لن يطول الوقت الذى ندعى فيه إلى كفـاح جـدى ولكننا لن نتقدم بغير إعداد مهما طال فاستعدوا وليكـن أهـم مـا يشـغلكم حسـن الاسـتعداد (٦٨) . وحـول هـذه المعـانى صـارح حسـن البنـا أتباعـه وبخاصـة المتعجلون منهم فى خطابه فـى المؤتمـر الخـامس بأسـلوب غايـة فـى البلاغـة والحصافة وبعد النظر فقال : " إن طريقكم هـذا مرسـومة خطواتـه موضوعـة حدوده ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعت كـل الاقتنـاع بأنهـا أسـلم طريـق للوصـول .. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضـجها أو يقطـف زهـرة قبـل أوانها فلست معه فى ذلك بحال وخير لـه أن ينصـرف عـن هـذه الدعـوة إلـى غيرها من الدعوات ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلـح الثمرة ويحين القطاف فأجره فى ذلك علـى اللـه .. أيهـا الإخـوان المسلمون : ألجمـوا نـزوات العواطـف بنظـرات العقـول ، وأنـيروا أشـعة العقـول بلهـب العواطـف وألزمـوا الخيـال صـدق الحقيقـة والواقـع ، واكتشـفوا الحقـائق فـى أضـواء الخيال الزاهية البراقة ، ولا تميلوا كل الميـل فتذروهـا كالمعلقـة ، ولا تصـادموا نواميس الكـون فإنهـا غلابـة ولكـن غالبوهـا واسـتخدموها وحولـوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعـض وترقبـوا سـاعة النصـر ومـا هـى منكـم ببعيد (٦٩) .

إن هذا التباين فى المواقف من داخل جماعة الإخـوان المسـلمين كـان تعبيرا عن غموض الأهداف وتميعها وهروب من التحديد العملى لها .

مواقف متناقضة من الدستور

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن صالح عشماوى هاجم مرة الدستور واتهمه بالخروج عن الإسلام ومعاداة شريعته وقد طلبت منه الحكومه العدول عن هجومه وإلا قدمته للمحاكمة فرفض العدول ولكن الشيخ حسن البنا نصحه قائلا " اكتب يا صالح ما يطلب منك " (٧٠) كما نصح حسن البنا فى مقدمة كتابه "مذكرات الدعوة والداعية" من يتصدرون للعمل العام أن يكفوا عن الكتابة فقال " أوصى الذين يعرضون أنفسهم للعمل العام ويرون أنفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة ، فذلك أروح لأنفسهم وللناس وأبعد عن فساد التعليل وسوء التأويل " (٧١) .

وحسن البنا نفسه هاجم الدستور أحيانا على أنه يتعارض مع الشريعة الإسلامية وفى أحيان أخرى ذكر أنه يتفق مع الشريعة فى حوالى ٩٥٪ من مواده وما بقى بعد ذلك فيمكن تعديله بما يتفق مع الشريعة وخوفا من التصادم مع الحكومة خطا حسن البنا خطوة إلى الخلف فدعا فى بداية عام ١٩٤٥ الجمعية العمومية للإخوان المسلمين واقترح عليها بنفسه إدخال تعديلات على المادة الرابعة من الباب الثانى من قانون النظام الأساسى بإدخال فقرة تقول " يؤثر الإخوان دائما التدرج والتطور والعمل المنتج والتعاون مع كل محب للخير والحق ولا يريدون بأحد سوءا مهما كان دينه أو جنسيته أو وطنه .

وفى عام ١٩٤٨ خطا خطوة أخرى لتهدئة المخاوف التى تتصاعد من تصرفات الإخوان ، فيقترح بنفسه تعديل المادة الثالثة من قانون النظام الأساسى ، فأضاف إليها هذه الفقرة " يعتمد الإخوان فى تحقيق أغراضهم على وسائل الدعوة والتربية والتوجيه والعمل وكل وسيلة أخرى مشروعة " (٧٢).

ويعلق د. رفعت السعيد على هذه الإضافات بقوله " فهل كان التراجع حقيقيا ؟ أم أن الشيخ كان يطبق مبدأ " الحرب خدعة " وأنه فى الوقت الذى كان يسلح فيه جيشه السرى الخاص بالقنابل والديناميت والمدافع ويستعد به لأكبر حملة إرهاب شهدها تاريخ مصر الحديث كان يحاول أن يبث الطمأنينة فى قلوب خصومه ؟ إذا جاز لنا الترجيح فإننا نرجح الاحتمال الأخير (٧٣).

ولقد استمرت حالة التميع والغموض فى الأهداف حتى بعد اغتيال الشيخ حسن البنا فحين عين الملك حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى قبل ثورة ١٩٥٢ بقليل وسارت المظاهرات تهتف بسقوطه وسقوط الملك مستخدمة الكناية " يسقط عفيفى وحافظ عفيفى " هاجمت صحيفة الدعوة حافظ عفيفى واعتبرت وكالات الأنباء هذا موقفا جديدا لجماعة الإخوان من الملك ونشرته

كخبر هام فأسرع عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الجماعة وأصدر بيانا جاء فيه : " يقرر المركز العام للإخوان المسلمين أن مجلة الدعوة لا تصدر عنه ولا تنطق بلسانه ولا تمثل سياسته وأنها صحيفة شخصية تعبر عن آراء صاحبها ولا تتقيد دعوة الإخوان المسلمين بما ينشر فيها " (٧٤) ورغم أن حسن البنا رفض وضع برنامج لشئون الدنيا "حتى لا نتفرق" كما أكد أكثر من مرة ولم يعترف أبدا بغموض برامجه فقد توالت اعترافات وتصريحات قادة الجماعة بهذا الغموض وإن كان البعض يتيه بهذا الغموض إعجابا ويذكره كدليل على عبقريته وقدرته الخارقة .

قادة الإخوان يعترفون بغموض الأهداف

فعمر التلمسانى وهو المرشد العام الثالث يذكر أن حسن البنا أخفى أهدافه وخدع الإنجليز والسراى حتى ثبت أقدام الدعوة ، فيقول " فى الوقت الذى وضع الإمام الشهيد حسن البنا أسس الجماعة ونظامها وتشكيلاتها وبدأ فى الانضمام للجماعة العشرات بل الألوف ، فإن هذا الأمر لم يلفت أنظار عناصر وقوى الضغط والنفوذ وأبرزها الانجليز والسراى ، وهكذا نجحت الدعوة . وهذا من توفيق الله وذكاء الإمام الشهيد فى تثبيت أقدامها وترسيخها ثم بدأت ردود الفعل التى تفاوتت بين الشدة والهدوء ويقول الأستاذ عمر التلمسانى أيضا " فى بداية الأمر فإن الإنجليز والسراى لم يكونوا متنبهين لأداء حسن البنا وكانوا يظنونه شيخا من مشايخ الطرق الصوفية ، ولم يقيموا له وزنا أو احتياطا لما كان يهدف هو إليه ، فظلت الدعوة تنشر فى المطالبة بعودة المسلمين إلى تعاليم دينهم ، ولما تكشفت الحقائق وعلمت السراى والإنجليز أن الإخوان المسلمين يريدون أن يكون الحكم شورى بين المسلمين - كما ورد فى القرآن الكريم - شعر الطرفان أن دعوة الإخوان كانت تهدف أصلا إلى تحرير الأوطان الإسلامية من الاستعمار والأجانب فأدركوا قوة وخطر الإخوان وأدركوا حقيقة أهداف الإخوان المسلمين (٧٥) .

ويذكر عمر التلمسانى أن أهداف الإخوان بدأت تتضح فى أواخر الثلاثينات أى بعد أكثر من عشر سنوات على تأسيسها وبدأ الإخوان يتبينون أهدافها ومراميها فى هدوء وفى بعد عن الشعارات والإعلانات (٧٦) وفى هذا اعتراف بأن البنا كان يحتفظ لنفسه بكثير من أهداف الجماعة بعيدا عن

أعضائها وقادتها وأنه وحده الذى كان له الحق فى أن يبوح ببعضها لمن يشاء وفى الوقت الذى يريده .

ومحمود عبد الحليم أحد قادة الإخوان والمؤرخ المعتمد لديهم يذكر أن المرشد أخفى أهدافه عن الحكومة وموه على الانجليز الذين فوجئوا بخطورة الإخوان . فالحكومة المصرية لم تفهم فى فترة الإخوان الأولى فى الجامعة فكرتهم ولا أهدافهم " ولكن الانجليز تنبهوا لخطورة هذه الدعوة حين رأوا فجأة استجابة لها فى أوساط طلبة الجامعة ، وأقول فجأة لأنهم لم يكونوا يعرفون عن دعوة الإخوان شيئا قبل أن تصل الجامعة ، وتبين لى أن الأستاذ المرشد كان حريصا من أول يوم قام فيه بالدعوة على أن يموه على الانجليز ويتفادى أى إجراء يستلفت نظرهم " (٧٧) .

وكاتب آخر من كتاب الإخوان يعترف بأن البنا لم يفصح عن جميع أهداف دعوة الإخوان ووسائلها جملة واحدة ، وأن هذا من دواعى التاكتيك وأن حسن البنا كان قد حدد من أول يوم للدعوة أسسها العقائدية والحركية وأن مراحلها قد حددها فى نفسه ولكنه لم يفصح عنها إلا لخاصته بين الفينة والأخرى أما الآخرون فلم يعرفوا إلا الأهداف المرحلية الآنية التى كان يعلنها للناس كافة (٧٨) وذكر أن الدعوة بقيت مجهولة للأعداء ولم تتضح أهدافها إلا فى المؤتمر الخامس ويذكر أن هدفه من هذا الإخفاء هو عدم لفت أنظار " الأعداء المتربصين بها فيضربوها قبل أن يشتد عودها ويكثر أتباعها " .. " والحقيقة أن هذه الدعوة بقيت مجهولة بالنسبة للأعداء إذ كانوا يعدونها واحدة من الحركات الصوفية أو جمعية دينية تقليدية من الجمعيات التى كانت منتشرة فى مصر آنذاك .... ولم تبرز كقوة تهدد أطماع المستعمرين وتعرقل مخططاتهم إلا حينما أفصح البنا عن أهداف هذه الدعوة فى المؤتمر الخامس " لقادة الإخوان الذى عقد عام ١٩٣٨ " (٧٩) .

ومما يؤكد غموض الأهداف المقالات والتصريحات المتعارضة لحسن البنا عن طبيعة الجماعة ، فهو يتساءل : " هل نحن طريقة صوفية ، جمعية خيرية ، مؤسسة اجتماعية ، حزب سياسى " ثم يجيب : " نحن دعوة القرأن الحق الشاملة الجامعة .. نحن نجمع بين كل خير "

وفى المؤتمر السادس للإخوان المنعقد فى ١٠ يناير ١٩٤١ يأتى تعريف الإخوان بأنهم دعوة سلفية .. طريقة صوفية .. هيئة سياسية .. جماعة رياضية .. رابطة علمية ثقافية .. شركة اقتصادية .. فكرة اجتماعية (٨٠) .

ويعلن حسن البنا فى رسالتة " بين الأمس واليوم " أيها الأخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد ، ولكنكم روح جديد . ونور جديد . وصوت داو " (٨١) .

فحسن البنا فى هذا المؤتمر ينكر على الإخوان أنهم سياسيون حزبيون ، وفى نفس الوقت يعترف بأنهم سياسيون يعتقدون أن الحكومة وهى القوة التنفيذية جزء من تعاليم الإسلام .

وفى العدد العاشر من مجلة النذير ١٩٣٨ يكتب حسن البنا تحت عنوان " الإخوان بين الدين والسياسة ، أهو تدخل حزبى أم قيام بواجب إسلامى " فقال : " ليس هناك شيء اسمه دين وشيء اسمه سياسة وهى بدعة أوربية " (٨٢) .

وفى رسالته إلى الشباب يذكر أن التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج فإنه خصم للإسلام أو جاهل به " ثم يقول : " يخطىء من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة دراويش قد حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية ، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح ، فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة ، ولم يؤمنوا به على هذا النحو ، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة ووطنا وجنسية ، وخلقا ومادة ، وثقافة وقانونا ، وسماحة وقوة ، واعتقدوه نظاما كاملا يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة ، اعتقدوه نظاما عمليا وروحيا معا فهو عندهم دين ودولة ومصحف وسيف " (٨٣) .

البنا يراوغ بوجهى الدعوة

وحول فكرة شمول الإسلام للدين والدولة يذكر الدكتور إسحق موسى الحسينى أن تفكير الإخوان لم يكن واحدا فى كل الأوقات بالنسبة للإسلام كدين ودولة ، وهذه المراوحة بين وجهى الدعوة السياسية والدينية كانت تخدم الجماعة وتساعدها فى فترة توسعها الأولى على النمو ، فقد استطاع تحت ستار الدعوة الدينية أن يجذب كثيرا من العناصر ذات الاهتمامات الفطرية الدينية بعيدا عن الصراعات السياسية ، وتحت ستار الدعوة السياسية شد المتطلعين إلى العمل السياسى خارج نطاق الأحزاب القائمة ، وهذا يوحى بأن الغموض كان مفيدا ومتعمدا يخدم أهداف الجماعة

وتذكر "**كريستينا هاريس**" أن حسن البنا استطاع بذلك أن ينمى أسلوبا ذا فاعلية واقتدار فى العمل ، فهو يؤكد على الطابع الدينى للدعوة إذا وجد فى الحكومة رئيسا قويا ، وينغمر فى الصراعات السياسية إذا وجد رئيسا ضعيفا (٨٤) .

ويؤكد هذه الفكرة ما ذكره حسن البنا فى خطابه إلى على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء فى شعبان ١٣٥٨ هجرية الموافق اكتوبر ١٩٣٩ أى بعد إعلان الحرب العالمية الثانية بأيام – من أن الإخوان وقفوا من كل وزارة ومنها وزارتكم الماضية موقف الحياد التام .. لأن الإخوان يعلمون أن ما أخذوا أنفسهم به من تربية الشعب وبث الأفكار الصالحة القوية فى نفسه أجدى عليهم وعلى الأمة وأنفع من الاتصال بالحكومات التى لا يشغلها الآن إلا التهاتر الحزبى ، ولقد كان لهذه النقطة القويمة أثرها فى إبعاد الإخوان عن عواصف التقلبات الحزبية والحكومية "

فهو هنا يعترف بأن الاخوان اقتصروا فى الفترة الماضية من تاريخ الخطاب بالعمل التربوى ، وهو دينى اجتماعى ، وابتعدوا عن النشاط السياسى والحزبى ، وهذا حماهم من عواصف التقلبات الحزبية والحكومية "

ثم هو فى الخطاب يعرض على **على ماهر** – وهو يعلم بحاجته إلى قاعدة شعبية تؤيده ، حيث لاحزب له يعتمد عليه – استعداد الإخوان لتأييده فيقول : " وقد شرعت الحكومة فى أعمال توجب على كل غيور أن يأخذ بناصرها فيها ويعمل لنجاحها ، فإن الإخوان يرفعون إليكم هذا البيان يوضحون به رأيهم ويعرضون به على الحكومة معاونتهم ومساعدتهم " لأن الإخوان تشبعوا بالروح الإسلامية ، وفى مقابل هذا ينفر من الاعتماد على الذين "تشبعوا بوجوب تقليد الغربيين " ، فهؤلاء لا يمكن أن يأتى على أيديهم ولا تنتج أفكارهم ما يتفق مع فكرة العودة إلى التعاليم الإسلامية .

وأعتقد أن رفعتكم معى فى أن اختيار الرجال الذين يعهد إليهم بوضع برامج الإصلاح والقيام على إنفاذها أهم بكثير من هذه البرامج نفسها (٨٥) .

وبهذا راوغ الحكومات والأحزاب والرأى العام بوجهى الدعوة ، والتمس لنفسه التبرير لدعوته بإلغاء الأحزاب التى صرح بها فى رسالة " نحو النور " معتمدا على أن جماعته دعوة دينية بينما هى حزب سياسى يسعى للسلطة ، فيخلو لها الجو وحدها للعمل السياسى .

الغموض ينتج المحن للجماعة

وفى رسالة حسن البنا " بين الأمس واليوم " التى تحدث فيها عن تطورات الفكرة الإسلامية وأهدافها والتى أصدرها قبل الحرب العالمية الثانية ، وأشار فيها إلى ما يتوقعه لجماعته من محن ببصيرة نافذة ورؤية بعيدة النظر كأنه يقرأ المستقبل ، وهى رؤية جديرة بالتقدير والإعجاب لأنه أدرك صعوبة الطريق وأن كثيرين - حين يعرفون هدفه ، ومنهم من هادنهم وهادنوه - سوف يصطفون جميعا ضده وضد دعوته .

يقول تحت عنوان العقبات فى طريقنا : " أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لازالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومه شديدة وعداوة قاسية ، وستجدون أمامكم كثيرا من المشقات ، وسيعترضكم كثير من العقبات ، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات ، أما الآن فلا زلتم مجهولين ، ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد ، سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ، ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم فى سبيله .. وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان وستقف فى وجوهكم كل الحكومات على السواء " (٨٢) .

فحسن البنا يعترف بأن الدعوة لا زالت مجهولة ، يجهل كثير من الناس مراميها وأهدافها ، وحين يعرفون هذه الأهداف ستلقى منهم خصومة وعداوة قاسية ، ويعترف بهذا بعد أكثر من عشر سنوات من تأسيس الجماعة ، مما يؤكد حقيقة غموض برامج الجماعة وإخفاء أهدافها عن قصد حتى لا تلقى من أعدائها " "خصومة شديدة وعداوة قاسية" فهذا سبب كاف لديه لإصراره على الغموض .

الغموض يعفى الجماعة من تحديد الأهداف

ولقد ساعد هذا الغموض الجماعة فى الهرب من تحديد البرامج السياسية الواضحة سواء بالنسبة للقضية الوطنية أو القضايا الداخلية التى تمس مصالح الجماهير العريضة من الشعب .

ويؤكد طارق البشرى هذه الحقيقة فيقول :

"كان هذا الغموض أيضا يعفى الجماعة من تحديد الأهداف الواضحة فيما يتعلق بالقضايا السياسية الجوهرية التى تواجه الأمة كالمسألة الوطنية ، ومشاكل نظام الحكم الداخلي ، ويعفيها من تفسير الموقف العملى الذى تتخذه في كل مناسبة ، ويمنحها القدرة على أن تطرح للناس موضوعا أو مشكلة مغايرة تماما لما يشغل الجميع من مشاكل سياسية حالة فى أية لحظة ، والحقيقة أن الجماعة برغم ما كان يصدر عن قادتها من تعريض بالاستعمار أحيانا أو هجوم عليه ، كانت أقل التنظيمات السياسية المصرية تعرضا للمسألة الوطنية وتحديدا للموقف إزاءها ، وكان هذا مثيرا للشكوك وملقيا فيضا من الغموض عليها فى أوقات كانت المسألة الوطنية خلالها هى بؤرة الاهتمام العام ، وقد تضمنت رسالة "نحو النور" ما سمى بالموبقات العشر ، ورد الاستعمار على رأسها ، ثم تضمنت خمسين مطلبا من المطالب العملية للدعوة تحت عنوان "بعض خطوات الإصلاح العملى" لم يرد بها مطلب واحد يتعلق بالجلاء أو الاستقلال ، إنما اكتفت بعبارة "تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعا وبخاصة العربية منها تمهيدا للتفكير الجدى والعملى فى شأن الخلافة الضائعة " (٨٧) .

تغطية الغموض بشعارات مثالية

وخلاصة القول أن الأثر الإيجابى للجماعة فى أحداث المرحلة لم يكن يتناسب مع حجمها الكبير ، وكما ذكر طارق البشرى بأن الغموض يمنح الجماعة القدرة على أن تطرح للناس موضوعا مغايرا لما يشغلهم ، فقد حاول حسن البنا تغطية هذا الغموض بإثارة الشباب وإلهاب حماسهم بشعارات مثالية طوباوية ، وإغراقهم فى مثل هذه المتاهات ، وإثارة روح الاستعلاء والعنصرية عن طريق استثارة عبق الماضى وأمجاده وما يستنفره من خيلاء.

ففى رسالته بعنوان "إلى الشباب " يذكر أن الله كتب لهم " منزلة الزعامة بين العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته" " إنكم سادة الدنيا .. وأساتذة العالمين" . وهى شعارات حماسية ومبالغات لاستنهاض الهمم ، ولا بأس من ذلك . " إن العالم كله حائر يضطرب ، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه " .. " فتقدموا باسم الله لإنقاذه فالجميع فى انتظار المنقذ" .

أيها الشباب : ان منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات .

١- نريد أولا الرجل المسلم .
٢- ونريد بعد ذلك البيت المسلم .
٣- ونريد بعد ذلك الشعب المسلم .
٤- نريد بعد ذلك الحكومة المسلمة ... ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه ، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ، ولا بهذه الاشكال التقليدية التى أرغمنا أهل الكفر على الحكم بها والعمل عليها .
٥- ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية .
٦- ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التى سعدت بالإسلام حينا من الدهر .. فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام ، ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل .
٧- نريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم وأن نبلغ الناس جميعا وأن نعم بها آفاق الأرض وأن نخضع لها كل جبار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها "

ثم يقول : " وإنما نعلن فى وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له فى الإسلام ، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها" (٨٨) .

فهل هذه محاولة أخرى - بعد عقيدتنا - لاحتكار الإسلام وحجب صكوك الغفران عمن عدا الإخوان؟!

وفى مقابلة بين طه حسين ولطفى السيد جاء ذكر الإخوان المسلمين فتساءل لطفى السيد عن طبيعة هذه الجماعة وهدفها ، وتدخل طه حسين - بنوع من الفكاهة الساخرة - ليلخص له الموقف كله فى عبارة واحدة فقال : إنها جماعة تريد أن تستعيد الاندلس !!

مراوغة فى مواجهة المواقف

وكان لحسن البنا أسلوبه الماهر فى المراوغة والبعد عن المجابهة فهو يقول : " اشغلوا الناس عن الفكرة الباطلة بالفكرة الصحيحة " ويقول إن

الإشاعة " يقضى عليها بعمل إيجابى نافع يستلفت الأنظار ويستنطق الألسنة بالقول ، فتحل الإشاعة الجديدة وهى حق مكان الإشاعة القديمة وهى باطل " ويقول : " إن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب وتلك الأيام نداولها بين الناس " ويقول إن الدين يوجه المسلمين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح " (٨٩) .

ويقول حسن البنا فى رسالة "الإخوان المسلمون تحت راية القرآن " إن مهمتنا أن نقف فى وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات التى جرفت الشعوب الإسلامية . حتى تنحسر عن أرضنا ولسنا واقفين عند هذا الحد ، بل سنلاحقها فى أرضها وسنغزوها فى عقر دارها حتى يهتف العالم كله باسم النبى صلى الله عليه وسلم " (٩٠) . وهو بهذا كأنه يشرع للعدوان والغزو فى نفس الوقت الذى كنا فيه نشكو من العدوان الواقع علينا ، فكيف يستسيغ ذلك ؟ وكيف نوفق بين الموقفين لندعم شرعية مطالبنا فى الاستقلال والحرية ؟!!

وفى رسالة "إلى أى شىء ندعو الناس" يقول : " إن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة " ثم يقول :" مهمتنا سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية كلها" (٩١) .

ما هدف هذه العنتريات ؟ وهل هى نعرة تعصب واستعلاء ؟ أم محاولة لبث الثقة فى النفوس واستنهاض الهمم ؟! أليست هذه مبالغات حماسية تشغل الشباب وتدفعهم إلى التلهى بها عن دراسة الواقع الأليم والخروج بالحلول الواقعية والممكنة بدلا من التعلق بأهداف خيالية تتناقض مع حقائق العصر وتتصادم مع قيمه وتسىء تفسير الإسلام بما يتعارض مع حقوق الانسان وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وتدفع فى النهاية إلى اليأس أو التهور ؟ !

وفى العدد الأول من مجلة "الإخوان المسلمون" السنة الخامسة سنة ١٩٣٧م نشر حسن البنا كلمة كان قد ألقاها فى حفل ختامى لطلاب الإخوان المسلمين تحت عنوان " فليطمئن الزعماء" وتستشعر فى كلماته أيضا روح الاستعلاء والتعصب والعزلة ، فقد جاء فى حديثه عن طبيعة دعوة الإخوان " فدعوتنا تبنى ولا تهدم وتأخذا بالإيجاب دائما ، فعلينا أنفسنا قبل كل شىء .. فعلينا أن ندرس قانوننا ، وفيه الكفاية ، ونقتدى بما يقول ... وفى رسالة المأثورات غناء " .

وفـى موقفـة مـن الدعـوات الأخـرى دينيـة واجتماعيـة واقتصاديـة وسياسية نلمس إلى جانب الاستعلاء التعصب والعزلـة ونلمس روح التلاعـب والمرواغة أمام نداءات الوحدة أو الجبهة فيقـول " إن خـير طريـق نسـلكها ألا يشـغلنا الالتفـات إلـى غيرنـا عـن الالتفـات إلـى أنفسـنا ، وإن أمتنـا والميـادين الخالية فيها محتاجة إلى جنود وإلى جهاد ، والوقت لا يتسع لنتطلع إلى غيرنـا ونشتغل به "

وهذا الكلام المنمق يغلـف المرواغـة والتلاعـب لأن الميـادين الخاليـة التى يتحـدث عنهـا تشـغل بكفـاءة أكـثر مـع الوحـدة والعمـل الجبهـوى ، وهـو يطالب بعدم الرد على ما توجهه هذه الهيئـات مـن اتهامـات للجماعـة . " ولا يشغلنكم الرد عليه عن الجد فيما أخذتم أنفسكم بسبيله . و ستسـمعون أن هيئـة تتهمكم بالاتصـال بهيئات أخرى تكرههـا أو تصادمهـا ، فـلا تهتمـوا بذلـك ولا تحاولوا أن تنفوه أو تثبتوه فإن على المتهم أن يثبت والبينة علـى مـن ادعـى ، وستسمعون أن قوما يريدون أن يتصلوا بكم وأن تتصلوا بهم من أهل العمل ، إمـا صـادقين أو غـير صـادقين ، فـأحب أن أقـول لكـم هنـا بكـل وضـوح إن دعوتكـم هـذه أسـمى دعـوة عرفتهـا الإنسـانية وإنكـم ورثـة رسـول اللـه (ص) وخلفاؤه على قرآن ربه وأمناؤه على شريعته .. وإذا كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولاتأتى هى أحدا ، وتستغنى عن غيرها إذ هى جماع كل خير وماعداها لا يسـلم مـن النقـص ، اذن فـأقبلوا علـى شـأنكم ولا تسـاوموا علـى مناهجكم واعرضـوه على الناس فى عز وقـوة فمـن مـد لكـم يـده علـى أساسـه فأهلا ومرحبا .. أخ لكم يعمل معكم ويؤمن إيمانكم وينفذ تعاليمكم ، ومن أبـى ذلـك يـأتى اللـه بقـوم يحبهـم ويحبونـه .. لا تسـتعجلوا .. وسـتكونون مـن المطلوبين لا الطالبين " (٩٢) .

الغموض فى التفاصيل

وليس معنى غموض أهداف الإخوان المسلمين أن أدبيـاتهم قد خلت من الحديث عن هذه الأهداف بل معناه أن أهدافهم السياسية الخاصة بالقضايـا التفصيلية الاجتماعية والاقتصاديـة والسياسـية لـم تكـن بـالتحديد الكـافى لهيئـة تتصدى للعمل السياسى ، هذا علاوة على إنكارها أحيانا أنها تعمـل بالسياسـية أو أنها حزب بينما تمارس نشاطا سياسيا وحزبيا وتطالب بإلغاء الأحزاب .

أمـا عـن المنـاهج العامـة والخطـوط الرئيسـية فإننـا نجـد الكثـير مـن التصريحات والمقالات ذات البصيرة النافذة خاصـة عند تشـخيص الـداء ففـى

١٩٣٤ كتب حسن البنا بمجلة "الإخوان المسلمون" تحت عنوان " ناحية واحدة لا تكفي" داعيا إلى تعدد نواحي الإصلاح لكل أمة تريد الرقى مثل أمتنا " فلا يكفيها أن تعالج ناحية واحدة من نواحي الإصلاح بل لابد لها من أن تتناول كل النواحي بالتقويم والتجديد سواء في ذلك النواحي الاجتماعية أو الاقتصادية أو الخلقية أو الأدبية الفنية أو الفكرية العلمية أو السياسية أو القانونية وذلك حتى يقوى بعضها بعضا" .

ويتحدث عن أن الناحية الاقتصادية عندنا هي علة العلل وبخاصة الديون الأهلية التي تأخذ بخناق الأفراد والأسر الكبيرة فيقول " إن الدين الأهلي لو وزع على أرض مصر المنزرعة لخص الفدان الواحد منها ما يزيد على سبعين جنيها في المتوسط ومعنى هذا أن أرض مصر المزروعة كلها دين لغير المصريين . وأشار إلى خطورة السيطرة الأجنبية على الناحية الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية " والشركات الأجنبية والبضائع الأجنبية والكماليات الأجنبية والخمور الأجنبية والنساء الأجنبيات والسماسرة الأجانب عوامل مدمرة للثروة الوطنية وهي عقبة كؤود في سبيل النهوض الاقتصادي وسبب كبير في كثرة العاطلين من الأيدي القادرة على العمل وفي استنزاف الصبابة التي تبقى بأيدي الوطنيين من المال أو العقار ، وأما الناحية الخلقية فقد انهدمت أصولها في النفوس وتحطمت قواعدها وقوانينها " (٩٣) .

وقد اشتملت أهداف الإخوان بجانب إعادة الخلافة والوحدة العربية الإسلامية وإدماج الأحزاب في هيئة واحدة وتطبيق نظرية الإسلام الاقتصادية على إعادة النظر في نظام الملكيات في مصر بتحديد أو اختصار الملكيات الكبيرة وتعويض أصحابها وتشجيع الملكيات الصغيرة ولكنها لم تضع حدا أعلى للملكية وتمصير الشركات وانتزاع المرافق العامة من الشركات الأجنبية وتوزيع أملاك الحكومة على صغار الزراع و فرض ضريبة الزكاة على رأس المال والربح وإقرار الضرائب التصاعدية وإعفاء الفقراء منها وتحريم الربا والعودة إلى القرآن والسنة كمصدرين للتشريع (٩٤) . ويتقدم على ماهر باشا بمشروع برنامج لرسم سياسة قومية في الشئون الخارجية والداخلية والاجتماعية والاقتصادية ويدعو المفكرين وأهل الرأي إلى أن يقولوا رأيهم في هذا المشروع ومايتم الإجماع عليه يلخص في ميثاق قومي تتوحد على تنفيذه الجهود ، وقد كتب حسن البنا في ديسمبر ١٩٤٦ مقالا بعنوان " برنامج قومي " أشاد فيه بعلي ماهر وبفكرته وبضرورتها ولكنه يعقب على ذلك بأن الأزمة ليست في المناهج وحدها ولكنها في الرجال والأخلاق فالإخوان

يعتقدون أن أساس العلة ليس فى الأوضاع أو المناهج وحدها ولكن فى الرجال والنفوس والأخلاق وأن أى منهاج مهما كان قاصرا ، ينتظر أن يكون صالحا إذا تولى إنفاذه الرجل الصالح وأشرفت عليه الأنفس الصالحة ، كما أن أى منهاج كامل صالح لا ينفع ولا يفيد إذا تولته النفوس المريضة وقام على إنفاذه الأشخاص المغرضون ، ولا نظن أن أزمتنا " أزمة مناهج " ولكنها " أزمة أخلاق " قبل كل شيء.. إن إصلاح النفس هو عصا التحويل فى كل نهضة من نهضات الأمم ... ذلك ما يجب أن نفكر فيه طويلا ، ولن نصل إليه إلا برسالة روحية مشرقة (٩٥) . ورغم أن حسن البنا بدأ مقاله بتأييد مبادرة على ماهر فى مشروع برنامجه لرسم سياسة قومية لما بينهما من علاقات وثيقة سابقة فقد انتهى إلى تفريغ المشروع من مضمونه بالقول أن الأزمة ليست أزمة برامج بل هى أزمة أخلاق وإن الحل هو إصلاح النفس فهذا الإصلاح هو عصا التحويل و بما أن هذا الإصلاح التربوى الأخلاقى يحتاج إلى وقت طويل فلنؤجل المناهج مع أنه سبق أن ذكر أن نهضتنا لا تزال مبهمة لا وسائل لها ولا غايات ولا مناهج ولا برامج . ناقدا لهذا العيب وهو يقدم ملاحظة دقيقة وصحيحة وهى أن المناهج مهما كانت كاملة صالحة لا تنفع ولا تفيد إذا تولت تنفيذها النفوس المريضة ولكنه لم يتطرق إلى حل عملى قادر على حسن التنفيذ بل قصر الحل على إصلاح النفس وهو هدف نبيل ولكن إنجازه يحتاج إلى مناخ ديمقراطى ورقابة شعبية ومشاركة من الطبقات والفئات المختلفة فى التنفيذ وهو مالم يتعرض له لأن هذا خارج عن إطار فكره الشمولى الذى يتطلب " الطاعة فى المنشط والمكره " وركز فقط على الصلاح الفردى والوازع الذاتى وهو عنصر لا نضمن توافره إلا بتوافر شروط اجتماعية واقتصادية وسياسية عامة تنتظم المجتمع كله .

الدعوة إلى وضع برنامج مفصل دون جدوى

وأمام الإحساس بافتقاد المناهج وضغط الإخوان من الداخل والهيئات الأخرى من خارجها وأمام التساؤلات الكثيرة عن طبيعة جماعة "الإخوان المسلمون" اصدرت الجمعية العمومية للإخوان قرارت نشرتها فى جريدتها فى أول سبتمبر ١٩٤٦ وقد جاء فى هذه القرارت . يعلن المجتمعون أن الإخوان المسلمين ليسوا حزبا غايته الوصول إلى الحكم ولكنهم هيئة تعمل لتحقيق رسالة إصلاحية شاملة تركز على تعاليم الإسلام الحنيف وتتناول كل نواحى الإصلاح الدينى والسياسى والاجتماعى وتسلك إلى كل ناحية سبيلها

القانونية شكلا وموضوعا ويقرر المجتمعون أن الوضع الاجتماعى فى مصر أمام التطورات العالمية والضروات الاقتصادية وضع فاسد لا يحتمل ولايطاق ، وأن على المركز العام للإخوان المسلمين أن يعلن برنامجه المفصل لإصلاح هذا الوضع ولرفع مستوى الشعب أدبيا بالتربية والثقافة وروحيا بالتدين والفضيلة ، وماديا برفع مستوى المعيشة وتحقيق العدالة الاجتماعية التى تفرضها الاشتراكية الإسلامية ، والتى يحيا فى ظلها العامل والفلاح والزارع والتاجر وكل مواطن حياة مريحة كريمة ويعمل على تنفيذه فى حزم وإسراع .

كما دعت القرارت إلى رفض مشاريع المعاهدة وإعلان بطلان معاهدة ١٩٣٦ وسحب القوات البريطانية ورفض أية محالفة قبل الجلاء وإن بقاء الإنجليز عدوان على الوطن كما دعت القرارت الزعماء والأحزاب لبدء الجهاد ضد الغاصبين وطالبت القرارات بأن يعاد إلى مملكة وادى النيل ما انقطع من أرضها ظلما كواحة جغبوب وأريتريا ومصوع وزيلع وهرر (٩٦) .

فهل نفذ المركز العام قراره وأعلن برنامجه المفصل ، لم يحدث ولم تكن هذه هى المرة الأولى فقد وعد حسن البنا قبل ذلك بتقديم برنامج ولم ينفذ . يقول رفعت السعيد : " الشيخ يعد ويعد بأنه سيقدم برنامجا ولا يفى بوعده وقد قرأنا له فى صفحات سابقة أكثر من وعد لم يف به وفى رسالة " إلى أى شيء ندعو الناس " أشار المرشد إلى قضايا العصر قائلا إن العالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية والحرب وتوزيع الثروة والصلة بين المالك والمستهلك كلها خاض فيها الإسلام . ثم عاد الشيخ فقال إن المقام لايسمح بالتفصيل فإن الأمر يحتاج لجولات ووعد أن يفصل فيها القول ، ولم يف حسن البنا بوعده أبدا . وكما قال هاريس : " ذلك أن البنا كان دائما غامضا فى حديثه عن الاقتراحات التفصيلية والمتعلقة بالحكومة الإسلامية وأنه لم يحدث مطلقا أن شرح نواياه بوضوح " (٩٧) .

فإذا سئل حسن البنا عن برنامجه السياسى أجاب " نحن مسلمون وكفى ، ومنهاجنا منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى ، وعقيدتنا مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وكفى " فإذا أبدى البعض شكوكه حول إمكانية العمل السياسى دون برنامج سياسى ، اتهمه الشيخ بأنه " مريض القلب سيىء الظن غير سليم القلب ، فهو يطعن ويتجنى ويتلمس للبرءاء العيب ، وكلا الأمرين وبال على صاحبه وهلاك للمتصف به "

وكان التساؤل طبيعيا حيال جماعة تقتحم العمل السياسي ويعلن مرشدها العام فى النذير فى عددها الأول أن الإسلام عبادة وقيادة ودين ودولة روحانية وعمل وصلاة وجهاد وطاعة وحكم ومصحف وسيف وكان من حق الناس أن يتساءلوا : ضد من سيستعمل السيف ؟ ومن الذى سيستعمله ؟ خاصة وأن الجماعة استخدمت السيف مع خصومها والإسلام إن كان واضح المعالم فى العبادات وفى الفروض والمباحات والمحظورات غير أن الدعوة السياسية المتعلقة بنظام الحكم والموقف من الطبقات والسلطة ومؤسسات الدولة والأحزاب يحتاج إلى الكثير من التفاصيل المفتقده فى أدبيات الإخوان .

انعدام البرنامج كان أمرا مقصودا

وقد اعترف بعض قادة الإخوان بأنهم جماعة سياسية بغير برنامج سياسى **فهنداوى دوير** فى شهادته أمام محكمة الشعب خلال محاكمة **محمود عبد اللطيف** ردا على سؤال المدعى : ألم تضعوا أبحاثا عن كيفية الحكم بالإسلام ؟ يقول " أيام الأستاذ البنا طلبت منه أن يكتب فى هذا فقال لى .. أذكر بالضبط أنه قال لى إن احنا شبعنا كتب وكتابات ، وإن المكتبة الإسلامية مليئة ، وإن مهمتنا مش إننا نعمل كتب بل مهمتنا أننا نعمل رجالة "

ويعود المدعى ليسأله : يعنى مفيش تحديد ولا نص ؟

فيجيب : الواقع أن الاخوان لم يعدوا هذا الدستور . وأنا قلت لحضراتكم إننى قلت للأستاذ البنا إحنا عاوزينك تفضى شوية على أساس أنك تكتب لنا إيه اللى يطبقه الإخوان .. وأذكر أنه قال فى مناسبة ما إن الناس يجتمعون على مبادىء لا على تفاصيل ، لأننا إذا دخلنا فى التفاصيل فسنختلف ونتفرع ولا ننتهى إلى خير كثير ... وان احنا ماشين على مبادىء إسلامية ولو تعرضنا للتفاصيل فيمكن يجىء فقيه ويختلف معنا وجايز نستهلك فى مسائل فرعية "

ومنير الدلة عضو مكتب الإرشاد العام يؤكد أن انعدام البرنامج كان أمرا مقصودا وذلك فى شهادته أمام محكمة الشعب خلال محاكمة الأستاذ المرشد حسن الهضيبى :

وكيل النائب العام : هل لجمعية الإخوان برنامج لنظام الحكم ؟

الشاهد : ليس لجمعية الإخوان برنامج لنظام الحكم .

وكيل النائب العام : على أى أساس تقوم دعوتهم ؟

الشاهد : الجمعية أو الهيئة تنادى بالدعوة الإسلامية ، وتدعو إلى الفكرة العامة الإسلامية ، الفكرة الإسلامية كفكرة عامة ، ولا تضع نظاما محددا

ودقيقا يسمى نظام الحكم الإسلامى . ولكنها ترسم خطوطا عريضة إذا تحققت وجد نظام الحكم الإسلامى ، ويمكن أن يوجد داخل هذه الخطوط عدة أنظمة تبقى كلها إسلامية ، إذا كان متوفرا فيها الشروط العامة التى يضعها الإسلام ، أما اختيار نظام معين وتسميته أنه نظام إسلامى فهذه فكرة دقيقة ، وهذا هو ربما من الأسباب التى دعت الجمعية بألا ترسم صورة وتفرضها بتسميتها أنها نظام الحكم الإسلامى واكتفت ببيان الدعوة الإسلامية أو الأسس الإسلامية فى الناحية السياسية مطالبة به فى منحى الحياة العامة .

وكيل النائب العام : ونظام الحكم فى مصر هل يخالف الإسلام ؟

الشاهد : الإسلام يضع القواعد العامة ، والحكم يبقى إسلاميا إذا كان فيه شورى بأى صورة من الصور ومفيش صورة محددة ، وما دام قائما على العدالة ومسئولية الحاكم عن أعماله الفردية ، هذه المعانى لو تتوافر يبقى نظام اسلامى ... وإذا استكمل الوضع الدستورى فى الوضع الحالى أى لما يستكمل نظام الشورى بإعادة الحياة النيابية يبقى الوضع إسلامى (٩٨) .

وهذه الشهاده فيما يخص نظام الحكم يجب ألا تؤخذ على إطلاقها خاصة وهى صادرة من إنسان مقيد الحرية يرسف فى أغلاله وهو لا يملك حرية كاملة فى التعبير عن آرائه وخصوصا إذا قارنا بين هذه الشهادة ومواقف أخرى لحسن البنا تدعو إلى تعديل الدستور المصرى تعديلا جوهريا توحد فيه السلطات كما ذكر فى رسالتة " نحو النور " عام ١٩٣٨ وفى رسالة المؤتمر الخامس ، إن حديث الشاهد المرن عن الخطوط العريضة التى إن تحققت وجد نظام الحكم الإسلامى .....الخ حديث الشاهد هذا الذى يتسم بالمرونة ورحابة الصدر ، لا نعرف على وجه اليقين مدى الجدية فى الأخذ به لو أتيح لمثل هذا الاتجاه أن يسيطر على السلطة ، هل سينفذه ؟ أم ستتحول سعة الصدر والمرونة التى أبداها أمام المحكمة إلى ضيق واضطهاد لأى فكر مخالف حتى ولو كان فى إطار الدعوة الإسلامية ، وتجربة إيران والسودان خير شاهد على ذلك .

وهذا قائد آخر من قواد الإخوان . وكان متحدثا رسميا باسمهم يذكر مفتخرا : أن الإخوان أخفوا أهدافهم عشر سنوات وهم يعملون فى صمت وكتمان وإصرار وسعى متواصل فى غير ضوضاء ولا ضجيج وفى غفلة من كل القوى : " قوة المحتلين الانجليز وقوة الملك وقوة الأحزاب السياسية وقضاها الداعية الشاب حسن البنا وإخوانه فى بث الدعوة ونشر الفكرة وتوضيح المفاهيم وتجنيد الدعاة وتجميع الأنصار وربطهم بعضهم ببعض

برباط الإيمان والعقيدة . عشر سنوات كاملة ...... لم يحس خلالها الإنجليز بخطر هذه الحركة ولم يشعر بها الملك ولم تر فيها الأحزاب شيئا من خطر المنافسة على مواقعها الشعبية .

واستشهد الكاتب بماقاله حسن البنا عن نشأة الجماعة وكيف كان ذلك في جو لا يخلو من منازعات حزبية و حزازات سياسية تزكيها المآرب الشخصية ولم يشأ الإخوان المسلمون أن يزجوا بأنفسهم فى هذا الميدان فيزيدوا خلاف المختلفين ويمكنوا للغاصبين ويلونوا دعوتهم وهى فى مهدها بلون غير لونها ويظهروها للناس فى صورة غير صورتها فتقلبت الحكومات وتغيرت الدولات وهم يجاهدون مع المجاهدين ويعملون مع العاملين منصرفين إلى ميدان مثمر منتج هو ميدان تربية الأمة وتنبيه الشعب وتغيير العرف العام ... وأعتقد أنهم قد نجحوا فى ذلك إلى مدى يحمدون الله عليه ويسألونه المزيد (٩٩) . ولنفترض فى النهاية أن حسن البنا لم يخف أهدافه . كما اعترف الكثيرون من أتباعه وأنه أعلنها فى برامج تفصيلية فالمحك النهائى لشعارات وبرامج الأحزاب والهيئات إنما هو التطبيق العملى لها . والموقف الفعلى من الأحداث و الطبقات ، والأهداف والبرامج المتعلقة بالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. التى صدرت عن الإخوان فى بعض المراحل بجانب أنها اتسمت بالعمومية فلم تركز حولها الدعاية اللازمة ولم تشغل اهتمام الإخوان ولم تقترن بمواقف عملية أو تترجم إلى نشاط واقعى .

وعاش الإخوان بمعزل عن قضايا الناس ومشاكل الفئات المختلفة من الشعب فشدوا اهتمامات الشباب بعيدا عن الانشغال بالقضايا الوطنية والديمقراطية والتحرك فى إطار حركة حزب الوفد والأحزاب الوطنية الأخرى وامتصوا طاقاتهم فى قضايا فرعية ثانوية وكانوا بذلك يحققون موضوعيا أهداف القصر وأحزاب الأقلية والاستعمار فى ضمان الاستقرار لا ستمرار سياستهم المناوئة للشعب وطموحاته ، واستغل الإخوان الحس الفطرى الدينى للسيطرة على توجهات الشباب وكان البنا ينصح أتباعه دائما بقوله " أشغلوا الناس عن الفكرة الباطلة بالفكرة الصحيحة " وكل فكرة لا تتفق مع آراء الإخوان أو مع آراء الشيخ حسن البنا اعتبرها باطلة .

دعوة بعض الإخوان للاهتمام بقضايا الشعب

ولقد عبر عن عزله الإخوان عن مشكلات الناس ما نشرته مجلة الإخوان المسلمون " الأسبوعية ١٩٤٨ ، فقد نشرت المجلة خطابا مفتوحا من أحد أعضاء الجماعة موجها إلي وكيل المكتب الاداري ومدير مكتب جريدة الإخوان بالاسكندرية بعنوان : " من الاتجاهات الأساسية في دعوتنا " وهو يثني عليه لنشاطه كمحام مع نقابات العمال واحتضانه لقضاياهم ويطلب عرض دعوة الإخوان من خلال مشاكل الناس فيقول " أصل من أصول دعوتنا هو أن تكون مع الكادحين حتى ينتصفوا وعلى المستغلين حتى يعدلوا" (فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وإن كانت الأخرى (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) .

وهو يعلل لدعوته بأن الجماهير مستعدة للفهم بعواطفها والاستجابة لصوت حاجتها ومطالبها في كل الأوقات ولكن ليس كل الناس ولا في جميع الأوقات يستطيعون الفهم العقلي المجرد المبني على أصول البحث والقياس والاستقراء فتقديم الدعوة من جانبها النظري الدقيق غير تقديمها في ثوب العلاج والإنقاذ والاستجابة للمطالب والرغبات العادلة ، فالناس في هذه الآونة يشكون إملاقا وظلما ، فهم يستجيبون لصرخة تكيف دعوتها بالنسبة لحاجة الناس لا سيما إن اقترنت هذه الصرخة بمؤيدات عملية من العون والمساعدة للمقهورين على قاهريهم أكثر مما ينساقون لمبادىء عامة لا تلمس فيهم سر الداء الدفين وموضع العلة ، الكمين .

وطالب بأن تهتم الدعوة بقضايا الساعة في نظر الجمهور ، لأن "أخطر ما يتحدث فيه الناس اليوم قوتهم الذي يأكلون والباشوات والخواجات الذين إياهم يستغلون وهذا عين ما تنبهت إليه الشيوعية في الشرق " . وذكر أن دعاتها ضربوا على الوتر الحساس فاهتموا بالقضايا التي ينشغل بها الرأي العام ، ودعا إلى احتضان الإخوان للبائسين المستعبدين فعلي بن أبي طالب يقول " خاطبوا الناس بما يفهمون " وفي هذا رد على الشيوعية عمليا وإيجابيا بمثل سلاحها ولا يفل الحديد إلا الحديد ، كما دعا إلى محاربة الإقطاع لأنه يسيطر على الانتخابات ويربط المستعبدين إلى عجلته ويسيرهم وفق شهوته ويتحكم في القرية والمصنع والشركة ويقف في طريق الدعوة فيحجب الناس عنها ويقطع عليها الطريق إلى قلوبهم . ويصف الباشوات والخواجات بالاصنام وبالزبانية الغلاظ الشداد القاسية قلوبهم " فأسلوب عرض الدعوة

يحتم علينا أن نحتضن قضية المستضعفين التى هى بعد ذلك وقبل ذلك أصل من أصول الإسلام وحق من حقوق الإنسان " (١٠٠) .

وأمام هذه الضرورة السياسية والاجتماعية الملحة التى تفرض الاهتمام بمشاكل الشعب كانت استجابة الشيخ محمد الغزالى قوية وصادقة وأمينة فبإيمان بالشعب وبقضاياه وبإحساس بضمير الجماعة واستجابة لروح الإسلام فى العدالة والمساواة والحرية كتب ثمانى مقالات " بمجلة الإخوان المسلمون " الأسبوعية فى الفترة من مايو ١٩٤٨ الى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨ تجت عنوان " تأملات فى الدين والحياة " تحدث فيها عن " مبدأ الملكية بين التقييد والإطلاق " وأن الرأسمالية الشرقية لا تستحق احتراما " ودعا الى تقييد الملكية وكان فى هذا يرد على المفتى (أظنه الشيخ حسنين مخلوف) الذى أصدر كراسة فى ذلك الوقت توحى بالدفاع عن الرأسمالية ، ودعا إلى أن يقف رجال الدين مع الشعب فى الدفاع عن قضاياه لا أن يكونوا مطية لخدمة شهوات الحكام ، وذكر الناس - بالإعجاب والتقدير - بعالم فذ وفتوى رائعة للشيخ الإمام محى الدين النووى الذى رفض مطلب الظاهر بيبرس حين طلب منه إصدار فتوى بالموافقة على جواز أخذه مال الرعية لينتصر به على قتال التتار بالشام فرفض الإمام النووى حتى يجرد الظاهر بيبرس مماليكه وجواريه من الذهب والحلى ، وهكذا يجب أن يكون موقف رجال الدين .

وقد انحاز الغزالى بجرأة وقوة حجة إلى الشعب مستشعرا آلامه وآماله ملحا على طلب المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص بين الناس (١٠١) وسوف نفصل القول فى هذه المقالات فى مكان آخر .

وماعدا هذه الأصوات القليلة والنادرة فى صحافة الإخوان والتى انحازت إلى القضايا الاجتماعية والسياسية لأغلبية الأمة لا نجد إلا مقالات ومواد مكررة ومعادة عن الانحراف الخلقى والتحلل الاجتماعى ومنع المرأة من العمل ورفض الاختلاط والحديث عن الخمارات ودور البغاء ... الخ ونحن لا نقلل من أهمية هذه القضايا وضرورة تهذيب الأخلاق وتربية الشعب على الاستقامة والمثل العليا الرفيعة ولكن يجب أن نعى أن هذه القيم تنمو من خلال مناخ سياسى واجتماعى واقتصادى صحى فهى نتيجة لهذه الأوضاع قبل أن تكون سببا لها والتركيز على هذه القضايا فى مواجهة القضايا الرئيسية وانعزالا عنها مما يعيب جماعة جعلت العمل السياسى والوصول إلى الحكم هدفا أساسيا لها .

تناقض بين الشعارات والتطبيق

لقد كان التطبيق العملى لشعارات الإخوان وأهدافهم المعلنة مما يتعارض مع هذه الشعارات والأهداف .

فقد ذكر البنا خصائص سبع لجماعة الاخوان جاء أولها البعد عن مواطن الخلاف الفقهى وبرر ذلك بأن الخلاف فى الفرعيات أمر ضرورى لا بد منه ، وبأن الامام مالك قال لأبى جعفر المنصور وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ - " إن أصحاب رسول الله (ص) تفرقوا فى الأمصار وعند كل قوم علم فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة " .

ويعلق حسن البنا على ذلك بأنه يكفى الناس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلما كما قال زيد رضى الله عنه (١٠٢) .

هذا الموقف المتسامح فى الخلاف الدينى نظريا تحول فى التطبيق إلى احتكار للإسلام وسيطرة عليه لحساب الجماعة فأى خروج عن عقيدة الإخوان هو خروج فى نظرهم عن الفكرة الإسلامية كما جاء فى قرارت المؤتمر الثالث للإخوان المسلمين وعلى المستوى السياسى والفكرى عمق الإخوان من الخلافات السياسية والفكرية فأرهبوا خصومهم واتهموهم بالكفر والإلحاد مما أجبر الكثيرين من رموز الفكر الليبرالى على تغيير توجهاتهم السياسية والفكرية في الثلاثينات بل واستخدموا القنابل والديناميت فى اغتيال الخصوم ونسف منشآتهم ، وعمقوا من الخلافات السياسية بصراعهم ضد الوفد والقوى الديمقراطية و التقدمية وتحالفهم مع القصر وأحزاب الأقلية وقد وصل صراعهم مع الوفد إلى حد استعمال الرصاص والقتل كما حدث فى بورسعيد وانشقاق الحركة الطلابية والعمالية ١٩٤٦ .

وتعبر كاتبة من مركز الدراسات السياسية والاستراتجية بالأهرام عن موقف الإخوان السلبى من " الليبرالية والتطور الديمقراطى فى مصر " فتقول " إن بروز حركة الإخوان المسلمين بقوة على الساحة السياسية ولعبها لدور هام على صعيد التطور السياسى والاجتماعى لمصر كان لابد وأن يسهم بدوره فى إضعاف الليبرالية وإنهاكها ، فعلى عكس محاولات الإصلاح الدينى التى سبقتها على يد محمد عبده والتى قدمت أساسا ملائما لنمو المدرسة الليبرالية ، فإن حركة الإخوان ولدت وهى تحمل خصومة تاريخية مع هذا الفكر بسبب موقفها العدائى الرافض لقيم الحضارة الغربية واعتبارها أن الليبرالية موازية للتغريب فهدمت بذلك الجسر الذى أقامه الفكر الإصلاحى بين الإسلام والتحديث ، وزاد من قوة تأثير هذه الحركة تجاوزها مجال الفكر

إلى العمل السياسى المباشر وجذبها لنفس القوى الاجتماعية التى اعتمدت عليها الليبرالية وهى الطبقة الوسطى (١٠٣) .

ومن خصائص دعوة الإخوان أيضا التى ذكرها البنا : البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء والبعد عن الأحزاب والهيئات ، وقد رأينا كيف تحالف الإخوان مع القصر وأحزاب الأقلية ومع الشخصيات المستقلة ذات الاهتمامات العربية والإسلامية وكيف استطاعت هذه القوى أن تستخدم الإخوان فى صراعاتها ضد الوفد ثم انقلبت فى النهاية عليها .

لقد أعلن الإخوان معارضتهم لدستور ١٩٢٣ وللزعامات السياسية القائمة وبشكل خاص النحاس باشا وعارضوا القومية المصرية والنضال المشترك مع الشعوب الأخرى كما عارضوا الصراع الاجتماعى ضد الرأسمالية والوجه الوطنى والقومى للصراع ضد الاستعمار والصهيونية .

فما هو البديل الذى قدمة الشيخ البنا - بعبارة د. رفعت السعيد - حتى نفهم حقيقة برنامجه " نفيا لدستور ١٩٢٣ نادى الإخوان " القرأن دستورنا

ونفيا للزعامات السياسية (النحاس باشا أساسا) نادوا " الرسول زعيما "

ونفيا للمصرية والنضال المصرى رفعوا أعلام " الخلافة الإسلامية "

ونفيا للنضال المشترك مع الشعوب الأخرى ينادى البنا " إن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب وتلك الأيام نداولها بين الناس "

ونفيا لأى نضال اجتماعى ضد ثراء الأثرياء الرأسماليين يقول الشيخ البنا " أما موقف الإسلام من الأغنياء وأصحاب رءوس الأموال ، فليس بيننا وبينهم إلا أداء الزكاة "

وفى مجابهة المؤامرات الاستعمارية الصهيونية ضد فلسطين والعرب حرف الإخوان المعركة وهى فى أوجها إلى معركة بين مسلمين ويهود .. وشنوا هجماتهم ضد اليهود المصريين وكأنهم يحضونهم حضا على الهجرة إلى إسرائيل .

ثم يستطرد إلى القول بأن " الشىء الأساسى فى بلد شبه مستعمر كمصر الأربعينات كان الموقف من القضية الوطنية "

ويتهم موقف الإخوان بالغموض حيال هذه القضية فهم ينظرون للاستعمار على أنه ليس سوى هجمة صليبية وبهذا يفرغون النضال " ضده من المفاهيم الوطنية والقومية والاقتصادية والاجتماعية ويصب فقط فى

طاحونة العداء الديني . الذى يفرق بين المسلمين والمسيحيين من أبناء الوطن الواحد "

ويذكر ببعض ما قاله خصوم الإخوان من قصص "عن علاقات مستمرة بين المرشد (البنا ثم الهضيبي) والسفارة البريطانية" . فالباحث الأمريكي ميتشل – وهو من الباحثين المقبولين لدى الإخوان – يقول "بعد الإفراج عن البنا فى اكتوبر ١٩٤١ قامت اتصالات بين السفارة البريطانية والإخوان المسلمين ولا أحد يعلم من قام بهذا الاتصال ولا متى تم" .

والإخوان يعترفون بهذا الاتصال ويبررونه بأنه تم بناء على طلب الانجليز لخشيتهم من التقارب بين الإخوان والقصر ! – الذى كانت له ميول نحو الألمان – وتذكر جريدة " الإخوان المسلمون " فى ١٩٤٦/٧/٢١ أنه بعد مناقشة أفكار وبرنامج الجماعة أبدى الطرف الانجليزى استعداده لتقديم مساعدة مالية للجماعة لمعاونتها على آداء رسالتها وتؤكد الجريدة أن البنا قد رفض ذلك .

ويؤكد heyworth - dunne استنادا إلى مصدر إخوانى على علاقة بالسفارة البريطانية أن حسن البنا قد ألمح خلال الاتصالات ومن خلال عناصر وسيطة " أنه على استعداد للتعاون وأنه سيكون ممتنا لو أن مساعدة مالية قد قدمت له " ويعود الباحث إلى التأكيد بأن مساعدات كبيرة قد قدمت لجريدة الجماعة وخاصة فى غضون عام ١٩٤٧ وأن **أحمد السكرى** كان معنيا بهذا الأمر وأنه قد طلب فى إحدى المرات أربعين ألف دولار وسيارة كمقابل لمساعدة الجماعة للمخطط البريطانى .

ويذكر رفعت السعيد ما أشار إليه باحث ثالث من موقف الإخوان من أحداث عام ١٩٤٢ وكيف أنهم تخلوا عن مواقفهم القريبة من المحور ورفضوا الاشتراك فى المظاهرات التى هتفت " إلى الأمام يا روميل " ويؤكد بعد ذلك أن " المساعدة المالية كانت قد قدمت وقبلت "

ويعلق رفعت السعيد مفترضا أن ما عرضه الانجليز وماعرضه اسماعيل صدقى على جماعة الإخوان من مساعدة مالية قد رفضها حسن البنا ثم يقول " لكن يبقى السؤال المحير هو لماذا يتحمس طاغية كاسماعيل صدقى وسفارة تمثل الاحتلال الكريه إلى قلب كل مصرى وكل مؤمن لتقديم معونات مالية للإخوان المسلمين لمساعدتهم على تنفيذ برنامجهم ؟

أى برنامج هذا ؟ وما مدى انطباقه على مصالح الإسلام والمسلمين ومصر والمصريين ! مجرد تساؤل نتركه بغير رد" .

لكن الكاتب يجيب بعد ذلك بأنه " لا صدقى ولا السفارة الانجليزية كانوا سذجا عندما قدموا عروضهم " واستدل على ذلك بتأييد الإخوان لصدقى ١٩٤٦ مستخدمين الآية الكريمة " واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان صديقا نبيا " وتأييدهم لمعاهدة صدقى بيغن مستخدمين واقعة " صلح الحديبية " فى تبرير تصرفاته ، وبأن **صلاح الشاهد** أكد بأن صدقى عندما توصل إلى اتفاقية صدقى بيفن " توهم أن الإخوان المسلمين قاعدة شعبية ذات وزن فاستدعى المرشد العام بعد وصوله من لندن بساعتين ، وأطلعه على مشروع الاتفاقية قبل أن يطلع عليه **النقراشى وهيكل** المشاركين له فى الحكم . وحصل على موافقته على المشروع ولما اشتدت المظاهرات الشعبية ضد هذه المعاهدة طلب صدقى باشا من المرشد العام أن يركب السيارة المكشوفة لسليم زكى باشا مساعد الحكمدار ليعمل على تهدئة الجماهير واستجاب المرشد العام لطلب صدقى باشا (١٠٤) .

لقد ظهر " الإخوان على خريطة الحركة الوطنية الديمقراطية كالتيار الشارد – كما يقول طارق البشرى – بعيدا عن السياق العام لهذه الحركة وهنا بدت الريبة والظنون فيهم " (١٠٥) .

أسباب غموض المناهج :

ونستطيع بعد هذا السرد أن نجمل الأسباب الكامنة وراء غموض البرامج عند الإخوان المسلمين فيما يلى :

١– يجذب الغموض إلى الجماعة كثيرا من الجماهير ومن القوى السياسية المتباينة فى المواقف السياسية والأهداف العملية وقد تمكنت الجماعة من النمو تحت شعار الدعوة الدينية البحتة فى فترتها الأولى .

٢– يعطى للمرشد الفاعلية فى مرواغة الحكومات والأحزاب والرأى العام بوجهى الدعوة فيؤكد على الطابع الدينى إذا وجد فى الحكومة رئيسا قويا وينغمس فى الصراعات السياسية اذا وجد رئيسا ضعيفا .

٣– يفيد الغموض فى الحركة الطليقة التى لا تتقيد بأهداف محددة ولا مناهج مسبقة ، فيعفى الجماعة من تحديد الأهداف الوطنية وتحديد الموقف من المشاكل الداخلية وتفسير مواقفها العملية فى كل مناسبة ويعطيها القدرة على طرح موضوعات مغايرة لما يشغل الناس .

٤- يحل الغموض مشكلة ترتبت على مطالبتها بإلغاء الأحزاب رغم أنها حزب سياسى يسعى للسلطة وهى فى هذا تتستر وراء اللافتة الدينية .

٥- يفيد الغموض فى انطلاق السلطة الشخصية التى تعتمد على حرية العمل والتصرف وانتفاء المحاسبة من قبل الآخرين ، والغموض "يحيل صاحب الدعوة من عامل ملتزم بتحقيق فكرة ما إلى صاحب لهذه الفكرة يدور بها حيث شاء ويستر فى خفائها حركته وبواعثها ولا يكون للآخرين إزاءه إلا الطاعة أو الخروج عليه ، وكذلك بالنسبة لما يلقى من آراء ومبادىء متعارضة تشيع اللبس ويجرى الاختيار منها حسب المشيئة بغير التزام " (١٠٦) ولا يستطيع غيره فى أى موقف أن يوضح ما غمض وانبهم من تصرفات الجماعة ، فكان الغموض مصادرة للمعرفة لحساب المرشد فقط وكان غموضا واعيا و مقصودا وقبلت الجماعة هذا الوضع مما ترتب عليه نوع من التقديس للفرد أو كما قال هيوارث دان : إن هناك نوعا من المهدية فى حركة الجماعة و إن المرشد العام هو المهدى (١٠٧) .

ولقد نتج عن هذا التقديس أن استشعرت الجماعة - بعد اغتيال مرشدها العام - اليتم وفقدت الرشد واتسم نموها الكبير بطابع الشيخوخة السريعة فظهرت الخلافات السياسية بين أعضائها وقادتها ممتزجة بالاطماع الشخصية . وباختفاء حسن البنا " فقد الغموض القوة المتحكمة فيه والمسيطرة على الجماعة من خلاله وأصبح هذا الغموض هو القوة غير الواعية المتحكمة فى الجماعة (١٠٨) .

الـــديـــن والـــسيـــاســـــة

بدأت الجماعة بأهداف دينية أخلاقية :

سبق أن ذكرنا أن حركة الإخوان المسلمين بدأت بأهداف دينية أخلاقية ، وسواء أكانت هذه الأهداف المعلنة هى أهدافها الحقيقية فى البداية . وهذا مانرجحه . أم كانت هذه الأهداف تخفى وراءها أهدافا سياسية منذ البداية.

واستمر الإخوان ينشطون ويتحركون فى هذا الإطار من الأهداف الدينية الأخلاقية حوالى عشر سنوات حتى أن المؤتمرات الثلاثة الأولى سنوات ١٩٣٥،٣٤،٣٣ لم تتعرض لا للقضية الوطنية ولا لتحديد موقف من الإستعمار رغم أن هذه كانت القضية الأولى التى شغلت الأذهان باعتبارها القضية الرئيسية التى كانت تشد انتباه الحركة الوطنية والشعبية ، كما لم يحدد أى من هذه المؤتمرات موقفه من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تهم قطاعات واسعة من الجماهير الفقيرة ، ولا يكفى فى سد هذا النقص ، ما يحاوله بعض الباحثين من التماس المبررات بالقول بشمول العقيدة الإسلامية لكل هذه القضايا(١٠٩) فهذا القول - رغم الاختلاف حوله - لاينهض وحده دليلا يعوض الصمت عن الخوض فى هذه القضية وتوعية الجماهير بها وقيادتها لتحقيق أهدافها لأن المبادىء والعقائد لاتعمل بنفسها إنما يحملها رجال وتنظيمات وهيئات تعمل وتنشط فكريا ودعائيا وتحرك الطبقات والجماعات وتقودها فى نشاط خلاق مبدع لتحول الجماهير هذه المبادىء والعقائد إلى واقع حى فى حياتها ، وعلى هذا فليس من الضرورى أن يكون منهج الإخوان شاملا للقضايا الوطنية والاجتماعية لمجرد إعلانهم أن دعوتهم إسلامية .

ولقد اعترف الإخوان أنفسهم باقتصار نشاطهم على الأهداف الدينية والأخلاقية فى الفترة الممتدة من بداية نشأتهم إلى ماقبل قيام الحرب العالمية الثانية ففي مقال بعنوان "نحن والحكومات" وهو بدون توقيع ولكن يبدو أنه لحسن البنا نشرته جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية العدد ٥٢ السنة الأولى

فى ٤شعبان سنة١٣٦٥هجرى ٣يوليه سنة ١٩٤٦ يقسم كاتب المقال تاريخ الإخوان مع الحكومات منذ نشأتهم إلى تاريخ كتابة المقال إلى فترتين فترة ماقبل الحرب وفترة نشوب الحرب حتى سنة ١٩٤٦ فيقول "فأما فى الفترة الأولى فقد كان الإخوان فيها يؤثرون العمل المنتج والتربية الصالحة والتنظيم النافع على الدعاية الفارغة ويقولون الزمن جزء من العلاج والتدرج خير من الطفرة فلم تشعر بهم الحكومات إلا فى مناسبات عادية ، ولقد ذكر الأستاذ المرشد فى بعض أحاديثه أنه قابل رفعة النحاس باشا فى منزله بالاسكندرية فى صيف سنة١٩٣٦ بمناسبة مطالبة حكومة نسيم باشا حينذاك بالعناية بالتعليم الدينى فى المدارس المصرية مع وفد على رأسه محمد المغازى باشا فكان النحاس باشا يظن أنه أحد العمد الذين يتألف منهم الوفد كما ذكر فى حديث آخر أن محمد محمود باشا رحمه الله اقترح عليه أن ينشىء شعبا للإخوان فى الصعيد لخلوه من هذه الشعب فى الوقت الذى كانت حفلات الإخوان فيه تقام من مضيفة الأسرة بـ "أبو تيج" ، ولقد استمرت وزارة المعارف المصرية إلى وقت قريب تجهل أن الأستاذ البنا المدرس بمدارسها هو المرشد العام للإخوان المسلمين"ثم يقول" وأما فترة الحرب فقد تفتحت فيها العيون على الهيئات والجماعات وبدأ احتكاك الحكومات بالإخوان نتيجة للظروف الاستثنائية والأحكام العرفية وبعض الدوافع والمؤثرات الخارجية وخصوصا بعد أن دخلت الحرب فى أدوارها الجدية" (١١٠).

الاندماج فى العمل السياسى :

والحقيقة أن هذا الاحتكاك حدث بعد أن أعلنت الجماعة تكريس دخولها المعترك السياسى فى العدد الأول من النذير الصادر فى ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ مايو سنة ١٩٣٨ ثم فى المؤتمر الخامس فى ١٣ذى الحجة سنة ١٣٥٧هجرى الموافق أوائل سنة١٩٣٩ ويرى الدكتور عبد العظيم رمضان أن الفحص التاريخى لحركة حسن البنا أظهر أنه لم يقم بها لعوامل سياسية تتعلق بالدستور أو الاستقلال أو رفض النظام القائم إنما قام بها لأسباب سلفية تعارض التغريب ، كما أن فكرة العنف والسعى للوصول إلى الحكم بالقوة لم تكن واردة فى رأى حسن البنا أو زملائه عند قيام حركتهم

وكان كل همهم منصرف إلى العمل السلمى الممثل فى إنشاء الجرائد الإسلامية والوعظ والإرشاد وتأليف الجمعيات ، فهو يرى أن عملهم كان مجرد عمل سلفى إصلاحي يقوم على فكرة الإصلاح الدينى والخلقى ، وأنه مع مرور الوقت كان على الجماعة أن تحدد موقفها الفكرى من القضايا والسياسة العامة ، وعندئذ برزت لها أيديولوجية متكاملة تختلف عما بدأت به ، وتقوم على فكرة الحكومة الإسلامية وشمولية الإسلام للدين والدولة وبذلك تناقضت هذه الأهداف تناقضا أساسيا مع النظام السياسى والاجتماعى القائم ، وكان ذلك بداية نشأة التطرف الدينى (١١١).

دوافع الاتجاة للسياسة :

وسبق أن تحدثنا عن دوافع هذا التحول فى الأهداف وأرجعناه إلى طموح حسن البنا ونمو حركته واتساع شعبيتها ، وتشجيع القصر وأحزاب الأقلية لها حين حاولوا استغلالها واستثمار قوتها الشعبية - وهى القوة التى يفتقدونها - فى صراعهم ضد حزب الوفد وحاولت هى الأخرى أن تستفيد من هذه المساندة وحين استشعرت قوتها انقلبت عليهم وانقلبوا هم عليها فكانت المحن المتتالية التى عصفت بالجماعة وبمرشدها، ويرى المستشار محمد سعيد العشماوى أن العامل السياسى والطموح السلطوى كانا بارزين فى تيار تسييس الدين - بالعنف والإرهاب والتطرف - دون تقديم أى برامج محددة (١١٢) .

موقف الإخوان من معاهدة ١٩٣٦ :

ولقد سبق الإعلان عن الأهداف السياسية للجماعة فى مجلة النذير وفى المؤتمر الخامس إشارات ومواقف مهدت له : منها مايذكره أحد الباحثين (١١٣) من أن جريدة الإخوان المسلمين العدد ١٥ فى ١٩٣٥/٧/٢٣ بها مقال يشير لدمج الدين بالسياسة . وبالاطلاع على هذا العدد وهو بتاريخ ٢٢ ربيع ثانى سنة ١٣٥٤ هجرية ٢٣ يوليه سنة ١٩٣٥ السنة الثالثة وجدت مقالا رقم ٤ بعنوان " فى مناهج التعليم " لحسن البنا ص٣-٤ وبالعدد أيضا تفسير أيات من سورة الحجرات بتوقيع الحسن وأظنها لحسن البنا ص٥-٧ والآيات من

أول قوله تعالى" يأيها الناس إناخلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"

ويبدو أن الباحث استنتج من المقال المذكور ماأشار إليه من دمج الدين بالسياسة ، وكان من المقدمات أيضا موقف الإخوان من معاهدة سنة ١٩٣٦ فهناك من الباحثين من يرى أنهم لم يؤيدوها بل عارضوها وهناك من يرى أنهم أيدوها (١١٤) .

ولكن صالح عشماوى يكتب مقالا بجريدة "الإخوان المسلمون"سنة١٩٤٦ بعنوان رأى لندن فى "الإخوان المسلمين" يذكر فيه أن جريدة "التيمس" نشرت مقالا فى نسختها الأسبوعية عن الروح الوطنية فى مصر " عرضت فيه للإخوان المسلمين ، وقال صالح عشماوى"وقد تضمن المقال كثيرا من الحقائق التى كتبت بروح الإنصاف مما نشكر عليه الجريدة "ومما ذكرته الجريدة أن الإخوان المسلمين تدخلوا للمرة الأولى فى الشئون السياسية المحضة فى عام ١٩٣٦ وكانوا من مشجعى الأعمال المعادية للبريطانيين فى مصر حينما نشبت الثورة العربية فى فلسطين وهم مافتئوا من أنصار مفتى فلسطين ، كما ذكر أنه "فى عام ١٩٤٢ بعدما تولت حكومة النحاس باشا الحكم أعلن (حسن البنا) تأييده الصريح للحكومة والمعاهدة الانجليزية المصرية" .

ويرد صالح عشماوى على الفقرة الأخيرة مبررا هذا التأييد أو مفسرا له بقوله إن الإخوان المسلمين "لم يؤيدوا ولن يؤيدوا حكومة مصرية أيا كان لونها الحزبى ولكنهم رأوا من الحكمة - وقد أثبتت الأيام بعد نظرهم - ألا يصطدموا بحكومة ما من الحكومات المصرية المتعاقبة ولعل هذا الموقف هو الذى يفسره بعض قصار النظر بأنه تأييد" .

وذكرت "التيمس" أن الشيخ حسن البنا قال " فى العام الماضى - ١٩٤٥ - إن مهمة الإخوان المسلمين ليست سياسية بما فى هذه الكلمة من معنى ولكنهم يتمسكون بالإصلاح الاجتماعى مما قد يجعلهم قريبين من الشئون السياسية" (١١٥) .

البنا يبرر الاندماج فى السياسة :

وسواء عارض الإخوان المسلمون معاهدة ١٩٣٦ أم أيدوها فهذا الموقف أو ذاك هو موقف سياسى مهد به الإخوان للدخول العلنى للمعترك السياسى فى مجلة النذير سنة ٣٨ وفى مؤتمرهم الخامس سنة ١٩٣٩ وفى مواجهة الهجوم العنيف على الإخوان من قبل الأحزاب والهيئات الوطنية والتقدمية بسبب مساندة الإخوان لحكومات الأقلية المعادية للحريات والديمقراطية واتهام الإخوان بالخروج عن برنامجهم الدينى والأخلاقى والدخول فيما لايعنيهم والخلط بين الدين والسياسة .. فى مواجهة هذا الهجوم نشرت مجلة "الإخوان المسلمون " الأسبوعية سنة ١٩٤٥ كلمة لحسن البنا فى مؤتمر مندوبى الشعب فى ٢شوال سنة١٣٦٤هجرية ٨ سبتمبرسنة ١٩٤٥م وفيها يربط بين محاربة الجهل والمرض وشبع البطن وتوفر ضروريات الحياة وبين المطالبة بإقامة الحكومة الإسلامية فيقول : إن من مقاصد الدعوة ، "خدمة المجتمعات وتنقيتها بمحاربة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، ولن يستشعر أحد العزة والكرامة ويتذوق طعم الحياة الكريمة إلا إذا شبع بطنه واستغنى عن غيره ، وتوفرت له ضروريات حياته، وإلى ذلك نظر الإسلام فلم يهمل المعانى الاقتصادية ، لم يحتقر الإسلام المال .. بل اعتبر المال من نعم الله الواجبة الشكر وقال النبى (ص) نعم المال الصالح للرجل الصالح ، واستعاذ من العوز والفقر وقرنه بالكفر فقال اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وحث بعد ذلك على العمل والكسب ، واعتبر ذلك قربة إلى الله تؤدى إلى حبه وإلى مثوبته ومغفرته فقال رسول الله (ص)" إن الله يحب المؤمن المحترف" كما قال "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له" وحرمه السؤال والاستجداء لما فى ذلك من ذلة وهوان ، وإذا كانت هذه الأهداف جميعا لاتتحقق إلا فى ظل الدولة الصالحة .. فكان لابد أن تطالبوا بحق الإسلام فى إقامة الحكومة التى ترتكز على أصوله وأحكامه وتعاليمه وشرط ذلك الحرية والاستقلال الكامل" .

ويبدو أن حسن البنا قد استشعر حيرة الناس وعدم اقتناعهم بما يقول فعقب على ذلك : "وسيقول الناس مامعنى هذا ، وما أنتم أيها الإخوان ؟ إننا لم نفهمكم بعد فافهمونا أنفسكم ، وضعوا لأنفسكم عنوانا نعرفكم به ، كما تعرف الهيئات بالعناوين . هل أنتم طريقة صوفية ؟ أم جمعية خيرية ؟ أم مؤسسة

اجتماعية ؟ أم حزب سياسى ؟ كونوا واحدا من هذه الأسماء والمسميات لنعرفكم بأسمائكم وصفتكم .

فقولوا لهؤلاء المتسائلين : نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة "طريقة صوفية نقية .. وجمعية خيرية نافعة .. ومؤسسة اجتماعية قائمة .. وحزب سياسى نظيف .. وقد يقولون بعد هذا كله لازلتم غامضين ، فأجيبوهم : لأنه ليس في يدكم مفتاح النور الذى تبصروننا على ضوئه ، نحن الإسلام أيها الناس ، فمن فهمه على وجهه الصحيح فقد عرفنا (١١٦) .

وقد كتب حسن البنا بعد حوالى العام من كلمته هذه مقالا فى جريدة "الإخوان المسلمون" اليوميه فى ١٥ اكتوبر سنة١٩٤٦ تحت عنوان نحن وطنيون" يتحدث عن تطور أهداف الإخوان من مقاومة تيار الإلحاد والإباحية التى قذفتنا به أوربا" إلى العمل لإصلاح الحكم " ومقاومة الاستعمار" وهو فى هذا الحديث يبرر هذا التطور ويصوره على أنه قد كان استجابة طبيعية وتلقائية لواقع الأحداث التى واجهتها الجماعة والتى فرضت نفسها وكان هذا التطور عملية حتمية .

يقول حسن البنا : "أول مابدأت فكرة الإخوان ودعوتهم فى الظهور والذكر وكان ذلك فى سنة١٩٢٧، ١٩٢٨ الميلادية كان هدفها الأول مقاومة تيار الإلحاد والإباحية الذى قذفتنا به أوربا والذى أخذ كثير من الكتاب والهيئات والحكومات يروج له ، ويعجب به ويدعو إليه دعوة قوية عنيفة اضطربت لها نفوس الغيورين على مابقى من تعاليم الإسلام وكانت وسيلة الإخوان إلى هذا المعنى تكوين جبهة من النفوس المؤمنة الفاهمة لتعاليم الإسلام فهما صحيحا تعمل على تطبيقه فى نفسها وفى كل ما يحيط بها وتدعو إليه غيرها ، وتقدم الزمن بالدعوة وأهلها فاصطدمت بهذه الأوضاع الفاسدة فى طرائق الحكم ووسائله وأساليبه فى مصر ، ورأت أن الإسلام الحنيف يعتبر الحكم الصالح جزءا من تعاليمه ويضع له قواعده ونظمه وأساليبه ووسائله وحدوده وأنه يجعل من واجبات المسلمين أفرادا وجماعات أن يعملوا على ايجاد الحكومة الصالحة ولهذين السببين: تعذر قيام إصلاح اجتماعى مع وجود حكومات غير صالحة ، واعتبار الإسلام العمل لإصلاح الحكم فريضة من فرائضه . لهذين السببين أدخل الإخوان المسلمون فى برنامجهم العمل لإصلاح الحكم بإقامته على دعائم من توجيه الإسلام لا

العمل للحكم نفسه وشتان مابين الوضعين ، وكانت الوسيلة إلى ذلك الكتابة والنصح والمذكرات بعد المذكرات للحكومات المتعاقبة فى كل الشئون الحيوية الهامة .

وتقدم الزمن بالدعوة وأهلها مرة أخرى فوجدوا أنه من المستحيل أن تقوم فى مصر أو غيرها من الأقطار الإسلامية حكومة صالحة مادام هذا الاستعمار الأجنبى جاثما على صدر هذه الشعوب والحكومات يأخذ بمخانقها ويحول بينها وبين الحرية والعزة والكرامة والرقى .

ثم تحدث عن موقف الإسلام من طلب الحرية والجهاد : فذكر أنه بسبب أن الاسلام فرض الجهاد فى سبيل الحرية على أبنائه أدخل الإخوان المسلمون فى برنامجهم العمل على مقاومة الاستعمار وتحرير أرض الوطن من موبقاته وخبائثه لا ليكون جزاؤهم على هذا وهدفهم من ورائه أن يحتلوا هم مكانه من التحكم والسلطان واقتعاد كراسى الحكم ولكن لتظفر الأمة والحكومة بحريتها وعزتها وكفى ، فيقوم فيها حكم صالح يفسح المجال لإصلاح اجتماعى صالح ، وكانت وسيلة الإخوان ومازالت فى مقاومة الاستعمار تذكير الأمة بمجدها وإذكاء روح الحماسة والقوة فى أبنائها ومطالعتها بسوء آثار هذا الاستعمار فى مرافق حياتها وإرشادها والعمل معها بكل وسيلة مشروعة فى هذه السبيل" .

ثم تحدث عن أن هذه الآمال كان الإخوان يعملون لها فى كل قطر من أقطار العروبة والإسلام وهو لم يكتف بإنكار سعى الإخوان للحكم – وهو الأمر الذى نقضته الحوادث فيما بعد وأثبتت سعى الإخوان وحتى الآن لتولى مقاليد الحكم – وإنما يصر على أن هذا الهدف والنشاط السياسى الذى يقوم به الإخوان وهو نشاط سياسى وحزبى من كل الوجوه ، يصر على أن هذا ليس عملا حزبيا سياسيا فيقول : وحين أخذ الإخوان يعملون لتحقيق هذا البرنامج الواسع لم يخطر ببالهم أنهم حزب سياسى أو أنهم يسلكون سبيل الأحزاب السياسية إلى تحقيق هذه الأهداف ، كما لم يخطر ببالهم أن يناوئوا حزبا أو يخاصموه أو يحتكوا به لأنهم يرون فى دعوتهم متسعا للجميع ويرونها أكبر من أن تقف موقف الخصومة الحزبية من أحد" .

وهو فى هذا إذ ينكر مناوأة أو مخاصمة أى حزب كان الواقع السياسى يشهد صراعا داميا فى بعض الأحيان بين الإخوان وبين الوفد

وبعض الهيئات الوطنية والتقدمية كما حدث من صراع فى الجامعة وفى إضرابات العمال فى شبرا الخيمة بين الإخوان وبين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وكما حدث فى بورسعيد من صراع وصل إلى حد ضرب النار وقتل بعض المواطنين .

أيضا تبدو لهجة التعالى والغطرسة والتقليل من قيمة القوى الأخرى ورفض التعاون أو العمل الجبهوى مع الأخرين وعلى الأخرين أن ينضووا تحت لوائها صاغرين وذلك فى تعليله لعدم مخاصمة أى حزب "لأنهم يرون فى دعوتهم متسعا للجميع ويرونها أكبر من أن تقف موقف الخصومة الحزبية من أحد".

وهو فى سبيل تبرير نشاط الإخوان السياسى ونفى شبهة الحزبية عنه يحاول أن يفرق بين الوطنى والسياسى تفرقة غريبة وكأن السياسى شيء أخر غير الوطنى أو كأن السياسى لايمكن أن يكون وطنيا والوطنى لايمكن أن يكون سياسيا!! فيقول "ومن كل هذا الذى تقدم يبدو الفرق الواسع بين الوطنى والسياسى فالوطنى يعمل لإصلاح الحكم لا للحكم ولمقاومة المستعمر للحصول على الحرية لاليرثه فى السلطة ولتركيز منهاج وفكر ودعوة لالتمجيد شخص أوحزب أوهيئة ولهذا يحرص الإخوان المسلمون على أن يكونوا دائما وطنيين لاسياسيين ولاحزبيين" ، وأخيرا يشير إلى الاتهامات الموجهة إلى الإخوان بسبب نشاطهم السياسى محاولا الرد عليها فيقول:

"وحاولت بعض الهيئات والجرائد والمجلات أن تصور هذا النشاط بأنه خروج من الإخوان عن برنامجهم وتعرض لما لايعنيهم وأنه خلط بين الدين والسياسة وفاتهم أنه إذا كان العرف قد جرى فى مصر على أن السياسة مهنة لبعض المحترفين فإنه ليس فى الدنيا عرف يحرم الوطنية على المواطنين" وختم حديثه بأن الإخوان "سيكونون كما رسموا لأنفسهم وطنيين فقط لاسياسيين ولاحزبيين (١١٧) .

البنا يهدد ويتوقع المحن :

وقد أكد الإخوان دخولهم المعترك السياسى فى افتتاحية العدد الأول من مجلة "النذير" فكتب مقالا بعنوان "خطوتنا الثانية" إلى الأمام دائما الدعوة الخاصة بعد الدعوة العامة أيها الإخوان تجهزوا"

وقد ذكر البنا فى هذا المقال أن "الإسلام عبادة وقيادة ودين ودولة وروحانية وعمل وصلاة وجهاد وطاعة وحكم ومصحف وسيف لاينفك واحد من هذين عن الآخر وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

وأشار إلى حالة مصر يوم أن ظهرت دعوة الإخوان فقد كان يحكمها الغاصبون ، بينما يجاهد أبناؤها فى سبيل استرداد حريتها والمطالبة باستقلالها ، ولم يشأ الإخوان المسلمون أن يزجوا بأنفسهم فى هذه الميادين فيزيدوا خلاف المختلفين ويمكنوا للغاصبين ويلونوا دعوتهم وهى فى مهدها بلون غير لونها ويظهروها للناس فى صورة غير صورتها"وانصرفوا" إلى ميدان مثمر منتج هو ميدان تربية الأمة وتنبيه الشعب وتغيير العرف العام وتزكية النفوس وتطهير الأرواح "وذكر أنه كان من نتيجة ذلك أن أصبح للإخوان المسلمين دار فى كل مكان ودعوة على كل لسان وأكثر من ثلاثمائة شعبة" .

ثم يقول : هذه مرحلة من مراحل الإخوان قد اجتزناها بسلام وفق الخطة الموضوعة لها .. والآن أيها الإخوان وقد حان وقت العمل وآن أوان الجد ولم يعد هناك مجال للإبطاء" ثم يتساءل "ماخطوتكم القادمة؟" ويجيب : "أقول لكم فاسمعوا : سننتقل من حيز دعوة العامة فقط إلى حيز دعوة الخاصة أيضا ، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال ، سنتوجه بدعوتنا إلى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه وشيوخه ونوابه وهيئاته وأحزابه وسندعوهم إلى منهاجنا ونضع بين أيديهم برنامجنا وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم بل زعيم الأقطار الإسلامية فى طريق الإسلام فى جرأة لاتردد معها . فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم وإن لجأوا إلى المواربة والروغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام .

ثم يواصل تهديده للجميع ، فيقول: "إلى الآن أيها الإخوان لم تخاصموا حزبا ولاهيئة كما أنكم لم تنضموا إليهم كذلك ولقد تقول الناس عليكم ، فمن قائل إنكم وفديون نحاسيون ، ومن قائل إنكم سعديون ماهريون ، ومن قائل إنكم أحرار دستوريون ، ومن قائل إنكم بالحزب الوطنى متصلون ، ومن قائل إنكم إلى مصر الفتاة تنتسبون ... والله يعلم أنكم من كل ذلك

بريئون فما اتبعتم غير رسوله زعيما..كان ذلك موقفكم أيها الإخوان سلبيا هكذا فيما مضى ، أما اليوم وأما فى هذه الخطوة الجديدة فلن يكون كذلك ، ستخاصمون هؤلاء جميعا فى الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة ان لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعاليم الإسلام منهاجا ... ولسنا فى ذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقتنا أو نغير مسلكنا بالتدخل فى (السياسة) كما يقول الذين لايعلمون ولكننا بذلك ننتقل خطوة ثانية فى طريقتنا الإسلامية ولاذنب لنا أن تكون السياسة جزءا من الدين وأن يشمل الإسلام الحاكمين والمحكومين فليس فى تعاليمه اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولكن فى تعاليمه قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار" .

وقد دعا حسن البنا أنصاره إلى الجهاد العملى بعد الدعوة القولية وتوقع – ببصيرة نافذة أن يكون لهذا الجهاد ثمنه من التضحيات وهو أن يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد وما فوق الاضطهاد وأن يتعرض الأحرار منكم للمعاكسة وأكثر من المعاكسة ، وأن يدعى المترفون المترفهون منكم إلى السجون وماهو أشق من السجون " وخير الأعضاء بين التجهز والثبات معه أو الابتعاد عن الصف ، ثم أنهى كلامه بالتعلق بالملك والأمل فيه والدعاء له فقال"وإن لنا فى جلالة الملك المسلم أيده الله أملا محققا" (١١٨).

البنا يدعو للحكومة الإسلامية ويضفى عليها القداسة :

وفى رسالة "بين الأمس واليوم" التى صدرت فى الفترة السابقة للحرب العالميه الثانية يحدد حسن البنا أهداف الدعوة العامة فى هدفين هما : تحرير الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى ، وقيام الدولة الإسلامية التى تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى .

ويضفى حسن البنا على هذه الحكومة نوعا من القداسة وينظر إليها وكأنها أحد أركان الإسلام ويحذر المسلمين من التقصير فى السعى لاقامتها مع أنها فى أغلب المذاهب الإسلامية من الفروع ويهددهم بالعذاب فى الآخرة فهو يقول : " ومالم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعا آثمون مسؤولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها .

ويهاجم سيطرة الأجانب على الاقتصاد :

ثم ينتقل حسن البنا إلى تشخيص الواقع الاجتماعي والاقتصادي الأليم وهي ملاحظة جيدة وجادة وإن كانت نادرة فيذكر أن أكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان ولايحصلون على القوت إلا بشق النفس وإن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية ، وذكر أن بمصر " أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة في جميع أنحاء البلاد وأن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها في أيدى الأجانب المرابين وأن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدى الوطنيين إلى أيدى هؤلاء ، وأن مصر أكثر بلاد العالم المتمدين أمراضا وأوبئة وعاهات وأن أكثر من ٩٠٪ من الشعب المصرى مهدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والأمراض ، وأن مصر لازالت إلى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس....الخ ".

وذكر أن مظاهر هذا الضعف عامة فى كل البلاد الإسلامية ولذلك جعل من أهداف الإخوان أن يعملوا لإصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة و حصر الوسائل العامة لتنفيذ هذه الأهداف فى : الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل ، وذكر أن هناك بجانب ذلك وسائل إضافية منها السلبى ومنها الإيجابى ومنها مايتفق مع عرف الناس وما يخرج على هذا العرف ، وأخذ يهيىء أنصاره لما قد يفاجئهم به من سلوك ومواقف غير عادية" قد يطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها ، وليست الدعوة فى حقيقة أمرها إلا خروجا على المألوفات وتغييرا للعادات والأوضاع . فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الاخوان ؟ " (١١٩) .

وتمسكا بالحكومة الإسلامية والتأكيد على ضرورة العودة إليها والمطالبة برجوع نظام الخلافة – هاجم مصطفى كمال أتاتورك لإلغائه الخلافة ونشر خطابا بذلك بمجلة الإخوان المسلمين – وذلك رغم ماعانته مصر من اضطهاد وتخلف تحت ظلال الخلافة العثمانية ، وكان بهذا الخطاب يرد على تصريح لرئيس الوزراء الوفدى مصطفى النحاس للصحف الذى أعرب فيه عن إعجابه بمصطفى كمال أتاتورك وبتركيا الجديدة التى قاد

نشأتها (١٢٠) وهو فى دعوته للخلافة أو الحكومة الإسلامية يتمثل بالمذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة التى وجدت لها دولا وأنصارا أقوياء يقفون عليها أرواحهم معترفا لهذه المذاهب بالتضحية وقوة الإيمان فيقول : " عجيب أن تجد الشيوعية دولة تهتف بها وتدعو إليها .. وأن تجد الفاشستية والنازية أمما تقدسها وتجاهد لها وتعتز بأتباعها ولا تجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام الذى جمع محاسن هذه الأنظمة جميعا وطرح مساوئها " (١٢١) .

الغزو الغربى أنعش الفكرة الإسلامية :

وحسن البنا يتحدث عن أثر الحضارة الغربية وغزوها لبلاد الإسلام فى تنبيه المشاعر القومية وانتعاش الفكرة الإسلامية ، ففى مواجهة الغزو السياسى والعسكرى تنبهت المشاعر القومية وفى مواجهة الطغيان الاجتماعى تصاعدت الفكرة الإسلامية .

"إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية ، بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معا ، فى أرض الإسلام نفسه ، وفى حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم كما انتصرت فى الميدان السياسى والعسكرى .. وكما كان لذلك العدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومية ، كان لهذا الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتعاش الفكرة الإسلامية (١٢٢).

عودة إلى غموض الأهداف :

وفى حفل لطلاب الجامعة قبل الحرب الثانية بمناسبة مرور أربعة أعوام على نشاط الإخوان فى الجامعة ، تحدث حسن البنا إلى الطلاب فدعاهم إلى أن يفهموا الإسلام على وجهه ويعملوا به على وجهه ثم يقنعوا الناس بما اقتنعوا به وذكر لهم أنهم ليسوا طلاب حكم ولكنهم طلاب منهاج وإصلاح ومبدأ " ففى اليوم الذى يتحقق فيه منهاجكم يكون فى المحاريب مثواكم وإلى المساجد مراحكم ومعزاكم " ثم قال لهم : إنكم دعاة تربية لإقناع الشعب وإيقاظ شعوره وهى." غاية لاتدرك فى أيام ولاتنال بأعوام قليلة ولكنه الجهاد

الدائب والعمل المتواصل ، ومقارعة جيوش الجهالة والأمية والمرض والفقر والأحقاد والأضغان " (١٢٣) .

ومنذ بدأ الظهور السياسى للإخوان ومحاولات التخفى والغموض حول أهداف هذا النشاط السياسى مستمرة ، وحتى قرار حلهم فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ فالإخوان يريدون الاشتغال بالسياسة لطموح سلطوى ، وما فى ذلك ريب – وهم بذلك يكونون حزبا سياسيا فى نفس الوقت الذى يطالبون فيه بحل الأحزاب معللين ذلك بأنها تفتت وحدة الأمة ، ورغم ذلك فهم يرفضون أن يطلق عليهم أنهم حزب سياسى حتى لايصيبهم أيضا ما يصيب الأحزاب أحيانا من عسف واضطهاد ... يريدون أن ينعموا بمكاسب الأحزاب ومكانتها السياسية والاجتماعية ويتجنبوا النقمة عليها ، ويرغبون فى التمتع بميزات الهيئات الاجتماعية ، ويتخطون القيود التى تغل حركتها وتحول بينها وبين النشاط السياسى ، فهم يريدون الاستفادة من الإعانات الاجتماعية التى تمنحها لهم وزارة الشئون الاجتماعية فى نفس الوقت الذى يمارسون فيه نشاطهم السياسى ، ولذلك فصل الإخوان نشاطهم فى البر والرياضة فى إدارة خاصة تابعة لهم أيضا، وعدلوا القانون الأساسى للجماعة تسهيلا للتعاون مع وزارة الشئون وحتى تستمر الوزارة فى مدهم بالمساعدات الاجتماعية السنوية بعد صدور القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ الخاص بتنظيم الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية والتبرع للوجوه الخيرية ، فوزارة الشئون تعطى إعاناتها الاجتماعية لمثل هذه الهيئات ، ولاتعطيها للأحزاب السياسية ، وقد أقر حسن البنا بالمساعدات المالية السنوية التى قدمتها لهم وزارة الشئون الاجتماعية سواء بالنسبة للمركز العام أو بالنسبة لشعب الإخوان ، كما أقر بالاستفادة الأدبية من التفاهم مع قسم الجمعيات بالوزارة وذلك فى كلمته أمام مندوبى الشعب فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥ (١٢٤) .

خلاف داخل الجماعة حول العمل السياسى :

ولقد أثارت دعوة الشيخ حسن البنا إلى الاندماج فى العمل السياسى ردود فعل متباينة داخل الجماعة وخارجها وتميز من خلال ذلك اتجاهان داخل الجماعة اتجاه يشجع العمل السياسى بل ويتعجل النتيجة واقتطاف الثمرة

، واتجاه يعارض العمل السياسي ويرى قصر نشاط الجماعة على الناحية الدينية والأخلاقية والاجتماعية ويجد هذا الاتجاه سنده في تأييد هيئات وأحزاب من خارج الجماعة ترى عدم الخلط بين الدين والسياسة لأن إدخال السياسة في الدين يضر بالدين وبالجماعة وأن هذا ليس من تعاليم الإسلام وانعكس هذا التناقض بين الاتجاهين في مقالات وأحاديث وخطب حسن البنا الذي كان يحاول أن يحافظ على تماسك الجماعة فيهادن أحيانا ، ويهدىء من تعجل المتسرعين ويتراجع أحيانا أخرى وفي أغلب الأحيان يعطي إجابات غامضة تزيد الأمر إبهاما وغموضا وإثارة للبلبلة فأمام طموح المتسرعين ورغبتهم المتعجلة في استعجال الهدف يقول في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان "متى تكون خطوتنا التنفيذية" : أريد أن أكون معكم صريحا للغاية فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة : إن ميدان القول غير ميدان الخيال وميدان العمل غير ميدان القول وميدان الجهاد غير ميدان العمل وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطىء .

يسهل على كثيرين أن يتخيلوا ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالا باللسان . وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلا من هذا الكثير يثبت عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيع أن يعمل ، ولكن قليلا منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل المضني ، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولايصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله وفي قصة طالوت بيان لما أقول . فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل ، العمل القوي البغيض لديها الشاق عليها وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها .

وفي الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيا بالإيمان والعقيدة ، وفكريا بالعلم والثقافة وجسميا بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فإني فاعل إن شاء الله .. إني أقدر لذلك وقتا ليس طويلا بعد توفيق الله" (١٢٥) .

أما الذين رفضوا الاندماج في السياسة من داخل الجماعة ورأوا أن يقتصر نشاط الجماعة على شئون الدين والبر فقط فقد وقع شقاق بينهم وبين

اتجاه حسن البنا ، "ويذكر كتاب (الاتجاهات السياسية والدينية فى مصر الحديثة) : أنه فى عام ١٩٣٩ اجتمع جماعة من أفضل ممثلى الإخوان ووجهوا إنذارا إلى المرشد الشيخ حسن البنا بطرد أحمد السكرى لاتجاهه السياسى وبقطع الجماعة كل اتصالاتها السياسية خاصة مع على ماهر. ولكن المرشد رفض قبول الإنذار وطرد من وقفوا ضده وهددهم بإبلاغ البوليس عنهم إن هم أذاعوا أسرار الجماعة ، وكان بعض هؤلاء المعارضين ينتمى إلى الوفد ويفضل الارتباط فى العمل السياسى بالوفد لا بعلى ماهر ، كما ذكر الكتاب أن من الشواهد ما يثبت أن البوليس كان يحمى حسن البنا بتعليمات من السلطات العليا وتقول **"كريستينا هاريس"** إنه فى هذا الوقت نما أكثر وأكثر الطابع الدكتاتورى لحسن البنا فى الجماعة وأصبح واضحا أنه ينوى قيادة الحركة ، فى ميدان السياسة" (١٢٦) . وعن علاقة على ماهر بالألمان يقول **جورج كيرك** : إن المخابرات البريطانية اكتشفت فى الوثائق الألمانية أن على ماهر كان يحصل على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر" (١٢٧) .

ويعلق د. رفعت السعيد على هذا الخبر محاولا الربط بين حسن البنا وعلى ماهر فيقول : هذا هو على ماهر الذى دخل الشيخ البنا السياسة من بابه الخاص والذى كان أول حليف سياسى لجماعة الإخوان المسلمين ، والذى قاد البنا بيديه نحو التبعية للسراى والملك والعداء للوفد والقوى الديمقراطية" (١٢٨) .

وبسبب عداء الإخوان للديمقراطية ووقوفهم ضد مبدأ الفصل بين السلطات ومطالبتهم بتركيزها مما يعنى تعزيز سلطات الملك وبسبب مطالبتهم بحل الأحزاب ، واتجاههم الشمولى وتعاطفهم مع النازية الهتلرية والفاشية ، بسبب كل هذا هاجمهم الاستاذ عباس العقاد هجوما عنيفا فى مجلة الدستور فى ١٩٣٩/٧/٢٧ فقال : "فى مصر دعوة ديكتاتورية ما فى ذلك جدال ، والذين يقومون بهذه الدعوة ويقبضون المال من أصحابها هم الذين يشنون الغارة على الدول الديمقراطية ويثيرون الشعور عليها باسم الدين وباسم سورية وفلسطين ، ولايثيرون الشعور على الدول الأخرى باسم الدين وباسم ألبانيا وبرقة وطرابلس والصومال.. ويسير علينا أن نعرف بعدما تقدم من أين تتلقى تلك الجماعات المتدينة أزوادها ونفقاتها ، ولماذا تتوجه بالدعوة المزيفة إلى هذه الوجهة التى لاوجهة غيرها أمام تلك الجماعات لخدمة المطامع

الديكتاتورية .. إنها جاسوسية مأجورة تتوارى بالإسلام للإيقاع ببلاد الإسلام ، لأن نجاح الدعوة الديكتاتورية لن ينتهى إلى مصلحة المسلمين ولا إلى سيادة المسلمين وإنما ينتهى إلى ضياع المسلمين" (١٢٩) .

وكان لمعارضة اتجاه حسن البنا نحو العمل السياسى أثرها فى خطب ومقالات حسن البنا ، فيلجأ الى ماعرف عنه من مهارة فى المراوغة والغموض والدوران حول الفكرة دون ملامستها فيقول : " إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الإسلام الذى جاء به محمد (ص) والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه . فإن قيل لكم هذه سياسة ، فقولوا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام " (١٣٠) .

وينشر بجريدة "الإخوان المسلمون" تحت عنوان : "نحن" ، دبجها يراع كبير من دعاة الإخوان - كما تقول الجريدة يقول : نحن لسنا حزبا سياسيا ولاطريقة من الطرق الصوفية ولاجمعية خيرية ولاناديا رياضيا ولامؤسسة ماليه اقتصادية ، ولكننا هيئة إسلامية تجمع هذا كله فى أوضح أشكاله وأنفع آثاره .. وسبب ذلك .. شمول الدعوة التى جاء بها الإسلام .. ولقد استولت على الأذهان فكرة خاطئة منذ أزمان بعيدة هى قصر معنى الإسلام على بعض نواحى الإصلاح الاجتماعى الأدبية لتصفية النفس وإسداء الخير مع عزله وتنحيته عما سوى ذلك من شئون الحياة فقام دعاة الإخوان من أول يوم يصححون هذا الخطأ وينادون بأن هدف الدعوة التى يجاهدون فى سبيلها تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا ويعمل بتعاليمه ويوجه النهضة إليه فى تكوين مظاهر حياة الأمة كلها " (١٣١) .

وفى نفس المعنى والاتجاه يؤكد حسن البنا فى سنة ١٩٤٥ على شمولية الإسلام مع الإجابة الغامضة عن المعنى السياسى والتى استمرت غامضة منذ أعلن عنها فى النذير سنة ١٩٣٨ يقول فى الجمعية العمومية للإخوان المنعقدة فى شوال سنة ١٣٦٤ الموافق سنة١٩٤٥"وسيقول الناس ما معنى هذا ، وما أنتم أيها الإخوان ؟ إننا لم نفهمكم بعد فأفهمونا أنفسكم وضعوا عنوانا نعرفكم به كما تعرف الهيئات بالعناوين ، هل أنتم طريقة صوفية أم جمعية خيرية أم مؤسسة اجتماعية أم حزب سياسى ؟ فقولوا لهؤلاء المتسائلين : نحن دعوة القرآن الحقة الشاملة الجامعة طريقة صوفية ..

وجمعية خيرية .. ومؤسسة اجتماعية .. وحزب سياسى نظيف .. وقد يقولون مع هذا كله لازلتم غامضين" (١٣٢) .

والعبارة الأخيرة توحى بأن حسن البنا نفسه كان يدرك أن إجاباته غامضة لقد كان الغموض فى إجابات حسن البنا متعمدا ومقصودا لأن له وظيفة يؤديها فى محاولة للإبقاء على نسيج الجماعة من أن يتفتت.

وتستمر الإجابات الغامضة أيضا ففى مناسبة أخرى فى خطابه فى الجمعية العمومية للإخوان المسلمين المنعقدة فى ٢شوال سنة١٣٦٥ الموافق سنة١٩٤٦ يقول تحت عنوان "اللغز الذى لم يحل" "وهذا اللغز هو أنتم أيها الإخوان فبالرغم من كثرة البيانات لايزال الناس يتساءلون عن مقاصدكم ماذا تعملون ؟ وهل جمعيتكم دينية أو سياسية أم هى تشكيلة رياضية أوشركة اقتصادية ؟" .

ثم تكلم عن الحكومة وموقفها من الإخوان محاولا الرد على الاتهامات الموجهة إليهم فقال : لقد اتهمنا واتهمت الحكومة ظلما بأنها ساعدت الإخوان وأمدتهم بالمال تارة وبالورق لصحيفتهم تارة أخرى وبالحرية ثالثة وأفسحت أمامهم كل مجال وعملت معهم كل جميل .. والواقع أن الحكومة كان لها معنا موقفان الأول : الحياد الدقيق والثانى : الضغط والمضايقة ففى الأول وقفت تنتظر ماذا يصنع الإخوان وقد كان حيادها دقيقا فلم تساعد الإخوان بشىء ولم تغدق عليهم مالا ولاحرية بل منعت عنهم كثيرا من الحقوق الطبيعية .

ثم تحدث عن أن الحكومة قد قلبت للإخوان ظهر المجن وبدأت فى التضييق عليهم ، ويهدد حسن البنا الحكومة بأنها إن منعت الإخوان من الاجتماع فى دورهم فإنهم سيجتمعون فى المساجد أو فى جوف الأرض (١٣٣).

وفى كلمته أمام مندوبى شعب الإخوان فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ أشار حسن البنا إلى اقتراح من أحد أصدقاء الإخوان بأن تشتغل الجماعة بالأغراض الأدبية والاجتماعية والاقتصادية وتترك السياسة لغيرها من الهيئات حتى لاتتعرض الجماعة للعواصف ، وقد رد حسن البنا على هذا الاقتراح بأن "الظروف تحتم الانشغال بالأمور الوطنية" بسبب تجاهل الدول الكبرى لحقوقنا وانشغال الأحزاب بالخصومة فيما بينها وفقد الشعب لثقته فيها

وبسبب الشعور الوطنى العارم الذى يحتاج إلى قيادة حكيمة "والإخوان هم الأقدر والأقرب لقلوب الشعوب ، كل ذلك يأخى جعلنى أشعر شعورا قد ارتقى إلى مرتبة الاعتقاد أننا لم يعد لنا الخيار وأن من واجبنا الآن أن نقود هذه النفوس الحائرة ونرشد هذه المشاعر الثائرة" (١٣٤) .

وقد فسرت جريدة "لابورص اجيبشيين" الفرنسية التى تصدر مساء كل يوم بالقاهرة فى عددها الصادر يوم ١٩٤٥/٧/١٨ فسرت نشاط الإخوان السياسي ودوافعه بأنهم يستغلون الدين للحصول على مكاسب سياسية فكشفت الغموض وأجابت عن الحيرة التى يشعر بها الناس وذلك فى تعليقها على جلسة المحكمة التى استمعت فيها إلى شهادة بعض الشخصيات الكبيرة التى طلب الدفاع سماع شهادتها فى قضية مقتل المغفور له الدكتور أحمد ماهر باشا وبعد أن تحدثت الجريدة عن الشهود الذين كان منهم الشيخ حسن البنا تكلمت عن جماعة الإخوان بأنهم " يريدون أن يحصلوا تحت اسم الدين على صوت رفيع فى ميدان السياسة والحياة الاجتماعية" (١٣٥) .

ومع ذلك يستمر حسن البنا فى التعجب من حيرة الناس ومن شعورهم بغموض أهداف الإخوان فكتب فى مجلة الإخوان فى ١٧ مارس سنة١٩٤٥ تحت عنوان" نحن" بعد أن ذكر أن دعوة الإخوان ربانية إنسانية عالمية قال "تلك هى دعوة الإخوان غاية ووسيلة ففيم يحار الناس وأى نوع من الغموض يكتنف هذه الدعوة الواضحة ؟ يقول كثير من الناس نحن فى حيرة من أمر الإخوان المسلمين أهم طريقة صوفية أم جمعية خيرية أم حزب سياسى وإلى أى شيء يقصدون وفى أى طريق يسيرون ؟ ألفاظ وضعها اليأس لأنفسهم ثم اختلفوا عليها شيعا وطوائف أما نحن الإخوان فقد تجاهلنا هذه المسميات جميعا وأخذنا فى الطريق الأول الذى لا يصلح أمر الناس إلا عليه ، الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسول الله (ص) ونهج الإسلام الحنيف ووسيلتنا إيمان ومحبة وعمل" (١٣٦) . ولم تظفر جماعة بقدر من الغموض فى أهدافها وباستمرار هذا الغموض لسنوات طويلة كما ظفرت جماعة الإخوان المسلمين ، ففى الاحتفال بمرور عشرين عاما على تأسيس أول شعبة للإخوان فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ يواصل حسن البنا حديثه الغامض عن طبيعة الإخوان وعلاقتهم بالسياسة فى بيانه الصحفى بهذه المناسبة فيقول :"وقد لونت الأفهام القاصرة والدعايات المغرضة دعوة الإخوان بثلاثة ألوان خاطئة وابتدأت

باللون الدينى القاصر ثم تلا ذلك اللون السياسى الخاطىء بمناسبة اشتراك الإخوان فى الجهاد الوطنى المقدس .. مما جعل بعض الناس يظن أن الإخوان قد انصرفوا عن الدين إلى السياسة ولم يفرقوا بين العمل الوطنى والاحتراف السياسى، ومادروا أن هذا الجهاد الوطنى من صميم الإسلام . واللون الحقيقى لدعوة الإخوان بعيد عن هذا التصور كله ، فهو اللون الإسلامى النقى الصرف ... وهم لذلك متدينون ووطنيون ومجاهدون لأن هذا كله من لب الإسلام وصميمه" .

وفى المؤتمر تحدث أيضا عن الحدود باعتبارها جزءامن نظام شامل فقال "إن أكثر الناس لا يعرفون إلا أن الإخوان يريدون إقامة الحدود الإسلامية ، وهذا فى الحقيقة تصور قاصر فإن الإخوان إنما يريدون إحياء النظام الإسلامى الاجتماعى الكامل ، وهو كل لا يقبل التجزئة" (١٣٧) .

الصوفية وأهل السنة يشككون فى عقيدة الإخوان :

ورغم أن حسن البنا قد أقر التصوف والسنة – كفكرتين مجردتين وليس كدعوتين – باعتبارهما عنصرين من علدينوليس لسشاملة ، ورغم أنه قد تشبع بأفكارهما واعتقدهما وأخذ نفسه بهما غير أن هاتين الفكرتين باعتبارهما دعوتين يحملهما طائفتان قد عارضتا فهم حسن البنا وجماعة الإخوان للإسلام .

فهما يريان أن نشاط الإخوان السياسى ماهو إلا إقحام للإسلام فيما لايعنيه فدعاة السنة اتهموا حسن البنا بأنه يدعو إلى السفساف والتافه من أمور الإسلام ويدع العظيم والخطير منها وهو العقيدة الصحيحة وتطهيرها من البدع والخرافات ، ورماه الصوفيون بأنه تنكب الطريق الإسلامى بدعوته إلى التدخل فى أمور الدنيا، ولذلك أعرض حسن البنا فى دعوته عن أهل التصوف ودعاة السنة واتجه إلى الطائفتين المحايدتين وهما طائفة الصالحين من غير الطائفتين السابقتين وطائفة الذين لايبالون بالدين لجهلهم به وهما ممن لا تشغل بالهم قضايا الخلاف . وقد رد حسن البنا على انتقاد أهل التصوف ودعاة السنة له بمجلة الإخوان المسلمين فى أواسط الثلاثينيات بمقال قال فيه: إن إخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم فى حدود المربع الصغير الذى

يقع فى مركز الدائرة وهم بذلك يقصرونها على الذين اكتمل فيهم كل ما يرون أنه العقيدة الصحيحة وهذا عدد ضئيل أما نحن فنتوجه بالدعوة إلى كل من يشهد أن لاإله إلاالله وأن محمدا رسول الله مهما كان مقصرا فيما سوى ذلك من تعاليم الإسلام وأفكاره – وكل ما نطالبه به أن يرتبط معنا برباط الأخوة الإسلامية للعمل على استعادة مجد الإسلام ، وهذه الدعوة غير المشروطة بشئ إلا بالإقرار بالشهادتين يستجيب لها طوائف على درجات متفاوتة من الإيمان بالتعاليم الإسلاميه والعمل بها .. وفى ظل روح الأخوة التى تجمع بين كل هذه الطوائف ، وتحت لواء المبايعة على العمل لاستعادة مجد الإسلام ، وعلى ضوء توجيهات قيادة الدعوة الممزوجة بروح الحب والمودة ، تنصهر كل هذه الطوائف فى بوتقة هذا المجتمع فترقى كل طائفة فى إيمانها وعملها وعقيدتها وفقهها" .

وقد هاجم الصوفية وأهل السنة حسن البنا وشككوا فى عقيدة الإخوان وفهمهم للإسلام مما دفع حسن البنا إلى إصدار رسالة التعاليم "ليحدد فيها رؤية الإخوان المسلمين للتعاليم الإسلامية الأساسية ورأيهم فى مواطن الخلاف بين الطوائف (١٣٨) .

ويدخل حزب الوفد المعركة ضد الإخوان ويستغل عريضة الدكتور إبراهيم حسن وكيل الجماعة التى كتبها حين قدم استقالته من جماعة الإخوان المسلمين فتكتب جريدة "البلاغ" فى ١٩٤٧/٤/٢٣ معلقة على هذه الوثيقة تحت عنوان "شيخ الإخوان يعبث – دعوة دينية دنستها الأطماع والشهوات" بقلم الأستاذ **على عبد العظيم** المحامى فيتناول ماورد فى عريضة الدكتور ابراهيم حسن من سعى الشيخ حسن البنا لتحويل جماعة الإخوان إلى حزب سياسى ويذكر أنه لايعنيه أن تتحول الجمعية إلى حزب سياسى جديد أو تفنى فى الحزب الوطنى فمصير هذا الحزب "لن يعدو ، أن يصبح واحدا من هذه الأقليات العابثة بمصالح البلاد"وهو يصف هذا المسعى بأنه تنكر للمبادىء التى دعت إليها الجماعة وانضم إليها الأنصار على أساسها ولذلك انفض عنها الكثيرون أما من بقى "فلا هم أبقوا على أنفسهم وعلى كيانهم كهيئة دينية إسلامية معروفة التعاليم والأهداف ولا هم بالذين يرجى لهم مستقبل أو يتوقع من ورائهم خير ما إذا هم انقلبوا نهائيا إلى هيئة حزبية تمارس السياسة وتفهمها كما يمارسها ويفهمها من هم على غرارها وشاكلتها من الأقليات !" .

وأشار إلى انصراف من كانوا عمد الدعوة عن الشيخ "حين انصرف عن التفكير في ربه إلى التفكير في دنياه ! " (١٣٩) .

د. ابراهيم مدكور يهاجم استغلال الدين في السياسة :

والدكتور ابراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع اللغوى وزميل حسن البنا بكلية دار العلوم وقد تخرج من الكلية في نفس السنة التي تخرج فيها حسن البنا يذكر في تحقيق صحفي معه بمجلة المصور أنه نصح حسن البنا بالابتعاد عن السياسة والاكتفاء بالدعوة إلى الإصلاح الأخلاقي والشبابي ، ولكنه رفض بدافع الطموح السياسي من ناحية وتشجيع السراى من ناحية أخرى ، وبكلمات الدكتور ابراهيم بيومي مدكور في رده على محرر مجلة المصور يقول : "حسن البنا كان زميلي وصديقي لكن كنت أريد له أن يكون داعية إصلاح أخلاقي وشبابي لاسياسيا ، ولكن السياسة مع الأسف لها شهية خاصة فجذبته إليها : السياسة مرة والسراى مرة أخرى" .

وفي هذا الحديث هاجم الدكتور ابراهيم الحزب الديني بشدة . فقد سأله المحرر: ما رأيك في كل الذين يحاولون – باسم الدين – شدنا إلى الوراء ، هؤلاء الظلاميون ؟

وأجاب: دعوة الإسلام دعوة إصلاح وتقويم لا تحزب وضيق أفق ، أنا أمقت الدعوات الضيقة الأفق باسم الدين ، لان دين الإسلام أوسع أفقا من كل هذه الحوارى ، وأخشى ما أخشاه أن عددا غير قليل ممن يتولون هذه الأمور لا يفهمون الإسلام على حقيقته وعلى وجهه الصحيح .

وسأله المحرر: فما هو رأيك في حديث البعض عن حزب ديني في مصر ؟

فأجاب: أرى أن الدين للجميع ، ولايصح مطلقا أن يزعم مسلم أنه وحده هو الذى يعلم الإسلام أو أنه وحده يكره فلانا أو يرفضه لأن الإسلام دعاه إلى ذلك ليس في الإسلام كراهية ، الإسلام مصالحة وحب وتفاهم فالإسلام توجيه .

وسأل المحرر: **كيف تواجه مصر خطر هذا التطرف ؟!**

وأجاب: مع الأسف الشديد هى ميكروبات جاءت إلينا من الخارج ، سعت إلينا ، وسعى وراءها بعض المال. ثم قال : أرجو فقط ألا نعود إلى الوراء ، وأقول هذا لأصحاب الدعوات الدينية التى لا أساس لها ، يجب أن نعيش مع الحاضر وأن ننهض بالحاضر ، وهو على صورة إسلامية حقيقية لاغبار عليها (١٤٠).

أثر السياسة فى سلوكيات حسن البنا :

واندماج حسن البنا فى العمل السياسى دفعه إلى تغليب سلوكيات وأخلاقيات رجل السياسة المحترف لا رجل الدين ، فاستخدم المناورة فى تعامله السياسى و "اللامبدئية فى التحالفات ، كما استخدم التجسس والتسلل إلى الأحزاب الأخرى والهيئات الأخرى كوسيلة للتعرف على أخبارها ونواياها الداخلية وتخريبها من الداخل ، كما أكد البعض ومنهم قادة الإخوان سعى البنا لطلب المعونات المالية بطريقة لا تخلو من الابتزاز من أمريكا وفرنسا وغيرهما ومن بعض الأحزاب مقابل التحالف معها ، كما جد فى السعى لتبرئة أحد قادة الإخوان - لأنه زوج أخته - من تهم أخلاقية أثبتتها وأكدتها لجان تحقيق شكلها لهذا الغرض مما نتج عنه استقالة وكيل الجماعة وعدد آخر من عضوية الجماعة .

وعن المناورة واللامبدئية يذكر الدكتور رفعت السعيد أن الذين يتابعون الحياة السياسية للشيخ يرون كيف استخدم المناورة أسلوبا لتعامله السياسى وكيف أنه فهم الحياة السياسية على أنها مناورات ودسائس يتعين على كل من يخوضها أن يتقنها وأن يمارس هذه الأساليب بل وأن يتفوق على غيره فى هذا الصدد وربما قادة ذلك إلى بعض (اللامبدئية) يلاحظها كل من تابع خطوات تحالفاته السياسية وتقلبها دون مبرر مقبول إلا المصلحة الذاتية" ويدلل على ذلك بعدد من الأدلة .. التى سبق أن ذكرنا بعضها ومنها :

أن صالح عشماوى وهو أحد قادة الجماعة ورئيس تحرير جريدتها هاجم مرة الدستور فأنذرته الحكومة إن هو لم يعدل عن هجومه فسوف تقدمه

للمحاكمة فرفض العدول ولكن الشيخ البنا نصحه قائلا "اكتب ياصالح مايطلب منك " .

ولقد كتب حسن البنا فى مقدمة مذكرات الدعوة والداعية يقول : أوصى الذين يعرضون أنفسهم للعمل العام ويرون أنفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة فذلك أروح لأنفسهم وللناس وأبعد عن فساد التعليل وسوء التأويل .

ومن هذه الأدلة أن حسن البنا قد كتب بعد حل الجماعة ما طلب منه فقد كتب يدين رجاله وهم رهن القيد ويصفهم بأنهم "ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين" مؤملا بموقف "لامبدئى" أن ينقذ بعضا من بقايا الجماعة فى محنة ١٩٤٨ "لكن الواقع أثبت أن خصومه كانوا أكثر منه ذكاء إذ أيقنوا أن خطوة واحدة إلى الخلف من القائد سوف تدمر الجيش كله وتدفع السجناء إلى الانهيار ... والاعتراف ... وقد كان" .

ومن الأدلة أيضا قبوله التبرع من شركة قناة السويس بمبلغ خمسمائه جنيه للمساهمة فى بناء مقر للجماعة ومسجد بالاسماعيلية وحين واجه اعتراضا على قبول التبرع من شركة استعمارية برر هذا بقوله" هذا مالنا لامال الخواجات والقناة قناتنا والبحر بحرنا والأرض أرضنا وهؤلاء غاصبون فى غفلة من الزمن" .

ومنها أيضا أنه يلجأ أحيانا إلى وسائل لا مبدئية للإقناع وللوصول إلى هدفه .

فحين غضب من الموقف السلبى لشيوخ الأزهر من دعوته خلال مقابلته للشيخ يوسف الدجوى سنة ١٩٢٧ وجه حديثه إليهم فقال "إن لم تريدوا أن تعملوا لله فاعملوا للدنيا وللرغيف الذى تأكلونه فإنه إذا ضاع الإسلام فى هذه الأمة ضاع الأزهر وضاع العلماء فلا تجدون ما تأكلون ولا ماتنفقون فدافعوا عن كيانكم إن لم تدافعوا عن كيان الإسلام" فهو يستثير العلماء بلقمة العيش إذا لم تجد المبادىء .

وفى افتتاح مسجد الإخوان بالاسماعيلية دعا لإقامة مدارس للتعليم الدينى وهاجم مدارس التعليم الحديث ووصفها بالمدارس المبتدعة التى يخرج منها الأبناء "وقد تسممت عقولهم بالأفكار الخبيثة الفرنجية وحشيت أدمغتهم بالآراء الإلحادية وشبوا على التقليد والإباحية " (١٤١) .

ومع هذا الهجوم على مدارس التعليم الحديث فقد كان هو نفسه يعمل مدرسا بها منذ تخرج من دار العلوم سنة ١٩٢٧ إلى أن استقال لتفرغه لنشاط الإخوان فى سنة ١٩٤٦ وألحق ابنه بهذه المدارس .

وعن التسلل إلى الأحزاب الأخرى والتجسس على أخبارها يعترف محمود عبد الحليم وهو أحد قادة الإخوان فى كتابه الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ "بأنه أعد مجموعة من الإخوان تخصصت فى مهمات للتجسس وللتسلل إلى حزب الوفد بحجة التعرف على حقيقة مايدبر لاغتيال المرشد من قبل نائب الوفد بالجيزة الذى فتح داره لشعبة الإخوان فيقول :

وكلفت مجموعة من الإخوان المتمرسين بالتعرف على اتجاهات المجتمعات بالنسبة للإخوان وهى مجموعة متخصصة لها القدرة على التكيف بجو الهيئة المطلوب معرفة اتجاهها تكيفا يشعر المسئولين بهذه الهيئة أنهم أخلص العاملين لها ، وبذلك يغشون الجلسات المضروب حولها نطاق السرية ، ويظهرون بذلك على أدق أسرارها (١٤٢) .

فانظر كيف يتباهى أحد قادة الإخوان بالتجسس على حزب آخر بينما نفس هذه الفعلة فى أمريكا تسببت فى استقالة رئيس جمهوريتها "نيكسون" وهى الفعلة التى اشتهرت بفضيحة "ووترجيت"

ولم يكتف الإخوان بالتجسس على الأحزاب الأخرى لحسابهم بل إنهم فعلوا نفس الشىء لحساب أجهزة القمع فى حكومة الديكتاتور اسماعيل صدقى سنة ١٩٤٦ لإفشال إضراب العمال فى شبرا الخيمة من أجل حقوقهم .

وأما عن مسألة طلب البنا المساعدات المالية من أمريكا وفرنسا ومن الأحزاب الأخرى فقد نشرت جريدة البلاغ فى ١٩٤٧/٤/١٩ وثيقة استقالة الدكتور ابراهيم حسن وكيل جماعة الإخوان المسلمين وهى استقالة مسببة ورد بها هذه الاتهامات ، ومنها أن الاستاذ حسن البنا طلب من الوفد دفع مبلغ خمسين ألف جنيه للإخوان المسلمين ثمنا لانضمام الإخوان إلى الوفد ، وقد عقبت جريدة الإخوان على هذه الوثيقة وعلى مانشرته البلاغ فكتبت البلاغ مرة أخرى فى ١٩٤٧/٤/٢١تحت عنوان "وكيل الإخوان يؤيد طلب شيخهم مبلغ خمسين الف جنية ثمنا لانضمامه للوفد " تقول : "وقد اتصل مندوبنا بحضرة الدكتور ابراهيم حسن وسأله عن حقيقة رواية الخمسين الف جنية فقال: أما وقد نشرت البلاغ تقريرى بغير علمى فأنا لا أستطيع أن أقول إلا أن

ما نشرته جريدة البلاغ نقلا عن مذكرتي هو الحق وأن ما نشرته جريدة الإخوان هو لبس ودوران .. أما حكاية الخمسين ألف جنيه فإن فضيلة الأستاذ البنا ذكر مبررات لها ولم ينفها فقال : إن المبررات أن رئيس الإخوان بالمنصورة كان يدفع كفالات لبعض الإخوان المقبوض عليهم وأن بعض الوفديين طلبوا منه أن يسمح لهم بأن يساعدوه في هذا فقبل شاكرا غير أنه صدرت إليهم أوامر من القاهرة بالكف عن هذه المساعدة ، هذا في رأى فضيلة المرشد كان مبررا لان يطلب الخمسين الف جنية من الوفد " ثم تعرض للحديث عن لجنة الاتصال بين الأحزاب واقتراح الأستاذ أحمد حسين بإنشاء صندوق تابع لهذه اللجنة ، ثم ذكر أن الشيخ البنا لاصلة له بموضوع هذا الصندوق" ولم يكن هذا هو سبب طلب هذا المبلغ من الوفد وإنما كان هذا المبلغ ثمنا لانضمام الإخوان إلى الوفد نظرا لما وصلت إليه حالة الإخوان المالية فى ذلك الحين من السوء" (١٤٣) .

وعلى وثيقة الدكتور ابراهيم حسن التى نشرتها البلاغ تعلق صوت الأمة بلهجة لا تخلو من الإسفاف تحت عنوان "هذه الجماعة تهوى" - جرائم راسبوتين فضيحة جديدة - خيانة الشيخ - مهاترة فتقول "الوثيقة تتضمن اتهامات غاية فى الخطورة : الشيخ يبرىء عبد الحكيم عابدين الشيخ يطلب من الوفد ٥٠ ألف جنيه لكى ينضم إليه فى جهاده - طرق الشيخ أبواب ابراهيم عبد الهادى طلبا للفلوس - طرق الشيخ أبواب الأمريكان والفرنسيين فى مصر وصده الدكتور ابراهيم حسن شخصيا" وعن الهيئة السياسية تتساءل:

"هل ثم شك فى أن فضيلته عندما يضع أقدار جماعة الإخوان فى أيدى أمثال وهيب دوس بك وسعد اللبان ومحمد عبد الرحمن نصير بك من رجال السياسة المعروفين بالعداء للشعب فهل ثم شك فى أن هذه خيانة" (١٤٤) .

هيئة سياسية تعبر عن التحالف بين الإخوان وأحزاب الأقلية :

وقصة تكوين الهيئة السياسية تجسد أسلوب المناورة واللامبدئية فى التحالفات ، وقد تناولت الصحافة هذه القضية لفترة طويلة تقرب من العام والنصف ما بين بداية عام ١٩٤٧ إلى منتصف عام ١٩٤٨ فصحافة الوفد تؤكد تشكيل هذه الهيئة التى تعبر عن تحالف بين الإخوان وأحزاب الأقلية تحت قيادة ونفوذ ممثلى السراى ، وصحافة الإخوان تنفى أو تعترف بها على أنها مجرد فكرة ومشروع لم يتقرر فيه شيء بعد ، ثم تعلن فى النهاية فى ١٩ يونية سنة ١٩٤٨ عن اقتراح من المرشد العام بتشكيل هذه اللجنة وموافقة مكتب الإرشاد على هذا الاقتراح ، ولكن تشكيل هذه اللجنة قد اختلف من حيث أسماء أعضائها بين ما نشرته صحافة الوفد وما نشرته صحافة الإخوان .

فجريدة البلاغ اليومية فى عددها رقم ٧٧٤٥ السنة الخامسة والعشرون فى يوم الخميس ٢٩ربيع الأول سنة ١٣٦٦هجرية ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٧ تذكر أن الأستاذ الشيخ حسن البنا رئيس جماعة الإخوان المسلمين شكل هيئة سياسية عليا للإخوان المسلمين لإدارة النشاط السياسى للجماعة وتولى قيادتها ، وقد كونت هذه الهيئة من الأساتذة : صاحب العزة وهيب دوس بك المحامى . محمد عبد الله العربى بك مدير إدارة تحقيق الشخصية الموقوف عن العمل الآن . شافعى اللبان المستشار بمجلس الدولة . محمد عبد الرحمن نصير عضو مجلس النواب من حزب الأحرار الدستوريين . الدكتور محمد سلامة سالم مراقب وزارة الدفاع وقريب عبد الرحمن عزام باشا . اللواء حسن عبد الوهاب باشا عضو مجلس الشيوخ وعضو حزب الأحرار الدستوريين أيضا (١٤٥) .

وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٧ نشرت البلاغ أيضا محضر الجلسة الأولى للهيئة السياسية العليا لجماعة الإخوان المسلمين ، وأشارت البلاغ إلى نفى جريدة الإخوان المسلمين لهذا الخبر . وأن البلاغ دحضا لهذا النفى وتأييدا لما نشرته ، تنشر محضر الجلسة الأولى التى انعقدت فى منزل الأستاذ منير دلة صهر صاحب السعادة محمد العشماوى باشا وحضرها

الأساتذه وهيب دوس بك وشافعي اللبان بك ومحمدى عبد الرحمن نصير والدكتور محمد سالم والشيخ محمود شلتوت (ويلاحظ أنه لم يكن فى التشكيل الأول) ومحمد عبد الله العربى بك والدكتور ابراهيم حسن والشيخ حسن البنا (والأخيران لم يرد اسمهما ضمن التشكيل الأول) وقد اقترح وهيب دوس بك فى هذا الاجتماع تحويل الجمعية إلى حزب سياسى . وقد وافقه الشيخ حسن البنا على هذا الاقتراح ، وأيده قائلا إن الأعضاء المستنيرين بعيدى النظر انضموا إلى الجمعية على أنها هيئة سياسية ، أما الذين انضموا إليها على أنها هيئة دينية فهم البسطاء وقصار النظر ، وقد اعترض بعض الأعضاء على القول بأن بالجمعية أعضاء بسطاء ، فاستدرك الشيخ حسن البنا قائلا إن الدين لا يتنافى مع السياسة .

بعد ذلك تناول وهيب دوس بك قانون الجماعة الأساسى وقال عنه إن المبادىء الواردة به لا تصلح لأن تكون أساسا لتنظيم حزب سياسى ، وتم الاتفاق على تكوين لجنة من وهيب دوس بك وشافعي اللبان بك لوضع البرنامج الجديد للهيئة بعد صيرورتها حزبا سياسيا ، على أن يعرض هذا البرنامج قبل إقراره نهائيا على أحد الأحزاب ، وهنا اقترح وهيب دوس بك أن يكون هذا الحزب هو الحزب الوطنى ويتفق مع هذا الحزب الأخير للارتباط بهذا البرنامج ومباشرة تطبيقه وتنفيذه على أن يشد الإخوان المسلمون أزره حتى يصل إلى الحكم وهنا تنقلب جمعية الإخوان المسلمين جهرا إلى حزب سياسى نهائيا .

وقد رئى أن هذا التدرج فى تحويل الجمعية إلى حزب سياسى أفضل للإبقاء على أنصار الجمعية حتى لا يؤخذوا بهذه الطفرة الآن وينفضوا من حولها .

وضرب وهيب دوس بك المثل فى جدوى هذا النظام (بالبروتستنت) فى فرنسا إذ يتبعها جمعيات دينية كثيرة ، ولكنها جميعا تتكاتف لتأييد حزب سياسى . وشد أزره ومناصرته لتحقيق أغراضها ، وقد انفض الاجتماع على أن يتولى الأستاذ وهيب دوس بك وضع دستور هذا الحزب الجديد ليعرض على الأعضاء فى الاجتماع الثانى (١٤٦) .

وفى يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٧ تنشر البلاغ "محضر الاجتماع الثانى للهيئة السياسية لجماعة الإخوان . عبد الرحمن عزام باشا يحضر هذا

الاجتماع !؟" وذكرت البلاغ أن جريدة الإخوان المسلمين قد اعترفت اليوم بأن هذا الاجتماع حدث فعلا ولكن الأمر لم يخرج عن كونه اجتماع أصدقاء تداولوا فيه هذه الفكرة ، وتشعب الحديث حول موضوعات قومية عامة .

وتذكر البلاغ أنها إزاء هذا التفسير الملتوى لجريدة الإخوان المسلمين تجد نفسها مضطرة ومكرهة مرة أخرى إلى أن تكشف عن الاجتماع الثانى والأسباب التى من أجلها تمت هذه الاجتماعات ، تأييدا لما ذكرته من أن الهيئة قد تكونت فعلا لإدارة شئون الجماعة السياسية ، وتقول البلاغ إن الاجتماع الثانى تم فى منزل الدكتور محمد سالم مراقب وزارة الدفاع ، وحضره سعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية وحسن عبد الوهاب باشا وصالح حرب باشا وشافعى اللبان بك والشيخ محمود شلتوت ، والدكتور ابراهيم حسن والأساتذة محمد نصير وحسن البنا ومنير دله وصالح عشماوى ولم يحضر هذا الاجتماع وهيب دوس بك المحامى ، وقد كان المفروض أن يكون قد انتهى من وضع أساس الحزب الجديد الذى يضم الحزب الوطنى والجماعة إلا أنه لم يكن قد انتهى من إعداده .

بدأ الاجتماع سعادة عبد الرحمن عزام باشا فشرح وجهة نظره بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين والطريقة التى يرجو أن تسير عليها حتى يضمن لها المساعدة لدى الجهات المختصة التى كان قد وعد بمساعدتها .

ثم تكلم الأستاذ الشيخ حسن البنا فقال : إن الهيئة بوصفها الحالى أى باعتبار أنها ستوكل إليها قيادة الجماعة لم تلق قبولا لدى مكتب الإرشاد الخاص بالجماعة ، وأن الفكرة تحتاج لتطبيقها إلى وقت حتى تستقر فى نفوس الإخوان .

وقد احتج بعض الحاضرين على تردد الأستاذ الشيخ حسن ورأوا كتابة محضر رسمى لاجتماعاتهم حتى لا ينكص أحد من الأعضاء مرة أخرى عن رأى سبق أن أبداه . فقال الأستاذ الشيخ إنه تقريبا لوجهات النظر يتوسط الأمر ويعرض أن تكون هيئتهم هذه استشارية تتطور مع الزمن إلى قيادة عليا تضم الحزب الوطنى والإخوان ، وبعد أن أخذ الأعضاء فى بحث هذا الاقتراح تأجل الاجتماع انتظارا لنتيجة عمل اللجنة المشكلة من وهيب بك دوس وشافعى بك اللبان لوضع دستور الحزب الجديد .

وتتساءل البلاغ : هل يستطيع عبد الرحمن عزام باشا أن يذكر سبب حضوره هذا الاجتماع أم نذكر نحن له ؟

وقد نشرت "البلاغ" تعقيبا من صاحب العزة عبد القادر مختار بك على ما نشرته البلاغ عن الجلسة الأولى للهيئة السياسية ورد جريدة الإخوان المسلمين يحذر فيه حسن البنا من هذا الطريق الذى يسير فيه متحالفا مع رجال لهم اتجاهات سياسية خاصة ، ويؤكد ضرر هذا المسلك بمصلحة الجماعة فيقول :

أرسلت خطابا لفضيلة الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين بخصوص ما نشره البلاغ أمس عن الجلسه الأولى للهيئة السياسية العليا للإخوان المسلمين ، ولما كنت قد اطلعت اليوم على رد جريدة الإخوان المسلمين ورأيت مايؤيد انعقاد هذه الهيئة فعلا وقيامها لبحث فكرة تحويل الجماعة إلى "حزب سياسى " فلهذا أرجو أن تنشروا على صفحات جريدتكم أننى أرى فى هذا العمل إضرارا بمصلحة الجماعة لأن هؤلاء الرجال الذين وردت أسماؤهم فى المحضر المشار اليه (مع احترامى لاشخاصهم) والذين سيبنى عليهم هذا الحزب السياسى لهم اتجاهات سياسية خاصة ، فلهذا اسمحوا لى بأن أقول لفضيلة الشيخ حسن البنا بإخلاص بأنه أخطأ الطريق القويم وقضى على جماعة الإخوان المسلمين ، وأن هذه الجهود ستنتهى إلى ما انتهى إليه حزب الاتحاد .

ونصيحتى للشيخ حسن البنا أن ينسى نفسه وأن يعمل لله والوطن والملك ، وأن يذكر نصيحتى التى وجهتها إليه وأنا بمكتبه بدار الإخوان المسلمين يوم ١٤ ديسمبر الماضى . عبد القادر مختار (١٤٧) .

وفى ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٧ تواصل جريدة البلاغ الكتابة فى نفس الموضوع تحت عنوان "تأرجح الشيخ حسن البنا بين جميع الأحزاب هو الدافع إلى تشكيل الهيئة السياسية لجماعته" .

وتذكر البلاغ أن جريدة الإخوان اعترفت بصحة ما ذكرته البلاغ عن الاجتماع الثانى للهيئة السياسية ولكنها استدركت بأن هذه الهيئة لا تعدو فكرة تحت الدراسة لم يتقرر فيها شيء بعد ، وطالبت جريدة الإخوان البلاغ بذكر أسباب تكوين هذه الهيئة التى وعدت بذكرها ، وانبرت البلاغ لتعداد هذه الأسباب مؤكدة أن الهيئة السياسية ليست فكرة تحت الدراسة ولكنها قائمة فعلا

بما أريد لها من مهام ، فتقول البلاغ إن الشيخ حسن البنا "دأب على أن يتردد بسياسة الإخوان ويميل بها مرة هنا ومرة هناك ، ويعقد الاتفاق تلو الاتفاق ويبرم الميثاق تلو الميثاق ولكنه ما أسرع ما ينفض يده من هذا ليضعها فى يد ذاك !

وأخذت البلاغ تعدد هذه المواقف :

١- فتذكر البلاغ أنه اتفق مع عبد الرحمن عزام باشا على ان يضع جماعة الإخوان المسلمين فى خدمة السياسة التى يمليها عزام باشا ! ولم يعش هذا الاتفاق طويلا لأن حسن البنا نقضه .

٢- وحين تشكلت لجنة الاتصال بين الأحزاب والهيئات المعارضة للنظام أسرع بالانضمام اليها ، ومثل الجماعة الدكتور ابراهيم حسن ، وبعد قليل من الوقت تبين الشيخ البنا أن مصلحته فى غير هذا الطريق فلجأ إلى سياسة تعوق خطى هذه اللجنة لينفرط عقدها وتفشل فى مهمتها .

٣- ثم اتجه إلى حافظ رمضان باشا وحزبه الوطنى فقابله البنا واتفق معه على تنسيق سياسة الحزب وسياسة الإخوان ولم يبق إلا الاتفاق على البرنامج والتفصيل !

وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ عرض حسن البنا على حافظ رمضان أن يكون الحزب الوطنى هو اللسان المعبر عن الإخوان المسلمين الناطق بسياستهم ، فوافق حافظ رمضان على أن يصاغ هذا الاتفاق فى قالب ميثاق يتعهد باحترامه الطرفان الموقعان واتفق الطرفان على تشكيل لجنة تمثلهما لمناقشة هذا الميثاق ووضع أسسه وشرائطه مكونة من عبد العزيز الصوفانى وفتحى رضوان عن الحزب الوطنى ، والدكتور ابراهيم حسن عن الإخوان المسلمين واجتمعت اللجنة أكثر من مرة وتم الاتفاق نهائيا على أن يعهد للشيخ البنا بكتابة هذا الميثاق وصياغته ، ولكن الشيخ لم يضع المثياق ولم يذهب إلى اجتماع اللجنة الذى حددته لتقرأ الميثاق فيه وتقره !

٤- وإذ يعرض البنا عن الحزب الوطنى فقد ولى وجهه شطر حزب السعديين فقابل ابراهيم عبد الهادى باشا وقت أن كان وزيرا للمالية وكان واسطة التعارف بينهما الدكتور ابراهيم ابو النجا عديل ابراهيم عبد الهادى باشا كما اجتمع للغرض نفسه بمعالى السنهورى باشا أكثر من مرة ، وكان آخر اجتماع له بابراهيم عبد الهادى بمنزله يوم ١٣ فبراير سنة١٩٤٧.

٥- ولكنه ترك السعديين واتجه إلى على ماهر باشا يعرض عليه تأييد الإخوان لجبهة مصر فطلب منه على ماهر أن يرتبطا فى ميثاق وطنى ولكن الشيخ نكص على عقبيه وذهب يبحث عن رجل أوحزب جديد يؤيده .

وكان من أثر هذه السياسة المترددة البعيدة عن الثبات أن تصايح بالغضب والشكوى عدد كبير من الإخوان المسلمين ، ففى اجتماع الهيئة التأسيسية للجماعة وقف الأستاذ محمود أبو السعود أحد أعضائها وهاجم سياسة الشيخ ، وكادت تقع فتنة بين الإخوان لولا أن نهض الشيخ واعترف بكل ما صدر عنه وبرره بأنها "السياسة كما يفهمها وكما يرى فيها مصلحة الإخوان ، وأن هؤلاء الذين يعارضونه فيها لايفهمون فى السياسة شيئا ! " .

٦- جدت ظروف دفعت حسن البنا إلى اللجوء من جديد إلى عبد الرحمن عزام باشا طالبا منه العون للإخوان فاشترط لكى يمده بالعون الذى يطلبه ضرورة تشكيل هيئة سياسية للإخوان تشرف على سياستهم وتديرها فى الوجهة التى يريدها . وتكون مسئولة أمامه شخصيا ، وبرر هذا المطلب بضرورته لكى يضمن للجهات التى يتكلم عنها ويمثلها فى هذا الاتفاق قيام الإخوان بتنفيذ السياسة التى تراها ، وبالتالى لكى يضمن من ناحيته أن يحصل للإخوان على العون الذى يطلبون !

وما إن سمع الشيخ هذا الاقتراح حتى سارع إلى تأييده والموافقة عليه ، بل ذهبت به حماسته فى هذا التأييد إلى حد رأى معه أن يترك لعبد الرحمن عزام باشا حرية تشكيل هذه الهيئة المنشودة ممن يشاء وعلى الوجه الذى يشاء ! ، من هنا كانت الهيئة السياسية للإخوان فكانت الأسماء وكانت الجلسات (١٤٨) .

وأخيرا فى جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية فى العدد ٦٥١ السنة الثالثة فى ٥ شعبان سنة ١٣٦٧هجرية ١٣ يونية سنة ١٩٤٨ وفى العدد الأسبوعى من مجلة "الإخوان المسلمون" رقم ٢٠٤ السنة السادسة فى ١٢ شعبان سنة ١٣٦٧هجرية ١٩يونية سنة ١٩٤٨ ينشر اقتراح من المرشد العام وموافقة مكتب الإرشاد بتأليف اللجنة السياسية للإخوان المسلمين من حضرات الإخوان الأساتذة :

١-صالح عشماوى	وكيل المكتب	رئيسا
٢-محمد طاهر الخشاب	عضو المكتب	وكيلا
٣-صالح أبو رقيق	وكيل قسم الاتصال	سكرتيرا
٤-محمد عبد الرحمن نصير	عضو المكتب	عضوا
٥-صلاح عبد الحافظ	عضو المكتب	عضوا
٦-عمر التلمسانى	عضوالمكتب	عضوا

وعلى اللجنة أن تستعين بمن ترى الاستعانه به من الأعضاء والموظفين بالدار وتؤلف من اللجان الفرعية ما يساعد على النهوض بمهمتها (١٤٩) .

ويلاحظ أن اللجنة بهذا التشكيل قد خلت من كثير من الأسماء التى حضرت الاجتماعين السابقين خاصة من خارج الإخوان المسلمين ، ونشير فى هذا الصدد إلى ما ذكره الأستاذ حسن البنا فى الاجتماع الثانى من أن مكتب الإرشاد لم يقبل تشكيل الهيئة السياسية بالوضع الذى يوكل به إليها قيادة الجماعة وأن الفكرة تحتاج لتطبيقها إلى وقت حتى تستقر فى نفوس الإخوان .

ولكننا نشير أيضا إلى تصريح للأستاذ عمر التلمسانى المرشد الثالث للإخوان المسلمين بمناسبة ما قيل عن الفتنة الطائفية فى أحداث الزاوية الحمراء سنة١٩٨١ وتبرئة الإخوان من المشاركة فيها ، فقد قال التلمسانى فى مجلة المصور تحت عنوان "مواجهة خطيرة مع عمر التلمسانى" فى فترة من الفترات كانت هناك لجنة سياسية للإخوان المسلمين وكان من أعضائها وهيب دوس وأخنوخ لويس ..؟ كانا عضوين فى اللجنة السياسية للإخوان المسلمين " . فهل كانت هناك لجنتان إحداهما علنية والأخرى سرية ، ثم يعقب التلمسانى على ذلك بقوله : "الذى يأتى بهؤلاء ليكونوا أعضاء فى لجنة سياسية لدعوة إسلامية ليس إنسانا متعصبا (١٥٠) .

ويعكس هذا النشر المتناقض لأخبار الهيئة السياسية بين صحافة الوفد وصحافة الإخوان الصراع الكامن بين الوفد والإخوان هذا الصراع الذى تغذيه السراى وأحزاب الأقلية ويغذيه أيضا طموح الإخوان للسيطرة على القاعدة الشعبية التى تنحاز أغلبيتها لحزب الوفد ، والبنا لم يقف ضد الوفد لتهادنه بل لمنافسته على الجماهير الشعبية ، لأنه ذهب إلى ما هو أبعد من الوفد فى التهادن مع القصر ومع أحزاب الأقلية وكان تهادن الوفد يمثل

تهادن الطبقة المتوسطة التى نحيت من السلطة بسبب ذلك ، وسمحت بتهادنها للفكر الفاشى الذى تستر بقميص الإسلام ، لان يتقدم ويشد إليه كثيرا من جماهير الوفد ويسلبها فعاليتها فى الحركة الوطنية والديمقراطية .

ولقد تعرضت حركة الإخوان بسبب نشاطها السياسى وتحالفاتها المتقلبة لكثير من الكوارث والمحن ، وواجه حسن البنا هذه المحن بفكر مرن وأسلوب ماهر فى المراوغة وقد راوح بين وجهى الدعوة : الدينية والسياسية ، فحين يواجه قمعا وتضييقا على نشاط الجماعة يلجأ إلى الواجهة الدينية ليركز نشاطه عليها خاصة إذا واجه رئيسا قويا للحكومة - كما سبق القول - ليتفادى الكوارث ، فهو يحنى الرأس للعاصفة حتى تمر ، وحين يواجه رئيسا ضعيفا وتتسع الفرصة للحريات والحركة يلوح بالواجهة السياسية وينشط من خلالها ، وهو حين يقدم تنازلا حتى يتفادى العاصفة يحرص على الحصول على مايقابل هذا التنازل من امتيازات تمنح جماعته مزيدا من الحرية والحركة .

تعاطف الإخوان مع الألمان :

فى بداية الحرب العالمية الثانية وقفت بعض القوى الوطنية - بسبب كراهيتها للانجليز وبدافع السخط على استعمارهم لمصر - متعاطفة مع المحور : ألمانيا وإيطاليا - متخيلة بفهم خاطىء - أن هذا التعاطف والتنسيق مع الألمان والإيطاليين سوف يساعد على تحرير مصر ، ولم تكن تدرك أن النازية والفاشية أشد قسوة وقهرا للشعوب من الاستعمار الانجليزى ، وأنها لم تعلن الحرب لمساعدة الشعوب على نيل استقلالها وإنما أشعلتها لإعادة توزيع المستعمرات من جديد حتى تحصل على نصيبها من هذه المستعمرات وتجد لنفسها مواطىء أقدام فى المستعمرات للسيطرة عليها ونهب خيراتها واستغلال شعوبها .

وكان من هذه القوى التى أملت فى الألمان خيرا وعملت على الاتصال بهم أثناء الحرب جماعة الإخوان المسلمين ، وكانت هناك بعض الشخصيات التى تقف معها فى هذا الاتجاه ومنهم على ماهر وعزيز المصرى وأنور السادات والسيد أمين الحسينى مفتى فلسطين ، وكان القصر يؤازر خفية هذا الاتجاه ، ويعترف مؤرخ الإخوان وأحد قادتها بهذا الدور للإخوان

المسلمين فيقول : " فلما قامت ألمانيا بهجومها المكتسح على أوروبا هب هؤلاء الأحرار (من المصريين) ينتهزون هذه الفرصة لتخليص البلاد من يد الانجليز ... كون الأحرار على إختلاف نزعاتهم جبهة لإنقاذ البلاد ، وكان تكوين هذه الجبهة يجرى تحت ستار السرية التامة ، وأنا شخصيا مع أنى كنت أقوم ببعض ما كان يوكل إلى من أعمال لهذه الجبهة - لا أعرف من الجهات المشتركة فيها ولا الأشخاص المشتركين فيها إلا الأستاذ المرشد وعلى ماهر والسيد أمين الحسيني مفتي فلسطين ، كانت خطة الجبهة تتلخص في محاولة الاتصال بالحكومة الألمانية والاتفاق معها على أن تحمل مصر عبء الدفاع عن نفسها ضد الانجليز في مقابل أن تستقل وتظل صديقة لألمانيا .. وقد حدث الاتصال فعلا ، وكانت تصلنا خطب هتلر" بنصها وكنا ننسخ منها نسخا لتوزيعها على المشتركين في الجبهة . وأعدت الجبهة العدة لتهريب "عزيز المصرى" إلى ألمانيا في طائرة من طائرات الجيش لكن الظروف حالت دون ذلك ..كما استطاع السيد أمين الحسينى أن يهرب إلى ألمانيا " ثم يقول" وكان من نتيجة ذلك أن تمكن الانجليز ، ويبدو أن مخابراتهم كانت على علم ببعض معلومات عن هذه الجبهة ، فكانت الاعتقالات التى اتخذتها حكومة الوفد فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢" (١٥١) .

وكان تعاطف الإخوان مع الألمان واتصالهم بهم والدعوة لهم أثناء الحرب من الأسباب التى حدت بحكومة حسين سرى باشا إلى الضغط عليهم ، وتقييد نشاطهم فصادرت مجلتى التعارف والشعاع الاسبوعيتين كما صادرت مجلة المنار الشهرية ، ومنعت منعا باتا طبع أية رسالة من رسائلهم وأغلقت مطبعتهم ، ومنعت اجتماعاتهم ، ورزقبت دورهم "واعتقلت بمعتقل الزيتون عبد الحكيم عابدين السكرتير العام حتى قضى فيه ستة أشهر أو تزيد ، وكذلك أمضى المرشد والوكيل بهذا المعتقل شهرا بعد نقل وتشريد ووعيد وتهديد" ويكمل المرشد العام تعليقا على ذلك فى بيانه أمام الهيئة التأسيسية للإخوان فى ٧ أغسطس سنة ١٩٤٨ فيقول : " ومن الإنصاف أن نقول إن فضل هذا الضغط كان على الدعوة عظيما ، ورب ضارة نافعة ، والذهب الإبريز يصفو على السبك ، وكم من منحة فى طى محنة" (١٥٢) .

وتقول جريدة الإخوان إنهم قد استفادوا فى هذه الفترة أكبر الفائدة من حيث الكم والكيف ، فقد لفتت هذه الحوادث أنظار الناس إليهم ، ونشرت بينهم دعوتهم فانضموا إليها مخلصين (١٥٣) .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الاستاذ حامد جودة سكرتير الحزب السعدى ، ذهب إلى معتقل الزيتون ، وقابل حسن البنا ، وبعد هذه المقابلة خرج البنا من المعتقل وقد ازداد جاها ونشاطا . كما يقول الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة - وسمح له بأن يجوب البلاد طولا وعرضا ينشر دعوته ويجند الأنصار والأتباع ، ومن هنا كانت استفادة الإخوان وحدهم فى هذه الفترة من الحرب عظيمة .

منع الإخوان من دخول مجلس النواب :

وفى حكومة النحاس باشا سنة ١٩٤٢ أراد المرشد العام أن يرشح نفسه على مبادىء الإخوان فى انتخابات مجلس النواب عن دائرة الاسماعيلية تنفيذا لقرار المؤتمر السادس للإخوان المنعقد فى يناير سنة ١٩٤١" بالاذن لمكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين بالتقدم بالأكفاء من الإخوان إلى الهيئات النيابية المختلفة ليرفعوا صوت الدعوة وليعلنوا كلمة الجماعة فيما يهم الدين والوطن (١٥٤) .

وتقول صحف الإخوان إن النحاس باشا طلب من المرشد العام مقابلته فقابله فى "مينا هاوس" وطلب إليه التنازل عن هذا الترشيح لحرج الموقف ، ويقول الإخوان إن طلب النحاس باشا تم بناء على تبليغ من الانجليز وضغط منهم وتهديد - إن رفض التنازل - بإعلان الحرب على الإخوان المسلمين بكل وسيلة ، وينفى هذا الاتهام الدكتور عبد العظيم رمضان مؤكدا أن النحاس تصرف فى هذا الطلب من تلقاء نفسه ودلل على ذلك بالعديد من الحجج (١٥٥) ونحن نرجح أن النحاس طلب من حسن البنا التنازل لأنه رشح نفسه على مبادىء الإخوان والنحاس ينظر إليها كجمعيه دينية لا يجوز لها فى رأيه أن تخلط بين الدين والسياسة أو تمارس عملا سياسيا ليس من أهداف تكوينها ، أو من حيثيات حصولها على الترخيص لها بالعمل والنشاط ، ولقد استجاب البنا لطلب النحاس باشا بعد أن حصل منه

فى مقابل ذلك على العديد من الامتيازات والحقوق فقد سمحت الحكومة للإخوان باجتماعاتهم وصرحت لهم بمجلتهم الأسبوعيه وبفتح مطبعتهم .

وتذكر جريدة الإخوان أن الأستاذ البنا رأى أن من الخير للدعوة ألا تصطدم بأحد فى مثل هذا الظرف وحول كرسى من كراسى البرلمان فوافق على ذلك ، وقد كشفت الحوادث .. عن عظيم توفيق الله للإخوان فى هذا الموقف .. وتأولوا به الأسوة فى موقف الرسول (ص) فى الحديبية " .

وتذكر الجريدة أن هذا الموقف لم يستمر طويلا فقد أمر النحاس بإغلاق شعبهم ما عدا المركز العام وضيق عليهم فى اجتماعاتهم ومطبوعاتهم وسائر نواحى نشاطهم واستمر هذا الوضع ثلاثة أشهر ثم عدلت الحكومة عن هذه الخطة ، وزار بعض وزراء الوفد وعلى رأسهم فؤاد سراج الدين دار الإخوان فى محاولة للمصالحة ، وقد ألقى حسن البنا كلمة فى هذه المناسبة حاول فيها أن يبرىء الإخوان من التهم الموجهة إليهم بالخضوع للسراى والتحالف مع أحزاب الأقلية ضد الوفد ، وتأييد الفاشية أو النازية فقال " ومن خصائص هذه الدعوة أنها منذ نشأت وقد مضى عليها الآن خمس عشرة سنة عاصرت فيها مختلف الهيئات والحكومات ، لم تتحدر يوما من الأيام إلى المزالق السياسية ولم تتلون بالألوان الحزبية ولم تتورط فى المنافع الشخصية ، ولم تخضع لهيمنة عظيم من العظماء أو سلطان وجيه من الوجهاء ولم تعمل ساعة من نهار لحساب شخص أو هيئة أو حزب أو دولة لأنها صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " (١٥٦) .

ثم أقيلت وزارة النحاس باشا فى اكتوبر سنة ١٩٤٤ وتولى أحمد ماهر الوزارة وأجرى انتخابات مجلس النواب ورشح بعض الإخوان أنفسهم ولم ينجح منهم أحد واتهموا الوزارة بتزوير الانتخابات .

حسن البنا ينقل إلى قنا :

ثم ينقل الأستاذ حسن البنا إلى قنا بقرار من وزير المعارف العمومية الدكتور محمد حسين هيكل الذى تولى هذه الوزارة سنة ١٩٤٤ التى كان يرأسها أحمد ماهر باشا ، ويقول مؤرخ الإخوان إن القرار كان بدافع الحقد من الدكتور هيكل على المرشد العام وأنه كان مصحوبا بالتهديد بحل الجماعة

إذا لم ينفذ حسن البنا قرار النقل وفى البداية رفض المرشد والإخوان القرار وأخيرا رأى المرشد أن ينفذ القرار للأسباب الآتية :

١- قرار النقل مصحوب بالتهديد بالحل وقد كشف حقد الأحزاب الشكلية .

٢- القرار كشف عن مقدار قوتنا وضعف السلطة .

٣- أحزاب الأقلية تعتمد على الملك ومن المصلحة ألا نظهر بمظهر المتعنت .

٤- ليس هدفنا منازلة أحزاب الأقلية حتى لايشغلنا ذلك عن المعركة الكبرى التى نعدلها .

٥- إننا فى حاجة لتأمين خطواتنا القادمة فى الدعوة - إلى فترة نكون فيها بمنأى عن الرقابة البوليسية ولن يتأتى ذلك إلا بظهورنا بالمظهر السلمى الذى يبدو أن فيه مساسا بكرامتنا ، لكن وراءه الخير الكثير للدعوة وذكر المرشد أن من ضمن التعهدات التى قطعتها الحكومة على نفسها إذا أنا قبلت التنفيذ ، أن يرفعوا عنا الرقابة البوليسية .

٦- إن الصعيد الأعلى لم ينل حظه من عناية الدعوة ولعل هذه فرصة لتدارك ما فات .

وسافر المرشد بعد أن استخلف فى هذه الغيبة الشيخ الباقورى بهدف تنويم الأحزاب الحاكمة فقد كان الشيخ الباقورى صهر الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، الذى كان فى ذلك الوقت من كبار رجال أحد حزبى هذه الوزارة .

وظل البنا بقنا عدة شهور فدبت بالمنطقة الحياة ، ورجع للقاهرة بعد رجاء من الحكومة (١٥٧) كما يقول مؤرخ الإخوان . وفى رأى مصادر أخرى بعد تدخل من السراى وبعض نواب أحزاب الاقلية

حوادث العنف والارهاب وتفكير البنا فى أن يعهد للحزب الوطنى بالنشاط السياسى :

وفى شتاء عام ١٩٤٨ حين بدأت الغيوم تتكاثف حول جماعة الإخوان المسلمين وأصابع الاتهام تشير إليها بأنها وراء عمليات العنف والإرهاب وبدا مصير الجماعة فى كفة الميزان وسحب الحل تتجمع .

فى هذه الظروف حاول حسن البنا أن يجد لنفسه ولجماعته مخرجا من المأزق الذى وصلت اليه وعادت به الذكرى إلى الحل الذى كان مطروحا فى مناقشات اللجنة السياسية فى بدايات عام ١٩٤٧ وهو أن تتخفف الجماعة من النشاط السياسى مؤقتا وتعهد به إلى الحزب الوطنى بينما يقتصر نشاطه هو وجماعته على الناحيه الدينية ، وأعمال البر أى العودة مرة أخرى إلى المراوحة بين وجهى الدعوة السياسية والدينية حتى يخف الضغط على الجماعة وتنجو من السهام المصوبة إليها بسبب الاتهامات بالعنف والتطرف الموجهة إليها ، يؤيد ذلك ماجاء فى مقال **لفتحى رضوان** بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٠ فقد كتب يقول : فى شتاء ١٩٤٨ كنت دائم الاتصال بالمرحوم الأستاذ البنا وقد أسفر هذا الاتصال عن تفكيره - رحمه الله - جديا فى أن يكل نشاط الإخوان المسلمين السياسى إلى الحزب الوطنى وأن يقتصر عمله هو ودعوته على الناحية الدينية البحتة " .

وهذا الاتجاه يشكك ويلقى الغموض على مقولته بالربط بين الدين والدولة ، والدين والسياسة والمصحف والسيف .

ثم يقع الحل فيحاول أن يجمع الوسطاء الذين يحاولون إقناع الحكومة بالتخفيف من شدة إجراءات الاعتقال ويبدى استعداده لتقديم كل التنازلات فى سبيل أن تسمح الحكومة للإخوان بالنشاط الدينى والخيرى وان تعفى الشركات التى تمارس النشاط الاقتصادى من المصادرة ، وحاول فتحى رضوان إقناعه بأن هذه الوساطة لاجدوى منها لأن الخلاف بين الإخوان وبين الحكومة خلاف مبدئى لاتنفع فيه الوساطة ، ولكن حسن البنا استمر فى طرق أبواب الوساطه ، وأثبت الواقع وتطور الأحداث أن وجهة نظر الأستاذ فتحى رضوان كانت ثاقبة وبعيدة الغور .

ويبلور فتحى رضوان قضية الوساطة هذه فيقول "ثم وقع الحل فاتخذ المرحوم الأستاذ حسن البنا من مكتبى مكانا يلقى فيه بعض أنصاره ويتصل عن طريقه برجال السياسة والحكومة . وفى أحد الأيام أفضى إلى أنه يود أن يكل إلى هيئة من رجال السياسة المصريين حزبيين ومستقلين وبعض المشتغلين بالشئون العربية والإسلامية بأمر الوساطة بين الإخوان وحكومة النقراشى باشا ، وكان يؤمل أن تنجح وساطة هؤلاء الكبار فى أن تخفف الحكومة من شدة اجراءات الاعتقال ، وأن تدع نشاط الإخوان الخيرى

والدينى وأن تعفى من المصادرة والحل الشركات التى تمارس نشاطا اقتصاديا ، وكان رحمه الله يتفضل بزيارتى كل ليلة بالمكتب ، وكنت أقول له : أما قلت لك إن الخلاف بينك وبين الحكومة خلاف مبدئى لا تنفع فيه وساطة الوسطاء . وكنت تقول : هذا باب مفتوح يجب أن نطرقه حتى لا نكون فى نظر الناس قد قصرنا فى شيء" .

ويعلق محمود عبد الحليم مؤرخ الإخوان المعتمد لديهم على الفكرة الأولى التى أوردها الأستاذ فتحى رضوان فيقول : تفكير الأستاذ المرشد العام فى أن يكل نشاط الإخوان السياسى إلى الحزب الوطنى واقتصاره هو على الناحية الدينية البحتة أمر لم يكن لى به سابق علم حيث كنت فى ذلك الوقت بعيدا عن القاهرة ، ولكننى لا أستبعده" ثم يعلل ذلك فيقول : " فالأستاذ رحمه الله - كان رجلا لبيبا مرنا ، واسع الحيلة ألمعيا ، وكان قد رأى غيوم المؤامرات .. تتجمع فى الأفق حتى أوشكت على سده ... فأراد بهذا الأسلوب أن يشق لدعوته منفذا تنفذ منه مؤقتا ، قبل أن تطبق عليه هذه الغيوم إطباقا كاملا فلا تجد منفذا ... حتى إذا أفلتت من هذا الإطباق ، عملت بعد ذلك على تفتيت هذه الغيوم واسترداد ما وزعته من مسئولياتها الثقال فى أثناء تفادى الإطباق . وإلا فهو - رحمه الله - كان خير من يعلم أن فصل مايسمونه"السياسة" عن الدين أمر لا يمكن تصوره بالنسبة للإسلام ولا فى الخيال ، كما كان يعلم أيضا أن الحزب الوطنى بتركيبه الذى كان عليه فى تلك الأيام لايصلح لحمل مثل هذه المسئولية .. ولعله - رحمه الله - كان يهدف من وراء ذلك أن يدخل الطمأنينة إلى نفس الملك الذى كان أحد الأصابع المحركة فى جهاز المؤامرات المتربصه بالإخوان خوفا منهم - ويعلم أيضا - رحمه الله - أن الحزب الوطنى فى أسلوبه المستوزر الجديد أصبح من الأحزاب المرضى عنها من الملك ، ولكنه - أى الحزب - لازال على كل حال أقلها سوءا " (١٥٨) .

ونلاحظ فى تعليق الأستاذ محمود عبد الحليم مباهاة ببراعة حسن البنا ومهارته فى المناورة والمراوغة .

قرار الحل وتنازلات البنا أصابت جيشه بالخذلان :

كما نسجل أن ذكاء حسن البنا قد خانه فقد كانت الحكومة أذكى منه فاستغلت لهفته على الوساطة وعلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه بأى ثمن ، وحصلت منه على تنازلات أصابت جيشه بالخذلان ، وبتوالى الاعترافات بعد البيان الأول "بيان للناس" وبعد البيان الثانى " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين " اللذين استنكر فيهما مقتل النقراشى وندد بحركة الإرهاب ومرتكبيها .

وبعد أن حصلت الحكومة منه على ما أرادت تركته يلح على الاتصال بمصطفى مرعى بك وتعذر على الشيخ مقابلة مصطفى مرعى الذى كان يعتذر دائما عن المقابلة بانشغاله فى العمل .

تعاظم قوة الجماعة وانتشارها

فكرة فى نفوس أربعة :

أشرنا قبل ذلك إلى ما ذكره حسن البنا فى معرض التفكير فى إنشاء جماعة الإخوان المسلمين من أنه أوقف نفسه على إرشاد الناس ، وأنه قد حدثت فى مصر وغيرها من البلاد الإسلاميه حوادث أهاجت نفسه ولفتت نظره إلى وجوب الجد والعمل ، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه والتأسيس بعد التدريس"وأنه قد فاتح كثيرا من كبار القوم فى وجوب العمل والتكوين"فكنت أجد التثبيط أحيانا والتشجيع أحيانا ، والتريث أحيانا" ولكنه لم يجد ما يريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية ، ولذا اتجه إلى زملاء الدراسة وعهد الطلب فوجد منهم حسن الاستعداد ، وذكر أن الجماعة كانت فكرة فى نفوس أربعة ، وكان عهد موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية حتى يتحرك العرف العام فى الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة" ويستعرض حال القلق والألم التى كانوا يعانونها "ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالى كنا نقضيها نستعرض حال الأمة ، وما وصلت إليه فى مختلف مظاهر حياتها ، ونحلل العلل والأدواء ، ونفكر فى العلاج وحسم الداء ، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء ، وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا فى مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة والخليون هاجعون يتسكعون بين المقاهى ويترددون على أندية الفساد والإتلاف " (١٥٩) .

أول نواة تكوينية للفكرة :

وفى الاسماعلية وضع أول نواة تكوينية للفكرة فظهرت أول شعبة فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٧هجرية الموافق شهر مارس سنة ١٩٢٨ بمدينة الاسماعيلية على كواهل ستة أعضاء من العمال .

وبعد أن دعم هذه الشعبة عمل على الانتشار فى القرى والمدن المحيطة بالاسماعيلية وحول البحر الصغير ، وعن محاولته فتح شعبة بقرية "أبوصوير" التى تبعد عن الاسماعيلية بخمسة عشر كيلو مترا يقول : " زرت أبوصوير وبدا أن أنشىء فيها فرعا للجمعية بالاسماعيلية فأخذت أتفرس فى

وجوه الناس فى القهاوى وفى الطرقات ، والحوانيت حتى رأيت دكان الشيخ **محمد العجرودى** رحمه الله ، وكان رجلا وقورا مهيبا سمحا فيه صلاح ، وله منطق ولسان ، ورأيته يبيع ويتحدث مع زبائنه فتوسمت فيه الخير فسلمت عليه وجلست إليه ، وإلى من معه فى الدكان ، وقدمت إليه نفسى ، والغرض الذى من أجله زرت أبوصوير ، وإننى توسمت فيه الخير ليحمل أعباء هذه الدعوة" (١٦٠) .

الانتقال للقاهرة :

ثم ينتقل البنا من الاسماعيلية إلى القاهرة سنة١٩٣٢ وينتقل معه مقر المركز العام للإخوان المسلمين بالمنزل رقم ٢٤ حارة نافع المتفرعة من حارة عبد الله بك إحدى حوارى شارع السروجية ، وكان للإخوان بالقاهرة قبل انتقال حسن البنا إليها شعبة يرأسها شقيقه عبد الرحمن البنا ، وكانت هذه الشعبة تسمى من قبل "جمعية الحضارة الإسلامية" ثم اندمجت مع جمعية الإخوان المسلمين وأصبحت شعبة لها ، وقد ذكرنا قبل ذلك ماكانت عليه هذه الشعبة من تواضع فى إمكاناتها وجمهورها وأنها كانت مغمورة لم يكد يحس بها أحد ، كذلك أشرنا إلى المجهودات الضخمة التى كان يبذلها حسن البنا والأعضاء القليلون الذين كانوا يلتفون حوله فى الدعاية لدعوته والخروج من صلاة العشاء بمسجد السيدة زينب فى موكب ذكر وإنشاد يلفت نظر الناس الذين يلتفون حول الموكب حتى يصل إلى مقر الإخوان الجديد بشارع الناصرية ثم يتفرقون عنه ولا يتبقى حول حسن البنا فى مقر الإخوان سوى نفر قليل يستمعون إلى محاضرته .

جولات فى الأقاليم :

فى هذه الظروف كان النمو فى القاهرة بطيئا جدا وفكر حسن البنا فى استغلال إجازة الصيف فى نشر دعوته فى الأقاليم ، فكانت أولى هذه الجولات فى صيف سنة ١٩٣٣ فى أربع عشرة شعبة وقد عمل على تنظيمها بحيث تصبح شبيهة بنظام المركز العام الذى نظم قبل هذه الجولة فى المؤتمر الأول الذى عقدته الجماعة وقد بدأت هذه الجولة فى ١١ ربيع الثانى ١٣٥٢

هجرية وانتهت في ٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ وشملت شعب "أبو صوير شرقية – الاسماعيلية – السويس – بورسعيد – المنزلة – الجمالية – ميت خضير –ميت مرجا – الجديده – طنطا – شبراخيت – المحمودية (بحيرة) دمنهور (بحيرة) سبلنجة (قليوبية) (١٦١) .

وتنشر مجلة النذير عن إحدى هذه الرحلات في الصعيد الأعلى ، فتذكر أن فضيلة المرشد العام استقر عزمه على زيارة كثير من شعب الإخوان بالصعيد الأعلى في أيام الخميس والجمعة والسبت ٢١،٢٢،٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٧هجرية وتعدد النذير" البلاد التى سيزورها المرشد العام وهى المنيا وادفو وقنا ونجع حمادى وجرجا ثم يعود إلى القاهرة ٧ صباح الأحد ، وتبدأ الرحلة من القاهرة في قطار الساعة ٣ والدقيقة ٤٠ مساء الخميس ٢١ ذى القعدة ١٢ يناير ،وهذه الفترات القصيره يتفقد فيها المرشد شعب الإخوان ويتعرف على نشاطهم ويلقى المحاضرات العامة والدروس الخاصة في المساجد والأندية والسرادقات على الناس عامة والإخوان خاصة (١٦٢) .

ويلاحظ أن هذه زيارة قصيرة تتم في أثناء العام الدراسى وفى فصل الشتاء وتبدأ بعد دروس يوم الخميس مستفيدا من بقية هذا اليوم ومستغلا إجازة الجمعة ثم لا يتغيب عن عمله إلا يوما واحدا وهو يوم السبت وفى صباح الأحد يكون في مدرسته بعد هذا الجهد الخارق في السفر والمحاضرات والمناقشات .

كاتب أمريكى يصف رحلات البنا :

ويصف كاتب أمريكى رحلات حسن البنا في الصعيد وفى فصل الصيف فيقول : "وكان أعجب ما في الرجل صبره على الرحلات في الصعيد .. هذه الرحلات التى لاتبدأ إلا في فصل الصيف حيث تكون بلاد الوجه القبلى في حالة غليان .. وفى أحشائها ينتقل الرجل بالقطار والسيارة والدابة وفى القوارب وعلى الأقدام . وهناك تراه غاية في القوة واعتدال المزاج .. لا الشمس اللافحة ولا متاعب الرحلة تؤثر فيه ولا هو يضيق بها .

البنا يكتسب معارف واسعة من هذه الرحلات :

وعن أثر هذه الرحلات في غزارة معلوماته وغنى خبراته بالناس وبالبلاد وكثرة علاقاته يقول :

"وقد أمدته هذه الرحلات في خمسة عشر عاما زار خلالها أكثر من ألفى قرية ... وزار كل قرية بضعة مرات ، بفيض غزير من العلم والفهم للتاريخ القريب والبعيد للأسر والعائلات والبيوتات وأحداثها وأمجادها وما ارتفع منها وما انخفض .. وألوانها السياسية وآثرها في قراها ، ورضا الناس عنها وبغضهم لها .. وما بين البلاد أفرادا وأحزابا وهيئات وطوائف من خلافات أو حزازات ، كان يزور أحيانا بلدا من البلاد بلغت فيه الخصومة بين عائلتين مبلغها ، وكل عائلة تود أن تستأثر به لتنتصر على الأخرى فيقصد إلى المسجد مباشرة ، أو يغير طريق سفره فلا يستقبله أحد إلا بعد أن يكون قد قصد إلى دار عامل فقير في البلد . وكنت إذا قلت له فلان الحسينى مثلا أو الحديدى أو الحمصانى ، قال لك .. إن هذا الاسم تحمله خمس أسر أو أربع إحداها في القاهرة والثانية في دمنهور والثالثة في الزقازيق والرابعة في ... فأيها تقصد ؟ .. وقد حدثنى أنه كان يدخل بلدا من البلاد أحيانا لايعرف فيه أحدا فيقصد إلى المسجد فيصلى مع الناس ثم يتحدث بعد الصلاة عن الإسلام .. وأحيانا ينصرف الناس عنه فينام على حصير المسجد وقد وضع حقيبته تحت رأسه والتف بعباءته" (١٦٣) .

ويؤكد الشيخ محمد الغزالى هذا الجهد الخارق للشيخ حسن البنا في جولاته في شمال وجنوب مصر فيقول "في صمت غريب أخذ حسن البنا يتنقل في مدن مصر وقراها وأظنه زار ثلاثة آلاف قرية من القرى الأربعة آلاف التى تكون القطر المصرى كله .

وخلال عشرين عاما صنع الجماعة التى صدعت الاستعمار الثقافى والعسكرى ونفخت روح الحياة في الجسد الهامد .. لقد بدأ حسن البنا عمله من الصفر وشرع دون ضجيج يحيى الإسلام المستكين في القلوب ويوجهه للعمل" (١٦٤) .

الدعوة هى كل حياة البنا :

ويذكر الأستاذ التلمسانى أن حسن البنا لم يكن يشغله شىء غير الدعوة ، فلا الدرجة ولا الراتب ولا الترقية ولا الراحة فى الإجازات السنوية - التى تشغل كل عالم - تعنيه ، ولذلك فعندما يبدأ الصيف وتهل الإجازة السنوية يشد رحاله إلى الصعيد بدءا من أسوان إلى كل أحضان الجبال بما فيها من عقارب وفئران وكفور ونجوع على قدميه عشرات الأميال مرة وعلى حمار أعجف مرة ، وعلى معدية مترنحة مفككة مرة .. يكفيه أقل الطعام كما وكيفا ... ويظل فى هذه الرحلة المرهقة حتى تنتهى شهور الإجازة فيعود إلى القاهرة ليبدأ رحلة الشتاء فى أرجاء الوجه البحرى أيام الجمع ، والإجازات الرسمية (١٦٥) .

وقد أحاطته هذه الرحلات بتفصيلات عن حياة وأسماء الإخوان فى البلاد النائية ، ومكنته من توجيه العضو المنقول لهذه البلاد إلى الالتحاق بنشاط الجماعة فيها ، مع تسليحه بفكرة واضحة عن الناس والمكان المنقول إليه ، فهو فى إحدى رسائله لأحد الإخوان يتمنى له أن يكون مستريحا فى البلد الذى انتقل إليه وهى بلدة قوص ، فيقول عنها إنها "بلد صالح أهله حقا ولقد شرفت بزيارته مرتين فكنت فى كلتيهما معجبا كل الإعجاب بروح الألفة وجميل العشرة التى تتجلى فى أهله ويقول إن لنا بقوص" إخوانا وإن لم يكن لهم مركز ثابت ، فمركزهم الحالى دكان عودة أمام المسجد العتيق التى أسميها دكان الصالحين" .

ويعدد أسماء الإخوان بها وبشعبة حجارة ثم يقول له"فإذا أتيحت لك فرص الاتصال بمن ذكرت والتعاون معهم على إنهاض الدعوة بهذا البلد الكريم كان ذلك من الخير كل الخير ، ولعل المأمور الأستاذ القشيرى لايزال بقوص ، فهو من الفضلاء الذين يشجعون الإخوان كثيرا" (١٦٦) .

عوامل ساعدت على تعاظم قوة الإخوان :

لقد تصاعد نشاط الإخوان وتعاظم نفوذهم وحفروا لانفسهم مجرى عميقا فى المجتمع المصرى ، وقد كانت هناك أسباب عديده ساعدتهم على هذا النجاح ومن هذه الأسباب :

١ – شخصية حسن البنا نفسه، فسر نجاح هذه الحركة يكمن فى شخصية البنا ، فكما يقول الشيخ محمد الغزالى : إن الله قد جمع فى شخصه مواهب تفرقت فى أناس كثيرين وقد استفاد من تجارب من سبقوه من القادة ، وكان يدمن قراءة القرآن ويتلوه بصوت رخيم ويحسن تفسيره كأنه الطبرى أو القرطبى ، ويفهم أصعب المعانى ويعرضها على الجماهير بأسلوب سهل قريب، وقد درس السنة والفقه ، ففهم منهج السلف والخلف وأحاط بالتاريخ الإسلامى ، واطلع على منهج محمد عبده ورشيد رضا وتعمق فى حاضر العالم الإسلامى ومؤامرات الاحتلال الأجنبى (١٦٧) .

وكان حسن البنا رغم كل هذه المواهب متواضعا ، يصفه شقيقه عبد الرحمن البنا فى مقال له بجريدة الدعوة فى ١٩٥٥/٢/١٥ بعنوان "الرجل الذى لم يحمل ضغنا" فيقول : كان يجلس على الحصير إذا كان المجلس أرضا ، وفى آخر الصفوف إذا اصطفت المقاعد للجلوس ، منكمشا فلا يكاد يرى ، متواضعا فلا يكاد يعرف ، يلبس فى غالب أحيانه الجلباب العادى من أرخص الأقمشة" (١٦٨) .

ومع هذا التواضع كان متحمسا لدعوته ، وكان هذا الحماس يؤثر فى أتباعه وخصومه ، ويدفعه إلى اقتحام أى مجلس محتميا بدعوته إلى القرآن والدين .

ويعبر الأستاذ حسن الهضيبى المرشد الثانى للإخوان المسلمين عن أثر حسن البنا على مستمعيه فيقول "إن الذين كانوا يستمعون إلى أستاذ الجيل فى محاضراته يخرجون وقد رسخت نصائحه وغابت صورته ، أما أنا فلم تغب عنى كلماته ، ولم تغب عنى صورته" (١٦٩) .

وكانت له قدرة عجيبة على مخاطبة الناس على مختلف طبقاتهم وثقافتهم وأعمارهم، ويدلل الأستاذ عمر التلمسانى على ذلك بقدرته على مخاطبة الأطفال ، وقد ذهب معه مرة إلى مدرسة العباسية الابتدائية ، وبقدرته أيضا على مخاطبة الفتوات والتأثير فيهم ، فقد دعى مرة إلى حفل ببولاق بمناسبة المولد النبوى ، وقد اشتهر هذا الحى بالفتوات الأقوياء ، ودار حديث حسن البنا عن رسول الله وقوته وكيف أنه صرع الأقوياء بالجزيرة العربية ، وقد أعجب أحد الفتوات بحديثه هذا فصاح : "اللهم صلى على أجدع نبى" (١٧٠) .

وكان هذا الحماس والاحتماء بالدعوة الدينية - وهى دعوة فطرية - ممادفع الكاتب الامريكى "روبير جاكسون" إلى أن يقول عنه "لقد حمل البنا المصحف ووقف به فى طريق رجال الفكر الحديث " ثم يقول عنه"وكان الرجل القرآنى يؤمن بأن الإسلام قوة نفسية قائمة فى ضمير الشرق وأنها تستطيع أن تمده بالحيوية التى تمكن له فى الأرض (١٧١) .

٢- أحداث سنة١٩٣٦ ساعدت على ازدياد نشاط الجماعة، فبعد معاهدة سنة ١٩٣٦ اتجهت الجماعة إلى الإصلاح الداخلى وأصدرت عدة رسائل منها رسالة "نحو النور "تتحدث فيها عن بعض المطالب الداخلية المتعلقة بالإصلاح الاجتماعى والأخلاقى وعودة النظام الإسلامى والمناداة بالخلافة وتقوية الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية .

وكانت ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ من أسباب انتشار دعوة الإخوان فى فلسطين وسوريا ولبنان ، ووسيلة لزيادة نشاطهم فى مصر عن طريق الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال لفلسطين وإرسال الطلاب للريف لهذا الغرض ، وتعميق صلاتهم بمفتى فلسطين وبعض الشخصيات المصرية ذات الاهتمامات العربية ، وقد بدأ الإخوان أول اتصالاتهم بالأقطار الشقيقة بإيفاد الأستاذ عبد الرحمن البنا الساعاتى والأستاذ محمد أسعد الحكيم ، فزارا القدس ودمشق واتصلا بمفتى فلسطين وجمعية الهداية الإسلامية بدمشق وجمعية المقاصد الخيرية ببيروت .

٣- كانت أهداف الإخوان فى فترتها الأولى غامضة لا تخرج عن هدف "تربية الأمة وتنبيه الشعب وتغيير العرف العام وتزكية النفوس وتطهير الأرواح " وهذه أمور لا تسترعى نظر الحكومات ولاتستثير عداوتها فعاشت الجماعة فى الفترة الممتدة من تاريخ تأسيسها حتى بداية الحرب العالميه الثانية بمنأى عن اضطهاد الحكومات ومطاردتها مما جعل مصطفى النحاس يظن أن حسن البنا أحد العمد ، كما شجع محمد محمود نشاط حسن البنا فى فتح المزيد من الشعب فى الصعيد ، وسمح لحفلات الإخوان أن تقام فى مضيفة أسرته بأبى تيج وكان أهم ما يشد غالبية الأعضاء إلى الجماعة هو أفكارها وأنشطتها غير السياسية ، بل إن تلك الأفكار والأنشطة كانت تلقى اهتماما جما من قبل الأعضاء السياسيين فى الجماعة .

ويتحدث طارق البشرى عن أثر الدعوة السلفية فى الحرفيين وانجذابهم إليها "بفكر غامض كالأحلام ظنوه مخرجا ... وعندما يغيب عن الفرد الفهم العلمى للعلاقات الطبقية فى المجتمع لا يبدو واضحا أفق التطور .. وتصبح صور الماضى هى الرصيد الوحيد لديه لأمل التحرر ، وإذا كان الهدف غير واضح ، فستكون وسيلته هى العمل الخارق للعادة غير المستند إلى فهم الواقع ، وتتعلق الأبصار بالفكرة القديمة فكرة المهدوية والإمام الذى سيملأ الأرض عدلا ونورا بعد أن ملئت ظلما وجورا ، وينفصل الأمل فى التحرر عن الواقع ويرتبط بالفعل غير المعقول الناتج عن الحدس لا عن الفهم ، والمعتمد على القوة الخارجة عن الإنسان لا على جهد الإنسان ، وتكون غاية الإنسان هنا لا أن يشارك فى صنع مستقبله ولكن أن يكل إلى غيره – زعيما أو إماما – رسم المستقبل وصنعه ، ويبايعه على السمع والطاعة ويدرب نفسه على الانصياع لأوامره ونواهيه ، ويجد تحقيق ذاته فى هذا الانصياع (١٧٢) وتحت هذا الغطاء من الدعوة السلفية استطاع حسن البنا أن يخفى هويته عن الجميع متباعدا عن أى اشتباك محاذرا من أن يعادى أحدا أو يعاديه أحد حتى اجتاز مرحلتى التنبيه والتكوين .

ويعبر عمر التلمسانى عن هذه الحقيقة من خلال تعداده لعوامل الحركة التى انتهجها حسن البنا منذ بداية إنشائه لجماعة الإخوان ، فيذكر منها عدم الدخول فى مواجهات أو صدامات من أى نوع مع قوى الضغط والنفوذ فى البلاد ، وأخطرها الانجليز والسراى ثم قوى الأحزاب ورجالاتها (١٧٣) .

ويذكر صلاح عيسى فى مقدمته لكتاب ميتشيل (الإخوان المسلمون ص٢٤) تدليلا على ذكاء حسن البنا وقدرته الفذة فى تفادى الصدام المباشر مع القوى الحاكمة، قبل أن يستعد له ، بأن حسن البنا رفض إبان الحرب عرضا بانقلاب يقوم به مشتركا مع حزب مصر الفتاة وأنه رفض أن يصوغ برنامجا تفصيليا قبل الأوان – كما ذكر **هنداوى دوير** فى شهادته أمام محكمة الشعب عام ١٩٥٤ بحجة أن ضرر هذا أكثر من نفعه ، لأن هذا البرنامج وإن كان قادرا على مواجهة الخصوم الذين يتهمون الإخوان بأنهم يطرحون شعارات عامة دون حلول تفصيلية للمشاكل ، فإنه يفتح الباب لانشقاقات بين المسلمين لتعدد المذاهب والاجتهادات، ويرد التلمسانى بأن هذه اتهامات مغرضة مدعيا أن رسائل البنا احتوت على جميع البرامج ثم عاد ليقول إن

البنا لم يضع برنامجا تفصيليا ، إنما وضع قواعد البرنامج نفسها ، وترك لمن يريد أن يتوسع ، أن يفصل هذه القواعد مقتديا فى هذا بكتاب الله سبحانه وتعالى ، فقد اشتمل على القواعد العامة ، وجاء الرسول (ص) بعد ذلك ببعض التفسيرات ثم قام فقهاء الإسلام بشرح القرآن وتفسير الأحاديث ، ومن هنا نجد التلمسانى ينتهى إلى نفس النتيجه التى هاجمها فى البداية .

ويذكر صلاح عيسى أن الأعضاء ينضمون للإخوان استجابة لمشاعرهم الدينية الفطرية التى لم يبذلوا جهدا فى تعميقها أو تنظيرها وسعيا وراء كسب مثوبة الدعوة للخير والفضيلة ومقاومة الرذائل فى النفس الإنسانية دون أن يتناقض هذا مع الانضمام لعضوية أحزاب أخرى (١٧٤) .

٤- كانت الظروف مهيأة لتصاعد التيار الدينى وتعاظم قوته فمن ناحية كانت العلمانية التى وجدت لها مجالا فى مصر للازدهار تمثل تحديا للتيار السلفى ، وكانت الحاجة ملحة فى الدوائر الإسلامية للتركيز على العمل الدينى لمواجهة هذه التيارات العلمانية ، وقد نجحت جماعة الإخوان فى هذا التحدى الذى لم تستطع جمعية الشبان المسلمين أن تنهض به رغم أنها أنشئت لمواجهته ، لأنها رغم رفعها لشعارات دينية واضحة لم تهتم فى نشاطها العملى بتعميق التعاليم الإسلامية وقد توجهت فى نشاطها أساسا إلى الشباب ودوائر المتعلمين ولم تتجه نحو الجماهير (١٧٥) .

ومن ناحية أخرى كانت الظروف مهيأة لتعاظم التيار الدينى لأن الإستعمار الانجليزى وسيطرة الاحتكارات الأجنبية على مقدرات البلاد الاقتصادية والسياسية كان هذا يمثل تحديا للمشاعر الوطنية ، وقد استطاعت جماعة الإخوان أن تغلف هذه السيطرة بغلاف دينى ، فبدا الصراع وكأنه ليس صراعا وطنيا فحسب بل صراعا دينيا أيضا وكانت دعوة الإخوان فى البداية وخاصة فى الاسماعيلية موجهة إلى العمال المطحونين والفقراء بشكل عام ، هؤلاء الذين عاشوا الحرمان فى مواجهة الامتيازات والنهب الذى يمارسه الأجانب سواء فى الاسماعيلية أو على امتداد الوطن المصرى وكانت هذه الفئات المحرومة على استعداد للإنصات لدعوة الإخوان .

٥- لعبت القوى السياسية المعادية للوفد وهى فى الداخل السراى وأحزاب الأقلية لعبت أثناء الحرب العالمية الثانية دورا بارزا فى ازدياد نشاط الجماعة وتصاعد قوتها فقد شجعت هذه القوى الإخوان على منافسة الوفد

لإضعافه بل نسقت بعض هذه القوى جهودها مع الإخوان لتأييد المحور في سبيل مناوأة الانجليز ويرجع ميتشيل ظهور قوة الجماعة إلى هذا العامل حين يقول :

"ونحن نرى أن القوى المتصارعة - أثناء فترة الحرب العالمية الثانية - قد لعبت دورا هاما في ظهور الجماعة - في فترة ما بعد الحرب - في مركز الحلبة السياسية المصرية وقد كشفت تلك الفترة عن التناقض الأساسي بين الحزبين الجماهيريين في مصر . الإخوان المسلمين والوفد - في محاولة كل منهما احتلال موقع الصدارة في الحياة السياسية ، وكذلك كشفت تلك الفترة عن تناسق داخلي من حيث الهدف (وهو هنا مناوأة الوفد) بين الجماعة والقصر ، ذلك التناسق الذي انهار في إثر أعمال العنف التي اتسع نطاقها في مصر فيما بين عامي ١٩٤٦، ١٩٤٨" (١٧٦) .

ويتحدث الكاتب الأمريكي روبير جاكسون عن أن فترة الحرب هي أخصب سنوات كفاح حسن البنا وكيف استغل حسن البنا الحرية التي أتاحتها له أحزاب الأقلية والقصر في مضاعفة نشاطه فيقول :

"إن تاريخ جهاد الرجل القرآني طويل ... ولكن أخصب سنواته أيام الحرب منذ أن خرج من المعتقل .. في هذا الوقت الذي شغلت الحرب الدنيا جميعها ، عن الأحزاب ، وعن السياسة ، وعن كل شيء كان الرجل لاينام ، كان يسعى ويطوف ويذهب إلى كل قرية وكل نجع وكل دسكرة يفتش عن الشباب ، ويحدث الشيوخ ويتصل بالعظماء والعلماء ، ويومها بهر الوزراء ، وأعلن بعضهم الانضمام إلي لوائه الخفاق ، وجيشه الجرار . وحاول الانجليز أن يقدموا عروضا سخية .. فرفضها الرجل في إباء .. ونامت الأحزاب في انتظار الهدنة ، وظل الرجل الحديدي الأعصاب يعمل أكثر من عشرين ساعة لا يتعب ولايجهد ، كأنما صيغت أعصابه من فولاذ" (١٧٧) .

ولقد سبق أن أشرنا إلى مقابلة حامد جوده سكرتير حزب السعديين للشيخ حسن البنا بمعتقل الزيتون ثم خروجه وحده من المعتقل بعد هذه المقابلة بأيام وكيف علق أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة على ذلك بأن حسن البنا قد خرج من المعتقل وأصبح أكثر حرية وأكثر جاها وأنه أخذ يجوب البلاد من أقصاها إلى أدناها في حرية تامة ، مشيرا بذلك إلى اتفاقه مع السعديين وأحزاب الأقلية والقصر ، في ذلك الوقت حرص حسن البنا على أن

يكون للجماعة إطار تنظيمى محدد يعمل على تنميته باختيار العناصر المؤثرة فى الرأى العام من الطلبة وأصحاب النفوذ من الأعيان والتجار المشهود لهم بالصلاح والتقوى (١٧٨) .

عين فاحصة لتجنيد الأعضاء :

وفى رحلات حسن البنا فى الأقاليم لم يكن يخطب فى الناس ثم ينصرف وينصرفون . كلا . كان فنه اقتناص بعض من يراهم فى الاحتفال مهتمين بما يقول ، فكان يطيل الجلوس بعد الخطابة وانصراف الجماهير إلى الذين يريدون الجلوس معه وهناك يكون صفوة الحديث بالكلام عن الآمال (١٧٩) .

كانت هذه الجلسات مجالا خصبا لتجنيد الأعضاء وإحكام الروابط بهم ، وانتقاء من يلمح فيهم التأثر والاستجابة لدعوته .

تركيز البنا على الطلبة :

ويعبر مؤرخ الإخوان عن اهتمام حسن البنا بالطلبة وحرصه على ضمهم لجماعته بأنه كان يزور من يتخلف منهم لمرضه ، ويمكث عنده الساعات الطوال "وكان حريصا على أن تكون أمور الطلبة من اختصاصه هو دون غيره ، ويخيل إلى أن انتقاله إلى القاهرة كان أهم دوافعه أن يكون فى الموقع الذى يمكنه من الاتصال بالجامعه كان (الأستاذ المرشد) يعتبر إقناع طالب واحد فى كلية من الكليات أنفع للدعوة من دخول بلد بأسرها فيها ، وكان يتلمس وسائل هذا الاتصال ، فعلم أن كلية الحقوق قررت على طلبة السنة الأولى بها دراسة مائة حديث نبوى اختارتها ، فهرع الأستاذ إلى هذه الأحاديث المقررة فشرحها شرحا رائعا ونشرها فى مجلة الإخوان ، وعرض الإخوان المجلة على الطلبة ، فأقبلوا عليها ، وبهذه الطريقة اكتسبت الدعوة عددا جديدا من كلية الحقوق ، ويذكر المؤلف أن كل تطورات الدعوة وكل ماقامت به من أعمال هو من ثمار لجنة الطلبة التى شكلها حسن البنا من مندوبى الكليات (١٨٠) .

ويذكر أحد قادة الجماعة طريقة الإخوان في تجنيد الأعضاء ومتابعتهم ، وإلحاحهم فى متابعة الوافد الجديد عليهم وتذليلهم للصعاب حتى يسهلوا عليه الانضمام لهم ، وذلك من خلال قصة تجنيده في الجماعة ، فقد دخل شعبة الإخوان بالظاهر بالسكاكيني مصادفة ، واستمع لمحاضرة ، ثم وزعت على المستمعين استمارة عضوية وتورط في كتابتها ثم نسي ذلك ، ولم يكن فى نيته الانخراط فعلا فى عضويتها . ثم يحكى :

"ومضت أيام ثم زارنى حسين فى منزلى ومعه خطاب لى من شعبة الظاهر يقولون إنى التقيت بهم وارتبطت معهم على هذه الفكرة ، ثم غبت عنهم ، وقد شغلهم غيابى (!) فإذا لم أزرهم فى وقت قريب فسيكون من واجب لجنة الزيارات بالشعبة أن تزورنى للاطمئنان على . غاظتنى فكرة أن تزورنى تلك اللجنة ، وأنا حتى ذلك اليوم لا أكاد أزور أو أزار ، وبهذا الدافع وحده راودتنى نفسى أن أزور الشعبة مرة أخرى حتى لايزورنى أحد " وذهب وحضر محاضرة تأثربها وكانت نقطة التحول فى اتجاهه كله ، وزعت عليهم "قصاصات من الورق ليكتب كل منا خواطره أو ما بدا له ، أو أى اعتراض أو اقتراح أو استفهام ، وليس بلازم أن يكتب اسمه ، وأفهمونا أن ملاحظاتنا سوف تكون محل اهتمام واعتبار وكنت قد أتعبنى طول الجلوس على الحصيرة أكثر من ساعة ونصف فآلمتنى الجلسة التى لم أعتدها ، وكانت هذه هى خاطرتى التى سطرتها ولم أوقع باسمى" .

ونوقشت هذه القصاصة فى مجلس إدارة الشعبة ، وفى الليلة التالية فرشوا الحصر ورصوا الكراسى والدكك من حولها (١٨١) .

اختيار رئيس الشعبة من الوجهاء :

وعن رئاسة الشعبة كانت للبنا نظرة ذكية ومرنة ، فكان مهتما بإنشاء الشعب والتوسع فى عضويتها ، فلم يحرص على أن يتولى رئاسة الشعبة شخص شديد التعلق بدعوة الإخوان ولكنه كان ينتقى الشخص المستقيم الذى يتصف بوضعية اجتماعية متميزة فى القرية أو المركز "سواء أكان مؤمنا بدعوة الإخوان أو غير مؤمن بها" مادام ذا خلق ودين ، وبهذه الوضعية لهذا الرئيس كانت تتسع حينا بعد حين فى ظل حمايته ، وفى ظل وضعه

الاجتماعى ، والذين ينضمون فى ظل هذه المعانى منهم من كان يشرح الله صدره لتفهم مبادىء الإخوان المسلمين تفهما حقيقيا، فيصبح أخا مسلما، ومن كان يحب المظاهر والرياسات له مايشاء فى جماعة الإخوان المسلمين دون غضاضة ولاحرج عليه مادام حسن السير والسلوك (١٨٢) .

وبهذه الأساليب استطاع حسن البنا أن يقيم بناء تنظيميا محكما بعيدا عن أعين السلطة ومراقبتها بسبب نجاحه فى إخفاء هويته عن الجميع وبعده عن الاشتباك فى صراع مع قوى الضغط الداخلى والخارجى . ويذكر التلمسانى أن حسن البنا أتى فى تنظيمات الإخوان بمؤسسات وأنظمه لم يسبقه إليها أحد. فلأول مرة يسمع الناس بالشعبة والمنطقة ومركز الجهاد والمكتب الإدارى والهيئة التأسيسية ومكتب الإرشاد والمرشد العام كل هذه الأنظمة وليدة العبقرية الحسنية الفذة " (١٨٣) .

دخول المعترك السياسى وتغير التركيب الاجتماعى للعضوية :

وتعاظمت قوة الجماعة واتسع نشاطها ، وكان لهذا أثره الواضح فى إعلان دخولها المعترك السياسى وفى تغير التركيب الاجتماعى للعضوية فيها ، ففى مشاركتها العلنية فى السياسة دخلت طورا جديدا من حياتها سبقت الإشارة إليه ، أما عن تغير تركيبها الاجتماعى فقد كان معظم المستمعين للشيخ حسن البنا فى مرحلته الأولى بالقاهرة من الحرفيين والتجار الصغار وبسطاء القوم الذين يصفهم "**لبيب البوهى**" أحد قادة الإخوان فى كتابه "الإيمان والرجل" ص١٠ فيقول عنهم إنهم كانوا قوما "بلا تعليم وبلا رغبة فى التعليم (١٨٤) .

ويصف كاتب أجنبى هؤلاء الذين جذبتهم الجماعة فى بداية نشاطها فى القاهرة فيقول إنهم" سكان المناطق الفقيرة الذين كانوا يعانون من الوحدة والغربة فى مدينة كالقاهرة ، والمهاجرون الوافدون إلى العاصمة الذين وجدوا الراحة النفسية فى اجتماعاتها ، وفى تأدية الصلوات الجامعة، وقد قامت فروع الجماعة بالنسبة لهؤلاء مقام التجمعات الصوفية وطوائف العمال القديمة" (١٨٥) . ويحدد كاتب آخر الطبيعة الطبقية للقاعدة الأساسية للجماعة

فى هذه المرحلة بأنها مكونة من " أصحاب الحرف الذين ينتمـون إلـى الطبقـة الوسطى الدنيا ومن صغار التجار (١٨٦) .

كانت هذه هى طبيعة العضوية فى المرحلة الأولى ومع اتسـاع نشـاط الجماعة ومع تهادن الوفد وانضمام بعض جماهيره للإخوان تغير التركيب العضوى للجماعة .

فبعد أن كـان أصحـاب "الجلاليـب "هـم أغلبيـة المسـتمعين لحديـث الثلاثـاء أصبحـت الأغلبيـة لأصحـاب البـدل مـن الطـلاب والموظفيـن والمدرسين والمهنيين (١٨٧) .

ويؤكد هذه الحقيقة مؤرخ الإخوان المسلمين المعتمد لديهم حين يتحدث عن تركيز الإخوان على الطلبة والمثقفين لأنهم أقدر علـى إقنـاع غيرهم فيقول "والدعوة تتوخى الظفر بمثقفين حيث يكونون عـادة أعمـق فهمـا وأوسع أفقا وأقدر على إقناع غيرهم بما اقتنعوا به" (١٨٨) .

ومما يدعم هذا التحول ما أورده د. ميتشيل من إحصـاءات ، فبعد أن يقرر أن هنـاك صعوبـة فـى الحصـول علـى المعلومـات الدقيقـة عـن توزيـع العضوية الاقتصادى والاجتماعى كما أن هناك صعوبـة فيمـا يتعلـق بـالتوزيع الجغرافى للعضوية - بعد هذا يذكر دلائـل إحصائيـة مـن التحقيقـات القانونيـة التى أجريت مـع الجماعـة ويستنتج منهـا أن العضويـة كـانت تـأتى مـن كافـة قطاعات المجتمع فيذكر أنه من بين ٣٢ أخا حوكموا فى قضية السيارة الجيب كـان هنـاك ٨ موظفيـن ، ٥ مدرسـين ، ٧ عمـال مهـرة فـى المشـروعات الصناعية أو التجارية وبضعة من أصحاب الأعمال الصغيرة ، ٢ مـن الطلبـة وفلاح وطبيب وواعظ . أما الـ ١٥ أخـا الذيـن حوكمـوا فـى قضيـة النقراشـى فكانوا ستة من الطلاب وخمسـة مـن الموظفيـن ومهندسـا وثلاثـة مـن رجـال الأعمال ، وعن العضوية الريفية يرى ميتشيل أن مـا يزعمـه بعض الإخـوان مـن أنهـا تجـاوزت نصـف العضويـة تقدير مبـالغ فيـه وأن أهميتهـا لا تتعـدى الأهمية الاحصائية ، وأن الريف ليس أكثر مـن خلفيـة لنشـاط أعضـاء المـدن الذين يحددون مصير الجماعـة السياسـى ونفس القول ينطبـق علـى الطبقـات الدنيا من أهل المدن، فالمدينـة هـى التـى تسـود ، بـل أهـل المـدن مـن الطبقـة الوسطى (الأفندية) هم الذين يشكلون العنصر السائد فى العضوية بشكل عام .

وتزداد هذه الحقيقة وضوحا فـي التشكيلات القيادية. فمن بين ١١٢ اسما حضروا المؤتمر العام الثالث عام ١٩٣٥ لم يكن هناك سوى ٢٥ شيخا أغلبهم من أصول فلاحية أما قائمة أسماء الهيئة التأسيسية عام ١٩٥٣ فلم يكن يوجد من بين ١٥٠ عضوا إلا ١٢ من العلماء وعشرة من الأعيان والعمد والباقي أفندية . أما تشكيل مكتب الارشاد سنة ١٩٥٥ الذى يتكون من ١١ عضوا فكان كما يلى ٢ من الوعاظ + ٢ من المحامين + واحد من أساتذة الأزهر + ٤ من كبار الموظفين وصيدلى وأستاذ جامعة .

ولائحة التنظيم نصت على أن يكون تسعة من أعضاء مكتب الإرشاد من القاهرة الأمر الذى لا يعنى مجرد سيطرة المدينة على الجماعة ، بل يعنى – بتحديد أكثر – سيطرة الأفندية ، فالعضوية فى نظر ميتشيل تمثل فى جزئها الأكبر الطبقة المتوسطة المسلمة الصاعدة وأفكار الجماعة المتنوعة وبرامجها تعكس هذا الوضع الطبقى فى رأيه (١٨٩) وإن كنت أميل إلى أن الطابع الغالب لعضوية الجماعة هو طابع البرجوازية الصغيرة من الطلاب وصغار الموظفين والحرفيين والفلاحين وصغار التجار ، ومع ذلك لم تكن القيادة لفكر هذه الفئات بل لفكر الطبقة المتوسطة .

ومع هذا الاتساع فى النشاط والتغير فى طبيعة عضوية الجماعة ، انتقل مركزها شيئا فشيئا من أزقة القاهرة وحواريها المغمورة إلى مناخ أرحب وجمهور أوسع، فقد اشترى الإخوان فيلا كبيرة بميدان الحلمية بمبلغ عشرة آلاف جنيه لتصبح مقرا للمركز العام ، ولم تكن الجماعة تملك سوى خمسمائة جنية ، ولكن لم تمض شهور ثلاثة حتى سدد الإخوان بتبرعاتهم المبلغ مع تكاليف التأثيث ، ووصلت تبرعات كثيرة من بعض البلاد الإسلامية.

وامتلأ المركز العام بالموظفيين المتفرغين بمرتبات مدفوعة من ميزانية الجماعة . وأراد الإخوان فى استعراض للقوة أن يحتفلوا بالافتتاح وقد أعدوا استعراضا لجوالة الإخوان فى حدود عشرين ألفا يمثلون الشعب والمناطق فى أنحاء البلاد ولكن أحمد ماهر باشا رئيس الحكومة منع الاحتفال والاستعراض ، فتجمعوا فى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر ، وخطب البنا بعد الصلاة فى جموع الإخوان وأهاب بهم أن ينصرفوا (١٩٠) .

إحصاءات متعارضة بعدد الشعب وعدد الأعضاء :

ويتصاعد عدد شعب الإخوان كما يتصاعد عدد أعضائهم وليست هناك في هذا الصدد إحصاءات دقيقة . وإنما أرقام متعارضة يوحي بعضها بالمبالغة ومحاولة للتظاهر بالقوة . فيذكر أحد الباحثين أن عدد شعب الجماعة في سنة ١٩٢٩ كان أربع شعب أصبحت خمسا في عام ١٩٣٠ ثم عشرا فيعام ١٩٣١ ثم خمس عشرة عام ١٩٣٢ ثم ثلاثمائة شعبة عام ١٩٣٨- مرحلة التقاء الثالوث : "على ماهر - الشيخ المراغي - حسن البنا" في محور واحد مناهض لحزب الوفد وموال للسراي ، وفي عام ١٩٤٠ تصبح الشعب أربعمائة شعبة حتى تصل إلى ألفي شعبة في عام ١٩٤٨ .

ويقول البنا في شهادة له أمام القضاء في قضية اغتيال أحمد ماهر باشا إن عدد أعضاء جماعته في عام ١٩٤٥ كان"حسب الإحصاء نصف مليون عضو"ولايمضي سوى بضعة أشهر فقط حتى يعلن الشيخ البنا في حديث له لمجلة "آخر ساعة" في ١٩٤٦/٣/١٥ في مصر ألف وخمسمائة شعبه تضم مليونا من الإخوان ، ولنا شعب أخرى في الشرق كله تجعل منا مليونا ونصف من الإخوان العاملين ، عدا الإخوان المناصرين وهم كثيرون".

ومع ذلك تعود جريدة الإخوان الأسبوعية في ١٩٤٦/٧/٢٧ إلى القول بأن شعب الإخوان تعدو الألفين وخمسمائة وعدد أعضائها يربو على نصف مليون ويعود حسن البنا نفسه للتواضع فيقول في مرة أخرى في شهادة له أمام محكمة أخرى في محضر التحقيق في قضية اغتيال أحمد الخازندار بك "إن جماعة الإخوان المسلمين تتكون من نحو ألف شعبة منبثة في البنادر والقرى ، ويتراوح عدد أفراد كل شعبة ما بين ٥٠ ، ٢٠٠ عضو ، وبذلك يكون مجموعهم مابين خمسين ألفا ومائتي ألف من مختلف الطبقات عدا الطلبة ، فهم لايدخلون ضمن الإحصاء ، إذ لا يمنحون حق العضوية ، وقد توزع عليهم نشرات الجماعة للعلم بها .

ومرة أخرى يتكرر رقم النصف مليون على لسان الشيخ البنا فيقول في آخر رسائله "قول فصل" ص٢٣ بعد صدور قرار حل الجماعة إن عدد أعضاء الجماعة نصف مليون عضو ونصف مليون من الأنصار والأصدقاء.

وبعض الباحثين يقدم رقما عشوائيا يصل إلى ٢ مليون عضو .. وأعطى البنا لنفسه الحق فى أن يتحدث باسم ٧٠ مليون عربى، ٣٠٠ مليون مسلم (١٩١) .

من مظاهر تصاعد قوة الجماعة :

ويتحدث مؤرخ الإخوان عن مظاهر قوة الدعوة وانتشارها ووصولها إلى قوة النفوذ الشعبى فيقول إنه بحلول عام ١٩٤٤ لم يعد مكان فى مصر يخلو من شعبة بفضل التكتيك البعيد المدى الذى حصن الأستاذ المرشد به خطوات الدعوة حيال الجبهات المختلفة الحاكمة ، ويتتبع تصاعد نفوذ الإخوان من خلال عدد الحاضرين لحديث الثلاثاء ، فيذكر أن عدد الحاضرين لهذا الحديث فى شارع الناصرية - حيث كان مقرا للمركز العام - لايكاد يتعدى أصابع اليدين ، وبانتقال المركز العام إلى ميدان العتبة ازداد عدد من يحضرون هذا الحديث ، فكان فى بعض الأحيان يزيد على المائة ، ولما انتقل المركز العام إلى ميدان الحلمية الجديدة فى الدار الأولى تضاعف العدد ، فكان يصل إلى المائتين والثلاثمائة ، فلما اشترى الإخوان قصر آل أبو حسين" وهو المبنى المقابل لهذه الدار ضاقت الداران بفناء يهما وحجراتهما بمن يحضرون هذا الحديث ، فاحتشد أكثر الحاضرين فى الميدان والشوارع المحيطة بالدارين ، وصار حديث الثلاثاء شيئا آخر تحول إلى مؤتمر كالمؤتمرات التى كان يعقدها الإخوان كل عام أو كل عامين ، ولكنه يعقد كل أسبوع ، وأصبحت تناقش فيه قضايا الساعة .

تضخم عدد الجوالة :

وعن تطور الجوالة وتضخم عددها قال إنها تطورت حتى صارت جندا كثيفا وعلى خلاف نظام الكشافة جمعت جوالة الإخوان فى الفرقة الواحدة الطالب بجانب العامل والفلاح بجانب المدرس والتاجر بجانب إمام المسجد والصانع بجانب المهندس والمرءوس بجانب الرئيس والشاب بجانب الشيخ ، ذلك أن هؤلاء جميعا لم ينخرطوا فى سلك الجوالة إلا بعد أن صهروا فى بوتقة الدعوة الإسلامية ثم صيغوا من جديد صياغة نزعت من نفوسهم

الأنانية والإثرة والتكبر والتعالى ، وأحلت محلها روح الأخوة ، وإذا كانت فرق الكشافة والجوالة فى مختلف الأنحاء لا تتعدى أهدافها إسعاف غريق ومساعدة شيخ ضعيف ، وتجبير كسر فإن جوالة الإخوان المسلمين كانت أهدافها أبعد من ذلك مرمى ، فكل جوال منهم نذر نفسه أن يكون فداء للمجتمع ويعتبر انخراطه فى سلك الجوالة طريق الإعداد ليوم الجهاد (١٩٢) .

امتداد نشاط الجماعة إلى كثير من دول العالم :

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده حسن البنا بدار المركز العام فى سبتمبر سنة١٩٤٨ بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس أول شعبة للإخوان المسلمين تبرز حقيقة تصاعد وتعاظم قوة الإخوان فقد ذكر أن عدد الشعب إلى هذا التاريخ قد بلغ فى المملكة المصرية ألفى شعبة (٢٠٠٠شعبة) وبلغ عدد الشعب فى السودان خمسين شعبة وذكر أن للإخوان شعبا فى فلسطين وشرق الاردن وسوريا ولبنان والعراق والكويت ولهم مندوبون وأصدقاء فى اليمن وإمارات الخليج والحجاز والمغرب العربى ، كما أن للجماعة شعبا ومندوبين وأصدقاء فى أندونسيا وسيلان والباكستان وإيران والأفغان وتركيا ، ولها فى أوربا وأمريكا أصدقاء ودعاة يبشرون بالحركة ويدعون إليها ويعطفون عليها ويؤسسون مراكز وهيئات كلما سمحت الظروف ، وذكر حسن البنا أن عدد الأنصار العاملين فى وادى النيل (٥٠٠,٠٠٠) عضو أى نصف مليون عضو تقريبا وذكر أن الأعضاء المنتسبين والأعضاء المؤازرين أضعاف هذا العدد .

النشاط الاجتماعى والاقتصادى للجماعة :

وأخذ حسن البنا يعدد مؤسسات الخدمة الاجتماعية الشعبية التى أنشأتها الجماعة وأنها ضربت بسهم وافر فى هذه الخدمة فاستعرض نشاط الإخوان فى التربية والثقافة وإنشاء المدارس والمستوصفات ومستشفى العباسية والنشاط الرياضى وتنظيم البر والإحسان والمصالحات ، كما ذكر أن الجوالة قد ضمت أكثر من أربعين ألف شاب .

وتحدث حسن البنا عن الجهد المالى والاقتصادى للجماعة فذكر أن الإخوان قد أنشأوا عدة شركات منها: شركة المعاملات الإسلامية وشركة

المحاجر والمناجم ، وشركة الإخوان للصحافة وشركة الإخوان للطباعة وشركة الإعلانات العربية ورد حسن البنا على من يتهم الإخوان بأنهم يستمدون المال من الحكومات أو الأحزاب أو الدول الأجنبية فذكر أن الإخوان يعتمدون على أنفسهم ومواردهم الخاصة ، ويعينهم على ذلك كثرة عددهم وصدق إيمانهم وحسن استعدادهم للبذل ، والعفة والأمانه فى التصرفات (١٩٣) .

ويذكر محسن محمد فى كتابة " من قتل حسن البنا ؟ معددا مظاهر قوة الإخوان فيقول إنها تضم ٦٠٠ ألف عامل ، والمؤازرون ضعف هذا العدد ، ولها ألفا شعبة فى مصر وخمسون فى السودان وشعب فى كل الدول العربية واندونيسيا وسيلان وأفغانستان وتركيا وأوربا وأمريكا وأن الجماعة قد أنشأت أعدادا كبيرة من المستوصفات والمدارس والأندية والجمعيات الاجتماعية ودارا للاعلانات وأخرى للطباعة وثالثة للنشر تصدر الصحيفة اليومية ومجلة أسبوعية ومجلتين شهريتين وكتبا إسلامية وعدة شركات منها ٤ شركات كبرى للمناجم والنسيج والتجارة وإصلاح الأراضى بنجع حمادى (١٩٤) .

ولكن د.ميتشيل يلقى بعض الظلال على هذه الأرقام خاصه فيما يتعلق بعدد الأعضاء فيذكر أن الجماعة لم يكن لديها فكرة واضحة عن العدد الدقيق للأعضاء المسجلين فى دفاترها سواء فى فترة بعينها أو فى أية فترة على الإطلاق" .

ثم يقول إن هناك أرقاما يمكن الاعتماد عليها وإن لم تكن دقيقة ويذكر هذه الأرقام : أربع شعب عام ١٩٢٩، ٥ شعب عام ١٩٣٠، ١٠ شعب عام ١٩٣١، ١٥ شعبه عام ١٩٣٢، ٣٠٠ شعبة عام ١٩٣٨، ٥٠٠ شعبة عام ١٩٤٠، ٢٠٠٠ شعبة عام ١٩٤٩ (يلاحظ أن الجماعة حلت فى ديسمبر ١٩٤٨) ، أما عدد الأعضاء فقيل إن الشعب كانت تضم من ٣٠٠,٠٠٠ إلى ٥٠٠,٠٠٠ من الأعضاء فى فترة ٤٦ – ١٩٤٨ فإذا أضفنا ٥٠٠,٠٠٠ من المتعاطفين مع الجماعة نجد أنها تتحدث باسم مليون مصرى ، ولكن العضوية انخفضت بشكل حاد بعد عام ١٩٤٩ إذ نقص عدد الشعب عام ١٩٥٣ إلى ١٥٠٠شعبة تمثل ٢٠٠,٠٠٠ أو ٣٠٠,٠٠٠ من الأعضاء (١٩٥) .

تمويل الجماعة لنشاطها

كان تمويل الجماعة لنشاطها المتنوع والذى غطى كل أنحاء مصر مثار تساؤلات واتهامات كثيرة . وأثيرت علامات استفهام متعددة حول كيفية تدبير الموارد المالية لنشاط جماعة امتدت لكل مكان فى مصر وتجاوزت الحدود إلى العالم العربى والإسلامى وإلى قارات أوربا وأمريكا وآسيا وتنوع نشاطها فى مصر فمن فرق للجوالة تحتاج إلى نفقات كثيرة للتدريب وتوفير الملابس والمعدات إلى مدارس ومستوصفات ومستشفيات وشركات ومصانع ومشاغل ومزارع ومؤسسات إلى متفرغين سياسيين وإداريين إلى جهاز سرى له مخابئه وأسلحته ونفقات أفراده إلى صحافة ومطبوعات لا تدر ربحا وإنما تحتاج دائما إلى دعم إضافي ، وعند حصر أصول الجماعة بعد حلها بلغ إجمالى هذه الأصول أرقاما خيالية لاتتناسب مع حزب سياسى أغلب أعضائه يعجز مستواهم المادى عن توفير هذه الأصول ومواجهة تكاليف ونفقات النشاط الواسع للجماعة وقد أحاطت علامات الاستفهام بعدة مواقف منها :

١- تبرع شركة قناة السويس الاستعمارية بمبلغ ٥٠٠ جنيه لبناء دار ومسجد للجماعة بالاسماعيلية وقد اعترف البنا بهذا التبرع ورد على الاتهامات التى وجهت إليه بسببها وبرر قبوله لهذا التبرع بأن القناة قناتنا وهذه الأموال أموالنا وقد ردت إلينا بعد أن سلبت منا فى غفلة من الزمن.

٢-أقر البنا أن إسماعيل صدقى عرض عليه معونة مالية مقابل تأييد الوضع السياسى القائم ، وأنه قد رفضها وعن مثل هذه المعونة يذكر د.ميتشيل أن البنا يزعم أنه عرضت عليه - بعد نقل مقر القيادة إلى القاهرة - عروض مختلفة بالإعانة المالية فى مقابل تأييد الوضع السياسى القائم ، والتى قدمها اسماعيل صدقى باشا رجل القصر الدائم والقوى والعدو اللدود لحزب الوفد ويقول ميتشيل إن البنا يزعم أنه رفض هذه العروض(١٩٦) .

ويؤكد تاريخ هذه المرحلة أن الإخوان قد تحالفوا مع صدقى وأيدوا حكومته خاصة فى إجراءاتها القمعية والتعسفية ضد الحركة الوطنية والديمقراطية والتقدمية والعمالية مما يلقى بظلال من الشك حول مزاعم رفض هذه المعونة .

٣-كان موضوع المالية أحد الموضوعات الأساسية والقاسم المشترك فى كل الانشقاقات والانقسامات داخل الجماعة وكانت نقطة انطلاق للهجوم على حسن البنا منذ الانقسام الذى حدث فى الاسماعيلية وحتى انشقاق أحمد السكرى خاصه وأن حسن البنا كان يحكم قبضته على مالية الجماعة وينفرد بالتصرف فيها .

٤-هناك اتهامات كثيرة عن تمويل من الانجليز ومن الأمريكان قدم للجماعة .

٥-ويذكر ميتشيل أن كثيرا من الرأسماليين والإقطاعيين قدموا تبرعات مالية وعينية للجماعة بحجة تشجيعها على محاربة الشيوعية (١٩٧) .

٦-كانت حملات التبرع تغطى بسرعة لا تتلاءم مع إمكانات الأعضاء(١٩٨) رغم أن الجماعة فشلت فى سنة ١٩٣٨ فى تنفيذ مشروع سهم الدعوة الذى اقترحه عبد الحكيم عابدين لتغطية حاجة الدعوة إلى المال ، والذى كان يقضى بأن يتبرع العضو بخمس أو عشر إيراده لجماعة الإخوان وقد كتب صالح عشماوى فى مجلة النذير يعلن أسفه لعدم نجاح هذا المشروع الذى لم يستجب له إلا قلة قليلة وقال " دعونا من نشر الأرقام فهى لاتشرف "أما أنت أيها الاخ الكريم عبد الحكيم عابدين فلنطو سويا "صفحة الرعيل الأول" صفحة حمراء صبغة الخجل كتبت بمداد الشح والبخل (١٩٩) .

ومع هذا الاعتراف بالفشل من جانب صالح عشماوى فقد ذكر حسن البنا فى "مذكرات الدعوة والداعية" أن الإخوان تسابقوا إلى تنفيذ مشروع سهم الدعوة مشكورين (٢٠٠) .

ويبدو أن حسن البنا - وقد استشعر هذه الشكوك - حاول أن يرد عليها وينفيها فذكر أنه لازالت موارد الإخوان وتنظيمهم المالى ومصادر نفقاتهم لغزا أمام كثير من الذين لم يتصلوا بهم ولم يحاولوا أن يتعرفوا الأمور على وجهها. وكثير من الناس حين يرى هذا النشاط الدائب والعمل المتواصل والمشروعات الكثيرة ، والمطبوعات المتوالية والحفلات الضخمة والاجتماعات الحاشدة ، يسأل نفسه من أين للإخوان كل هذا ؟ وكيف يحصلون على المال ومن أية جهة يجلبونه وهم قوم معظمهم إنما يجد ما يكفيه فقط وليس منهم كثير من الأغنياء أو الأثرياء ؟ وقد يذهب الكثير من هؤلاء المتسائلين فى الظن إلى درجة الاتهام بالباطل ، فيقول يأخذون من

الدولة الفلانية أو الهيئة العلانية ، أو تنفق عليهم هذه الجهة العالية أو تلك الناحية الخفية ، وكل ذلك وهم باطل وظن فاسد واتهام جرىء ، وقول مفترى لن يقوم عليه دليل ولاشبه دليل .

والأمر أهون من كل ما يتصور هؤلاء فإن الإيمان إذا سكن القلب وملأ الفؤاد وانطوت عليه الجوانح دفع صاحبه دفعا إلى أن يبذل كل ماله وكل دمه وكل نفسه فى سبيل عقيدته التى آمن بها وعاش من أجلها...والإخوان المسلمون ليسوا إلا أبناء دعوة آمنوا بها وأخلصوا لها وتربوا فى أحضانها ، فهان عليهم أن يبذلوا من قوت أولادهم ومن ضروريات حياتهم فى سبيل دعوتهم وميادين جهادهم . ولقد وضع القائمون بها نصب أعينهم من أول الأمر حقيقتين ثابتتين التزموهما فاستفادوا من تطبيقهما كل الاستفادة ، الأولى : عدم النظر أو التفكير أو الاعتماد على الإعانات الحكومية ، والثانية: اليأس التام مما فى أيدى الأغنياء ومحترفى السياسة وتلامذة المستعمرين وسماسرة الشركات الأجنبية ، إذ كان فى حساب الدعوة من أول يوم أن هؤلاء جميعا سيكونون من أول المناوئين لها إذ هى فى طريق وهم فى طريق آخر" (٢٠١) .

ومع ذلك يعترف حسن البنا فى مذكراته بعنوان "أول مساعدة حكومية للإخوان فيذكر أن مجلس مديرية الدقهلية ، بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ ٢٤مايو سنة ١٩٣٧ برئاسة صاحب العزة "**أحمد بك فهمى**" وكيل المديرية قرر منح شعبة الإخوان المسلمين بالمنصورة إعانة سنوية قدرها مائة وخمسون جنيها مصريا وذكر حسن البنا أن مجلة الإخوان قد نشرت ذلك (٢٠٢) .

كما كان من المعروف أن وزارة الشئون الاجتماعية كانت تمنح كثيرا من الشعب إعانات مادية وكانت هيئة الكشافة تمنح الجوالة كثيرا من الامتيازات ، وكان الحرص على استمرار هذه الإعانات مما دفع الإخوان لتعديل قانونهم الأساسى وفصل نشاط البر والخدمة الاجتماعية فىقسم منفصل من الناحية الشكلية فقط ومن هذا يتضح أن الاشتراكات الشهرية للأعضاء وتبرعاتهم لم تكن هى المصدر الوحيد للإنفاق على نشاط الإخوان ومؤسساتهم .

انفراد البنا بالسلطة

إحساس مبكر بالزعامة :

لقد ظهر الإحساس بالزعامة عند حسن البنا منذ وقت مبكر من حياته فقد اختير رئيسا "لجمعية الأخلاق الأدبية" وهو لازال طالبا بالمرحلة الإعدادية بمدرسة الرشاد ، وهو يزهو بهذه القيادة حين يقول : "وكانت ثروة مدرسة الرشاد الدينية سببا فى أن يتقدم هذا الناشىء إخوانه وأن تتجه إليه أنظارهم حتى إذا أريد اختيار مجلس إدارة جمعية الأخلاق الأدبية وقع اختيارهم عليه رئيسا لهذا المجلس (٢٠٣) .

وفى هذه الفترة أيضا من حياته اشترك فى إنشاء "جمعية منع المحرمات" بالقرية وقام بدور بارز فى نشاطها.

وينمو إحساسه بالزعامة فى مرحلة دراسته بمدرسة المعلمين فيستشعر إحساسا دينيا متحفزا يلهمه ضرورة التصدى للدفاع عن الدين ومقاومة المنكر ، فهو يحكى فى معرض تعلقه بشيخ الطريقة الحصافية الأول وتأثره بقراءاته الصوفية : "إننى رأيت فى هذه الأثناء ، وعلى أثر تكرارى للقراءة فى المنهل (وهو كتاب المنهل الصافى فى مناقب حسنين الحصافى وهو شيخ الطريقة الأول) فيما يرى النائم : أننى ذهبت إلى مقبرة البلد فرأيت قبرا ضخما يهتز ويتحرك ، ثم زاد إهتزازه واضطرابه حتى انشق فخرجت منه نار عالية امتدت إلى عنان السماء وتشكلت فصارت رجلا هائل الطول والمنظر واجتمع الناس عليه من كل مكان فصاح فيهم بصوت واضح مسموع وقال لهم : أيها الناس .. إن الله قد أباح لكم ماحرم عليكم فافعلوا ماشئتم . فانبريت له من وسط هذا الجمع وصحت فى وجهه "كذبت" والتفت إلى الناس وقلت لهم : (أيها الناس هذا إبليس اللعين وقد جاء يفتنكم عن دينكم ويوسوس لكم فلا تصغوا إلى قوله ولا تستمعوا إلى كلامه) (٢٠٤) .

وهو يؤكد هذا الإحساس بالزعامة بأقوال الشيخ عبد الوهاب الحصافى ابن شيخ الطريقة الأول حين تنبأ له ولأحمد السكرى بالزعامة والقيادة فقال لهما فى بعض جلساته :

"إننـى أتوسـم أن اللـه سيجمع عليكـم القلـوب ويضـم إليكـم كثـيرا مـن الناس" (٢٠٥) وقد كون هو وأحمد السكرى فى المحموديـة "جمعيـة الحصافيـة الخيرية" وكان هو سكرتيرا لها بينما كان أحمد السكرى رئيسا .

ورغـم اتجاهـه إلـى التصـوف والتعبـد وهـو تلميـذ بمدرسـة المعلميـن بدمنهور فقد فرض عليه استشعاره للزعامة والقيادة أن يشارك فى المناسـبات الوطنية وذكريات ثورة ١٩ فكانت "التبعات تقـع أول مـا تقـع علـى الظـاهرين من الطلاب والمتقدمين منهم ، وكنت رغم اشـتغالى بـالتصوف والتعبد أعتقـد أن الخدمة الوطنية جهاد مفروض لامناص منـه ، فكنـت بحسـب هـذه العقيـدة وبحسب وضعى بين الطلاب – إذ كنت متقدما فيهم – ملزما بـأن أقوم بـدور بارز فى هذه الحركات وكذلك كان"(٢٠٦) .

وفى موقف زعامى جرىء يحكى حسن البنا عن إضراب الطلاب فى يوم من الأيام الثائرة وقد اجتمعت اللجنة القيادية للطلاب فى سـكنه وقد داهـم البوليس البيت يبحث عن المجتمعين فكان جواب صاحبة المنزل أنهم خرجـوا منذ الصباح الباكر ولـم يعـودوا ، ولـم يـرق هـذا الجـواب غـير الصـادق مـن صاحبة البيت الطـالب حسـن البنـا فخـرج إلـى الضـابط "وصارحتـه بـالأمر.. وناقشته بحماس وقلت له : إن واجبه الوطنى يفرض عليـه أن يكـون معنـا لا أن يعطل عملنا ، ويقبض علينا . ولا أدرى كيف كـانت النتيجـة أنـه اسـتجاب لهذا القول فعلا فخـرج وصـرف عسـاكره وانصـرف معهـم بعـد أن طمأننـا ، ورجعت إلى الزملاء المختبئين وأنا أقول لهـم هـذه بركـة الصـدق ، ولابـد أن نكون صادقين ونتحمل تبعة عملنا (٢٠٧) .

فى القاهرة حث قادة المسلمين للتصدى لمظاهر التحلل :

وفى القاهرة فوجىء كريفى بمظاهر لم يألفها فى القريـة ، فـرأى فـى هذه المظاهر التـى تتسم بـالتحرر وأحيانـا بـالتحلل شـرا يجب التصـدى لـه ، وسيطر عليه القلق فعزم على موقف إيجابى لصد هذه الموجة .

يقـول : "وصـرت أرقـب هذيـن المعسـكرين فـأجد معسـكر الإباحيـة والتحلل فى قـوة وفتـوة ومعسـكر الإسـلامية الفاضلـة فـى تنقـص وانكمـاش ، واشتد بى القلق حتى أنى لأذكر أننى قضيـت نحـوا مـن نصـف رمضـان هـذا العام فى حالة أرق شديد ، لايجد النوم إلى جفنى سبيلا من شدة القلق والتفكير

في هذه الحال ، فاعتزمت أمرا إيجابيا وقلت في نفسي : لماذا لا أحمل هؤلاء القادة من المسلمين هذه التبعة وأدعوهم في قوة إلى أن يتكاتفوا على صد هذا التيار ؟ فان استجابوا فذاك ، وإلا كان لنا شأن آخر وصح العزم على هذا وبدأت التنفيذ (٢٠٨) . وبعدها اتجه إلى الشيخ يوسف الدجوى وبعض العلماء يصارحهم بوجوب العمل .

في موضوع الإنشاء حدد هدفه الزعامى "أن أكون مرشدا":

وفي موضوع الإنشاء الذى كتبه في نهاية دراسته بدار العلوم يتبلور إحساسه بالزعامة والقيادة كما تتضح أمامه الرؤيا للمستقبل الذى ينشده وذلك حين يقول : "أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التى ترى سعادتها في إسعاد الناس وإرشادهم ، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم ، وذود المكروه عنهم ، وتعد التضحية في سبيل الإصلاح العام ربحا وغنيمة " .
ويقول : "وأعتقد أن العمل الذى لا يعدو نفعه صاحبه ولا تتجاوز فائدته عامله قاصر ضئيل" .

وحدد أن هدفه العام "هو أن أكون مرشدا معلما ، إذا قضيت في تعليم الأبناء سحابة النهار ، ومعظم العام قضيت ليلى في تعليم الآباء هدف دينهم ومنابع سعادتهم ومسرات حياتهم تارة بالخطابة والمحاورة وأخرى بالتأليف والكتابة وثالثة بالتجول والسياحة" (٢٠٩) .

في الاسماعيلية اتجه إلى المقهى لأنه لن يجد منافسا له :

وفي الاسماعيلية يترك الحديث إلى الناس في المساجد في بداية الأمر ويقصد إلى القهاوى ولم يفعل ذلك لمجرد أن "المسجد وجمهور المسجد هم الذين مازالوا يذكرون موضوعات الخلاف ويثيرونها عند كل مناسبة "كما يقول ولكن لأنه لن يجد في المقهى منافساله يحرجه أو يعوق مسيرته أو يفض الناس من حوله وإنما سيجد جوا ملائما لممارسة الزعامة فيه ، سيجد جمهورا بسيطا ، يعكف على المنكرات والآثام ، كما يقول هو عنهم وهم لذلك متعطشون إلى الوعظ والتنبيه إذا وجدوا من ينبههم ويستثير فيهم الروح الدينية الفطرية العميقة في نفوسهم ولذلك كان حسن البنا لبقا سريع البديهة

والحيلة استطاع أن يشد انتباه هذا الجمهور الغافل الغارق فى آثامه حين ألقى على المنضدة أمامهم بقطعة من الجمر ففزعوا فتساءل إن كانت هذه الجمرة الصغيرة قد أفزعتهم فماذا سيفعلون أمام نيران جهنم الأشد هولا ؟ ومن هذه البداية أخذ يشدهم إلى الاستماع إليه والاستجابة لهديه .

وفى هذه الاستجابة من هذا الجمهور كان حسن البنا يمارس مهارته فى القيادة وحين أصبح له مريدون من هذا الجمهور يريدون أن يتعلموا أحكام الإسلام وتعددت أسئلتهم بعد أن تحرك وجدانهم بأحاديثه أشار عليهم باختيار مكان خاص يجتمعون فيه بعد دروس المقهى أوقبلها ، ووقع اختيارهم على زاوية نائية فى حاجة إلى ترميم ، وبحماس رمموها وأصبحت مكانا لاجتماعهم .

وحين قصد إليه فى الزاوية بعض هواة الخلاف والجدل وسألوه أسئلة محرجة وجد أنها تستدرجه إلى معارك الخلاف لجأ إلى الحيلة والإجابة اللبقة المرنة التى تطفىء جذوة الجدل والخلاف وتخلصه من الوقوع فى هذا الشرك فقال: "يا أخى إنى لست بعالم ولكنى رجل مدرس مدنى أحفظ بعض الآيات وبعض الأحاديث النبوية الشريفة ، وبعض الأحكام الدينية من المطالعة فى الكتب ، وأتطوع بتدريسها للناس . فإذا خرجت بى عن هذا النطاق فقد أحرجتنى ، ومن قال لا أدرى فقد أفتى ، فإذا أعجبك ما أقول ، ورأيت فيه خيرا ، فاسمع مشكورا ، وإذا أردت التوسع فى المعرفة فسل غيرى من العلماء والفضلاء المختصين ، فهم يستطيعون إفتاءك فيما تريد ، وأما أنا فهذا مبلغ علمى ولايكلف الله نفسا إلا وسعها ، فأخذ الرجل بهذا القول ولم يجد جوابا ، وأخذت عليه بهذا الأسلوب سبيل الاسترسال ، وارتاح الحاضرون أو معظمهم إلى هذا التخلص" (٢١٠) .

استخدام الهدايا لإسكات المنافسين :

وفى إحدى المرات حاول أحد المشايخ الذين درسوا فى الأزهر سنوات طويلة إحراجه بالجدل والنقاش وتكرر منه ذلك فأسكته حسن البنا بالهدايا يقول حسن البنا :

"وأراد هذا الشيخ رحمه الله أن يتخذ معى هذا الأسلوب فى كل درس ، ومعنى هذا أن يهرب العامة والمستمعون من هذا الجدل العقيم ويدعوا

للشيخين هذا الميدان الذى لاخير فيه ، فكرت فى علاج الشيخ فدعوته إلى المنزل وأكرمته وقدمت له كتابين فى الفقه و التصوف هدية وطمأنته على أننى مستعد لمهاداته بما شاء من الكتب ، فسر الرجل سرورا عظيما وواظب على حضور الدرس والإصغاء إليه إصغاء تاما ودعوة الناس إليه فى إلحاح فقلت فى نفسى : صدق رسول الله : (تهادوا تحابوا) واستمرت هذه الطريقة ناجحة إلى حين ، وللنفوس تقلباتها" (٢١١) .

رواد المقاهى يسلمون له بالزعامة :

ولقد أثمر الأسلوب الذى اتبعه حسن البنا مع رواد القهاوى . فجاءه بعضهم يسلمون له زمامهم ويعترفون له بالزعامة والقيادة والهداية ، فقد ذكر حسن البنا على لسان العمال الستة الذين زاروه بمنزله وكون منهم أول شعبة للإخوان المسلمين ، قولهم :

"نحن لانملك إلا هذه الدماء تجرى حارة بالعزة فى عروقنا ، وهذه الأرواح تسرى مشرقة بالإيمان والكرامة مع أنفاسنا ، وهذه الدراهم القليلة ، من قوت أبنائنا ، ولا نستطيع أن ندرك الطريق إلى العمل كما تدرك ، أو نتعرف السبيل إلى خدمة الوطن والدين والأمة كما تعرف ، وكل الذى نريده الآن أن نقدم لك ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدى الله ، وتكون أنت المسئول بين يديه عنا وعما يجب أن نعمل" (٢١٢) .

علاقة المريد بشيخه :

وهذا الأسلوب الرصين الفخم ليس هناك ما يؤكد صدوره بهذه الصيغة من هؤلاء العمال البسطاء ولكن صدوره على لسان حسن البنا بهذا الشكل وبهذا المضمون يلخص منذ البداية المبكرة لجماعة الإخوان المسلمين نوع العلاقة التى يريدها حسن البنا بينه وبين أتباعه وهى علاقة المريد بشيخه ، هذه العلاقة التى تلبس فكرة البيعة ثياب الخضوع المطلق .

وهذا النوع من الزعامة أو هذه العلاقة هى التى كان يؤمن بها حسن البنا باعتبارها الطريق الأسلم والأضمن لنجاح دعوته ، وقد استطاع أن يقنع بها أتباعه فأسلموا له القياد طائعين راضين ، وبهذا تمكن حسن البنا من أن يطور إحساسه المبكر بالزعامة إلى هذا النوع من الولاء والانضباط .

الزعامة والخضوع المطلق وعوامل تأكيدها :

وساعد على تدعيم هذا النوع من الزعامة المهيمنة على الجماعة عوامل منها:

أولا: ماكان يتميز به من مؤهلات ولقاءات عديده ، أصبح بها أقوى أداة تثقيفية فى الجماعة ، فهو خطيب حلو الكلام مؤثر متنوع الثقافة ، ذكى لماح لبق متقشف زاهد متواضع ألوف إلى درجة أن عشرات الألوف من الإخوان يفخر كل منهم أنه صديق شخصى لحسن البنا ، وقد أضفت هذه الصفات على حسن البنا طابع التبجيل والقداسة

ثانيا: المناخ الاجتماعى كان ملائما لسيادة هذا النوع من الزعامة الفردية ، ففى شعوب العالم الثالث حيث يتفشى الجهل والأمية ويندر التفكير العلمى وتسود الخرافة وتسيطر الميتا فيزيقيا على العقول ، يظهر الزعيم الفرد نجما متألقا تحوطه القداسة وعبادة الفرد، لان هذه الشعوب يصعب عليها قبول المبادىء المجردة ، بينما يسهل عليها أن تجسدها فى الزعيم الذى يحرص على هذا الامتزاج لاستمرار زعامته مدى الحياة، مبررا ذلك بتأمين نفسه وتأمين الفكرة التى يجسدها من محاولات ضربها من قبل الأعداء فى الداخل والخارج، ولم يكن غريبا أن أحزاب الأغلبية المصرية اقتنعت بأن تكون رئاسة الحزب مدى الحياة ، حدث هذا فى الحزب الوطنى وحزب الوفد والإخوان المسلمين .

ثالثا: المناخ الدولى أيضا كان مهيأ لتدعيم فكرة الزغيم الفرد، فقد كانت الفاشية والنازية فيما بين الحربين فى صعود.

رابعا: طبيعة الدعوة الدينية وإيمان الأعضاء بأهدافها المحددة جعلهم يقبلون مبدأ أنه لاجدال فى الدعوة ولاجدال للقائد الذى ينادى بهذه الدعوة ، فلم يكن ولاؤهم للبنا نابعا فقط من مكانته الشخصية ، إنما أيضا من القبول بقدسية دعوته .

ويتحدث طارق البشرى عن النتائج المترتبة على مثل هذا الوضع فيقول : "وعندما يغيب عن الفرد الفهم العلمى للعلاقات الطبقية فى المجتمع لايبدو واضحا أفق التطور فى المستقبل ، وتصبح صور الماضى هى الرصيد

الوحيد لديه لأمل التحرر، وإذا كان الهدف غير واضح فستكون وسيلته هى العمل الخارق للعادة غير المستند إلى فهم الواقع ، وتتعلق الأبصار بالفكرة القديمة فكرة المهدية والإمام الذى سيملأ الأرض عدلا ونورا بعد أن ملئت ظلما وجورا ، وينفصل الأمل فى التحرر عن الواقع، ويرتبط بالفعل غير المعقول الناتج عن الحدس لاعن الفهم والمعتمد على القوة الخارجة عن الإنسان لاعلى جهد الإنسان ، وتكون غاية الإنسان هنا لاأن يشارك فى صنع مستقبله ، ولكن أن يكل إلى غيره - زعيما أو إماما - رسم المستقبل وصنعه ، ويبايعه على السمع والطاعة ، ويدرب نفسه على الانصياع لأوامره ونواهيه ، ويجد تحقيق ذاته فى هذا الانصياع" (٢١٣) .

خامسا : سيطرة البنا على كل شئون الجماعة وإمساكه بزمام كل أمرفيها، فقد كان يخفى لنفسه وحده كثيرا من المصادر والشخصيات التى يعتمد عليها فى الاستشارة حين يريد، وكان فى خفاء هذه العلاقات خفاء لبعض جوانب شخصيته ومعرفته ، فقد أصبح من المعروف أن حسن البنا كان ينشىء علاقات مع المتعاطفين مع الجماعة من بعض رجال الدولة والشخصيات البارزة ، وكان هؤلاء يعتبرهم أعضاء فى الجماعة عن طريقه بغير علم أجهزة الجماعة، كان من هؤلاء حسن الهضيبى عندما كان مستشارا بالقضاء .

ويذكر أنور السادات أن حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الإخوان ويرسم سياستها ثم يحتفظ بها لنفسه وإن أقرب المقربين إليه لم يكن يعرف من خططه شيئا ولامن أهدافه شيئا" فقد كان حسن البنا يجمع السلاح خلال الحرب ويخزنه دون أن يعرف أحد من قادة الإخوان المقربين إليه شيئا عن ذلك (٢١٤) .

ولقد كانت سيطرة حسن البنا على الجهاز السرى وما يمتلكه من أسلحة من الوسائل التى ساعدته أيضا على الهيمنة على أمور الجماعة ومقدراتها .

سادسا : سيطرة الجماعة وتدخلها فى أمور العضو ودخائل حياته حتى فى نثريات هذه الحياة اليومية من خلال عشرات الأوامر والنواهى التى تحكم حركته فى التحدث والضحك والصحة والثقافة -والتعامل مع الناس وفى

المعاملات المالية وفى علاقته بربه وبالدعوة وواجباته فيما قبل النوم وعند الاستيقاظ (٢١٥) .

هذا التدخل فى حياة العضو اليومية جعله أكثر طواعية للخضوع والانسياق بقوة العادة .

سابعا : استطاع البنا ان يقنن فهمه للزعامة وفكرته عن الولاء والانضباط عن طريق القانون الأساسى وقرارات المؤتمرات والرسائل التى أصدرها فقد نص فى القانون الأساسى فى البند الرابع على أن يقسم جميع الأعضاء ولاء الطاعة للمرشد العام والثقة التامة به والسمع والطاعة له فى المنشط والمكره وترك المؤتمر الثالث للمرشد العام تحديد مهمة كل هيئة وطريقة تشكيلها فقد ورد فى قراراته عبارة"وقد ترك المجتمعون لفضيلة المرشد العام تحديد مهمة كل هيئة من هذه الهيئات ووضع البيان الذى يوضح ذلك التحديد" (٢١٦) .

وبهذا تنازل المؤتمرعن سلطته ومنحها للمرشد ليهيمن بذلك على أجهزة التنظيم ومستوياته المختلفة فهو الذى ينشىء أى جهاز فى الجماعة ويمنحه السلطة وتتجسد فى قراراته سلطات المؤتمر وبذلك "أضفى على تصرفاته الشخصية صفة الأعمال الجماعية الصادرة عن هيئة المؤتمر...وهذا يزيد المشيئة الفرديه تسلطا بقدر مايجعلها أكثر استتارا وراء الأبنية التنظيمية ويمكن أن يتصور كيف يستفاد من هذا الوضع فى فرض الهيمنة الشخصية وليس فى مقدور جهاز ما أن يعارض أويجابه منشئه القادر علىتغيير وظائفه وتغيير القائمين عليه واستبدالهم" (٢١٧) .

أتباع البنا يقدمون له الطاعة طواعية :

وقد نظم المؤتمر الثالث مراتب العضوية ، وطلب حسن البنا فى هذا المؤتمر من قادة الميدان تنفيذ العقوبة التى يستحقها الأخ الذى لم ينفذ الواجبات المطلوبة منه وهذه العقوبة كانت تتراوح مابين الإندار والتقويم والوقف والفصل حسب المستوى التنظيمى ، ورغم ذلك فقد كان من النادر توقيع هذه العقوبات لأن الطاعة التى كان الأعضاء يقدمونها للبنا لم تتوقف على سلطاته فى توقيع العقوبة وإنما كانت الطاعة "تبذل له - كما يقول

ميتشيل - طواعية ، وطالما ذكر أتباعه أن طاعة البنا والولاء له كانا يعطيان له دون طلب ، وأن التعمد فى إعطائهما يجعلانهما عملا واعيا لانقيادا أعمى" (٢١٨) .

ثلاثة أنواع من الطاعة :

وفى رسالته "التعاليم" التى كتبت لنظام الكتائب الذى أنشىء سنة١٩٣٩،٣٨ أورد البنا الطاعة والثقة ضمن الأعمدة العشرة لقسم الولاء أو البيعة ، وقد عرف البنا الطاعة بأنها "امتثال الأمر وإنفاذه توا فى العسر واليسر والمنشط والمكره" ثم تناول ثلاثة أنواع من طاعة التنظيم على حسب المراتب الثلاث للدعوة وللأعضاء وهى التعريف ثم التكوين ثم التنفيذ.

وقد ذكر أن المرتبة الأولى - التى تشمل غالبية الأعضاء - لا تتطلب الطاعة التامة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم و المبادىء العامة للجماعة .

وعن المرتبة الثانية التى تستخلص فيها العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وتمثلها الكتائب الإخوانية يذكر أن نظام الدعوة فيها "صوفى بحت من الناحية الروحية وعسكرى بحت من الناحية العملية وشعار هاتين الناحيتين دائما (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولاشك ولاحرج" ويقول إن أول بوادر استعداد عضو هذه المرتبة هو (كمال الطاعة) .

أما عن المرتبة الثالثة التى تتسم بالجهاد الذى لا هوادة فيه ، فإنه لايكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا (كمال الطاعة كذلك) (٢١٩) .

اعتمد البنا على الطاعة فى إبعاد بعض القيادات :

ولقد قام حسن البنا - معتمدا على هذه الثقة والطاعة - بإقصاء من يرى إقصاءه من القيادات بطريقة لاتخلو من التمويه والمناورة ، بحيث يبدو الأمر وكأنه تم بطريقة اختيارية طبيعية .

يذكر مؤرخ الإخوان وأحد قادتهم أنه فى أوائل صيف عام ١٩٣٨ دعا المرشد إلى اجتماع فى بيته فى شارع محمد على وكانت دعوة شخصية موجهة إلى أشخاص معينين من ذوى السابقة فى الدعوة ، وفى الاجتماع

تحدث المرشد عن اتساع الدعوة وعن أنه " لم يعد يكفى أن يحمل عبئها رجل واحد ، وقال إنه فكر فى مجموعة تشاركه حمل هذا العبء ، وانتهى تفكيره إلى عقد هذا الاجتماع الذى يضم من يتوسم فيهم القدرة على هذه المشاركة ، وقال : إن المشاركة فى هذا العبء تقتضى من صاحبها أن يجعل حياته ومستقبله وآماله طوع مشيئة هذه الدعوة .. وانتهى فى حديثه إلى أنه يريد تكوين لجنة من أربعة وعشرين عضوا يرشحون أنفسهم من بين الحاضرين يشاركونه حمل أعباء الدعوة على الأسس وبالشروط التى شرحها" وهى شروط تعجيزية يصعب على الكثيرين الالتزام بها ، فلا يجدون أمامهم إلا الانسحاب والفرار ، وبذلك يحقق المرشد هدفه فى التخلص ممن يريد .

ويعلق مؤرخ الإخوان فيقول : " كان الأستاذ المرشد إذا دعا لاجتماع حددله أهدافا وأعلنها ، إلا أنه يكون قد احتفظ لنفسه بأهداف أخرى لهذا الاجتماع ، ولايكاد ينتهى اجتماع إلا بإصابة جميع الأهداف المعلن منها وغير المعلن دون أن يشعر أحد من الحاضرين بأن غير الهدف المعلن كان مقصودا" .

وكان الاجتماع يضم مستويات متفاوتة ، وقد انتهى الاجتماع بمعاهدة مجموعة من المجتمعين على المواصلة والإسراع إلى البيعة ، ومجموعة أخرى عاهدت على المواصلة وأجلت البيعة ، ومجموعة ثالثة اعتصمت بالصمت مبيتة نية الفرار .

وقد كان هدف الأستاذ المرشد التخلص من هذه المجموعة الثالثة بشكل خاص ، هذه المجموعة التى ارتبطت بالدعوة " حين كانت بعيدة عن التيارات فى سلام وأمن وأمان ، ربط بعضهم رباط من صداقة أو قرابة أو نسب أو غيرها ، وتعودوا أن يكونوا المتصدرين فيها ، ومع تطور الدعوة وتغير ظروفها لا زالوا متشبثين بهذه الصدارة ، ولم يعودوا أهلا لها ، فصاروا بذلك عبئا على الدعوة ، وليس من الذوق - بمالهم من قدم عهد بمناصبهم فى الدعوة - إقصاؤهم بطريقة مباشرة ، فجاء بهم إلى هذا الاجتماع ليستمعوا إلى الحديث نفسه ، وإلى مبادرات الآخرين إزاءه فيقتنعوا بأنهم سيطالبون بما لا يستطيعون ، فيقصون أنفسهم بأنفسهم ، وتتخلص الدعوة من أعباء هى فى غنى عن حملها .

ويخيل إلى أن هذا الاجتماع لم يكن هدفه إلا ما ذكرت ، فإن لجنة الأربعة والعشرين لم تدع لاجتماع بعد هذا " (٢٢٠) .

كبار قادة الجماعة يقدمون له الولاء والطاعة التامة :

لقد أصبح حسن البنا بفضل هذه العوامل هو المهيمن بذاته على مقدرات الجماعة يحمل الأعضاء على حكمه النهائى والثقة به والإيمان بأن القائد جزء من الدعوة فلا دعوة بغير قائد، وأن الثقه المتبادلة بين القائد والجندى هى أساس قوة الجماعة وصحة خططها وإنجازها الناجح لأهدافها ، وقد وضع الولاء والثقة فى نفس المرتبة، ومنذ البدايات الأولى لحركته جعل حسن البنا الطاعة والثقة سمة أساسية من سمات التنظيم التى يجب أن تتأكد فى وجدان أتباعه الذين آمنوا بأن لقائد الإخوان سلطة الأب والأستاذ والشيخ والزعيم ، ولم يكن هذا الإيمان بالطاعة قاصرا على الأعضاء العاديين أو المستويات الدنيا ، بل لقد شمل كبار القادة البارزين ، فقد كتب صالح عشماوى موجها خطابه إلى المرشد العام فى أمر ما ، يقول : "إن من حقك علينا الطاعة ، على هذا بايعنا وعاهدنا ، ولنا فيك الثقة الكاملة ، وعندك الطمأنينة الشاملة ! " (٢٢١) ويقول محمود الجنيدى جمعة عضو مكتب الإرشاد العام فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين سنة ١٣٥٧ هجرية "إرم بنا حيث شئت ، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك " (٢٢٢) .

وفى مجلة الدعوة بتاريخ ١٩٥٥/٢/١٥ فى مقال بعنوان "ماذا أقول عن حسن البنا ؟ " تحدث حسن العشماوى أحد قادة الإخوان فقال " كان كل منا يشعر أنه يقف منه موقف المريد من شيخه ، وقد أسلم له القياد ليأخذ بيده إلى الله " وقد ذكر موسى اسحق الحسينى وهو أحد مؤرخى الإخوان " أن سيطرة البنا على أتباعه كانت مطلقة كاملة إلى درجة تصل إلى السحر "

وقد وصف مصطفى أمين فى جريدة الأخبار فى تهكم واضح طبيعة العلاقة بين المرشد وأتباعه فقال : " إذا عطس المرشد فى القاهرة قال له الإخوان فى أسوان يرحمكم الله " (٢٢٣) .

ويلاحظ طارق البشرى خلو كتابات الإخوان من واجبات مقابلة يلتزم بها القائد تجاه الأعضاء : عملية كانت أو نظرية ، أو من تحديد وسائل لممارسة النقد أو المراجعة للقائد (٢٢٤) .

تضخمت عند البنا النزعة الفردية وضعفت ثقته فيمن حوله:

وقد نتج عن هذه الظروف أن تضخمت لدى البنا النزعة الفردية والاستئثار بالسلطة وتعاظمت لديه الثقة المفرطة بنفسه والمبالغة فى الدور الشخصى له إلى درجة أنه كان ينظر إلى نفسه على أنه محور الدعوة جماعة وأعضاء ، فى نفس الوقت الذى ضعفت فيه ثقته فيمن حوله، فلا يطمئن لأمر إلا إذا بناه بنفسه أوشارك فى بنائه

سبق أن ذكرنا أنه كتب فى مذكراته خواطر عن شخصين حضرا إليه من المحمودية وتكلموا كثيرا عن جمعيات الإخوان المسلمين ثم قال : على أن ملخص خطراتى أن فرعى جمعية الإخوان بالمحمودية وشبراخيت سوف لا تنفع كثيرا لأنها أنشئت بغير أسلوبى ، ولاينفع فى بناء الدعوة إلا ما بنيت بنفسى وبجهود الإخوان الحقيقيين الذين يرون لى معهم شركة فى التهذيب والتعليم وهم قليل" ثم يقول عن أحدهما "قائد موهوب ولكنه منصرف بهذه القيادة وهذه المواهب إلى السفاسف .. فالاعتماد عليه ضرب من المخاطرة العقيمة " ثم يقول عن الآخر" والأخ الشيخ .. له أساليبه الخاصة به ، وهو ينظر إلى كأخ زميل فلا يصغى لآرائى إلا قليلا ، ومن هذه الناحية يكون توحيد الفكرة ضربا من التعسر ، فالاعتماد عليه مخاطرة كذلك (٢٢٥) .

وواضح أنه يتحدث هنا عن اثنين من الرجال الأربعة الذين كانت الإخوان - كما قال هو فى المؤتمر الخامس - فكرة فى رءوسهم ، وهما : أحمد السكرى والشيخ حامد عسكرية فالأول هو الذى أنشأ جمعية المحمودية وأنشأ الثانى جمعية شبراخيت، فإذا كان الاعتماد على هؤلاء الذين بنيت عليهم الدعوة مخاطرة فعلى من يعتمد إذن ويثق ؟!

إنه يستنكر على الثانى وهو قائد وزميل له - أن يكون له فكر مستقل وأن يتعامل معه تعامل الأنداد والزملاء مهما كان مؤمنا بالدعوة موضوعيا فهو يتصور العضو المثالى شخصا مطيعا منفذا للأوامر ولافكر له وبهذا فى نظره "يكون توحيد الفكرة" .

وكان حسن البنا لا يثق في قدرة من حوله على القيام بعمله أو مشاركته فيه لأنهم إما ضعاف أو خبثاء فقد تحدث إليه بعض الإخوان عن نظام مجلس الإدارة فكتب تحت عنوان "ضعف الأمين وخباثة القوى" : "إن هؤلاء الناس لم يفهموا بعد دعوة الإخوان المسلمين وقليلون هم أولئك الذين يستطيعون النهوض بأعباء إدارتها وتنفيذ منهجها الواسع ، إنني أتمنى أن يكون إلى جانبي رجال يفهمون ويديرون فأسلم إليهم هذا العمل وأرتاح بهم قليلا وأطمئن إلى مقدرتهم ولكن أين هم ؟ إن الكثيرين لايفهمون من مجلس الإدارة إلا كلمة العضوية ، فهم يتنافسون على حيازتها ، وتقع بها بينهم العداوة والبغضاء " (٢٢٦) .

حسن البنا يضيق بالرأى الآخر ويتخلص من معارضيه :

ولقد نتج عن عدم ثقتة في قدرة من حوله على مشاركته في حمل أعباء القيادة ، أنه كان يضيق بالرأى الآخر فلا يقبل من أحد من زملائه أن يخالفه في الرأى ويعتبر ذلك خروجا عن الوحدة التي لا تعني إلا شيئا واحدا وهو عدم مخالفته ، ومن هنا حارب كل رأى مخالف ، ففصل صاحبه حتى لا يكون في الجماعة من يناطحه النفوذ أو المكانة ، وغلف ذلك بكثير من الأحاديث التي تحض على قتل من يفتت وحدة المسلمين .

ويعبر طارق البشرى عن دوافع حسن البنا وطريقته في التخلص من منافسيه فيقول إنه "قد سلك إلى ذلك السبيل التقليدى بإقصاء معارضيه كلما تجمع في مواجهته اتجاه معارض وإقصاء أى فرد ينمو نفوذه أو تستطيل قامته حتى تشارف هامة المرشد أو ينذر بأن يكون قطبا ثانيا جاذبا لأى اتجاه معارض ، حدث ذلك مع من اختلفوا معه بالاسماعيلية ، ثم مع من عارضوه عندما اتجه بالجماعة صراحة إلى السياسة سنة ١٩٣٩ كما حدث بالنسبة لأحمد السكرى الذى كان من رجال الجماعة الأوائل ... وطريقة المرشد في هذه الصراعات تتحصل في تفتيت القوى المعارضة وتوريط المعارضين في الأخطاء وإظهار نفسه بمظهر البرىء المخدوع المعتدى عليه والعفو المتسامح مع المعتدين عليه " (٢٢٧) .

وقد استطاع حسن البنا دائما أن يحاصر معارضيه وأن يتخلص منهم بأقل الخسائر ، لأنه كان دائما مهيمنا على الجماعة ومسيطرا على أجهزتها ، التى كانت تدعم موقفه فتحميه، وتنفذ ما يريده وبذلك استطاع أن يختفى خلفها وأن يصبح فعالا من خلالها .

اتهام الجماعة بافتقاد الشورى داخلها :

وقد ذكر الخارجون عليه فى الاسماعيلية فى نشرات طبعوها بأن حرية الرأى مفقودة فى الجماعة وأنها لا تأخذ بنظام الشورى ، وأن حسن البنا ينفرد بالرأى ويستبد به ، ومع ذلك فإن مجلس إدارة الجمعية وجمعيتها العمومية لاتخالف له أمرا وتطيعه طاعة عمياء ، وكان سبب هذا الخروج . كما يحكى حسن البنا أنه اختار أحد العمال ويعمل نجارا ليكون نائبا للإخوان بالاسماعيلية ويحل محل حسن البنا بعد نقله ، فى اجتماع لم يحضره جميع الإخوان وكانت الدعوة مفاجئة مجهوله القصد بينما كان يتطلع إلى هذا المنصب عضو آخر يرى أنه أكفأ لهذه المهمة وهذا العضو الآخر وصفه حسن البنا بأنه "شيخ أريب أديب عالم فقيه لبق ذلق السان واضح البيان عين مدرسا بمعهد حراء وقدرت فيه مواهبه فأسندت إليه رئاسة لجنة الحفلات وبعض الدروس فى مسجد الإخوان ، وكان محترما من الجميع فتطلع إلى أن يكون رئيسا للجماعة بالاسماعيلية" وأنه يحمل شهادة العالمية ويحسن قرض الشعر ويجيد الخطابة والقول - وقد أبدى حسن البنا دهشته وتعجبه حين طالبه المعترضون بأن يتم اختيار النائب فى اجتماع يحضره الجميع لأنهم لم يحضروا الاجتماع السابق "وكانت الدعوة إليه مفاجئة ولم يكن المقصود منها معلوما" ويعلق حسن البنا على هذا الطلب بقوله"والواقع أن هذا المظهر كان جديدا وغريبا على أوضاع الإخوان التى لم تعرف إلا الوحدة الكاملة والاندماج التام ، فرأى أحدهم هو رأى جمعهم " .

ويوافق حسن البنا على عقد اجتماع جديد لكنه كان مع الاختيار الأول لأنه هو الذى رشحه وعمل على إنجاحه فى الاجتماع الثانى بل وتدعيم هذا الاختيار بالاتفاق مع النجار على العمل إماما لمسجد الإخوان متطوعا حتى لا يجد المعترضون ذريعة لاعتراضهم فى مقابل ترك أحد دكاكين المسجد له يفتحه ليتاجر أو يصنع . يقول حسن البنا " فأوعزت إلى الأخ الشيخ على أنه

إذا ظهرت نتيجة الانتخاب فى جانبه أن يعلن تنازله عن مرتبه وأنه سيعمل فى المسجد متطوعا ، وقد كان " .

ويعلق حسن البنا على هذا الاجتماع بالحديث عن الخوارج وحكمة الإسلام فى توصيته بمعاملتهم بمنتهى الحزم وأن هؤلاء الخوارج فى تصرفهم هذا متأثرون بالنظم الغربية المائعة فيقول : "ولقد كان الإسلام حكيما أعظم الحكمة فى وصيته بأخذ مثل هؤلاء الخوارج على رأى الجماعة بمنتهى الحزم (من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان) ولكننا تأثرنا إلى حد كبير بالنظم المائعة التى يسترونها بألفاظ الديمقراطية والحرية الشخصية ، وما كانت الديمقراطية ولا الحرية يوما من الأيام معناهما تفكيك الوحدة والعبث بحرية الآخرين " (٢٢٨) وبعد أن يتحدث عن الخوارج و الحزم ينتهى بأن يظهر بمظهر السماحة والعفو والأريحية فيقول عن هذا الشيخ "وإنى لأعتذر إليه فهو الآن من خيرة العلماء وأفضل الأصدقاء " وتلك أيام خلت وذكريات مضت ولعل له عذرا " (٢٢٩) .

ويتحدث حسن البنا عن وسوسة الشيطان لهؤلاء المخالفين كسبب فى خروجهم ، ولا يريد أن يعترف بصراع الآراء والنزول على حكم الأغلبية ، ومن هنا كان الدرس الذى خرج به من هذه الأزمة أن يتخير معاونيه من أقرب الناس إليه وأن تظل مالية الجماعة والعلاقات السياسية الهامة حكرا فى يديه وحده (٢٣٠) .

والرأى الغالب أن الشورى ملزمة لأن الله سبحانه وتعالى وصف مجتمع المسلمين بأن أمرهم شورى بينهم ، وأمر الرسول فقال تعالى : "وشاورهم فى الأمر "فإذا كان الرسول مأمورا بالشورى فغيره عليه السلام مأمور بها من باب أولى ، ومع ذلك نفر حسن البنا من الديمقراطية واعتبرها نظما مائعة ، وقلل من قيمة الشورى فاعتبرها غير ملزمة فأشاع بذلك أسلوبا غير ديمقراطى داخل الجماعة ، مما انعكس بدوره على الفكر النظرى لها فى موقفها من الأحزاب والرأى الآخر .

كتب صالح عشماوى فى ذكرى حسن البنا فى صحيفة الدعوة ١٢ فبراير سنة ١٩٥٢ يقول : "عند أول عهدى بعضوية مكتب الإرشاد ثار البحث : هل الشورى فى الإسلام ملزمة أم غير ملزمة ؟ أى هل يتقيد فضيلة المرشد العام برأى مكتب الإرشاد أم أن المكتب هيئة استشارية للمرشد أن

يأخذ برأيها أو يخالفه إذا شاء . وكان رأى الإمـام الشـهيد أن الشـورى ليسـت ملزمة ، وللمرشد أن يأخذ برأى المكتب ويجوز لـه أن يخالفه . ولوشـاء أن يأخذ رأى الأغلبية فى المكتب لنصرته وأيدته " (٢٣١) .

وفى سنة ١٩٣٩ حدث انشقاق فى الجماعة وذلك حين اتجـه حسـن البنا بجماعة الإخوان المسلمين إلى الإندماج فى السياسـة بشـكل علنـى فظهـر اتجاه معارض ممن يرون أن تقتصر الجماعة فى نشاطها على الشئون الدينية والاجتماعية، واجتمع ممثلو هذا الاتجاه ووجهوا إنذارا إلى حسن البنا وطالبوه بطرد أحمد السكرى لاتجاهاته السياسية وبـأن تقطـع الجماعة كل اتصـالاتها السياسية خاصة مع على مـاهر ، ورفـض المرشـد هذه المطـالب وطـرد مـن وقفـوا ضـده وهددهـم بـإبلاغ البوليس عنهـم إن هـم أذاعـوا أسـرار الجماعة ، وتقول كرستينا هاريس"إنه فى هذا الوقت نما أكثر وأكـثر الطـابع الدكتـاتورى لحسن البنا فى الجماعة" (٢٣٢) .

افتقاد الصف الثانى فى القيادة :

ولقد كانت النتيجة الحتمية لكبـت المعارضـة وإقصائها عـن الجماعـة أولا بأول افتقاد الصف الثانى فى القيادة وتضخم السلطة الفردية لحسـن البنـا – الـذى تنـافس الجميـع علـى كسـب رضـاه – وسـيادة عبـادة الفـرد وإضفـاء القداسة عليه باعتباره الزعيم الأوحد والإمام الملهم .

"وعندما لاتكون ثمة معارضة وتلتقط بذورها تباعا ، وعندما لا يكون ثمة أنداد وترتفع الهامة على سائر القرناء ويصـير البـاقون أتباعـا ، وعندمـا تتجسـد الدعـوة فـى شـخص يصـير رمـزا لهـا ، ويمـارس أعمالـه مـن خـلال الآخريـن ، فـترتد إليـه فضـائلهم ، ولا يبـدو منـه إلا الوجـه النـاصع والسـاعد القادر ويتحمل الآخرون ما يثير النقد ، ويكشف الوهن ، عندئذ يبدو الزعيم – لاككل الناس – جمعا للفضائل وبراءة من العيوب وامتلاء بالحكمـة والكفايـة والاقتدار ، وعندما يمسك وحده بأطراف التنظيم ، فلا يصل خيط بين فرديـن ولا بين جهازين إلا عن طريقه ، يصبـح وحـده الملـم بـالعمل العليم بأسـراره الموجود بذاته فيه دائما ، ويبدو قرين المعرفة ، يفوق البشر ، ويظهر إدراكـه قرين الإلهام ، وعندما تكون الدعـوة سـلفية ، تدعـو لنفسـها باسـم الديـن يبـدو الزعيم إماما تحيطه فى أعين المؤمنين به سمات القداسة" (٢٣٣) .

ويحاول أحد كتاب الجماعة الدفاع عن البنا بنفى انفراده بقرار ملزم لأحد ، وإن من ألصق به هذه التهمة اعتمد على أقوال لبعض أعضاء الجماعة قالوها فى ظل الإرهاب والتعذيب فى السجون والمحاكمات مثل أقوال محمود عبد اللطيف وهنداوى دوير عن دكتاتورية حسن البنا كما يستدل بكلمات حسن البنا فى رسالة "دعوتنا" حين يقول : "نلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا فى بعض الفرعيات ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبدا حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير ، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته : ألسنا مسلمين وهم كذلك ؟ وألسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك ؟ وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا ؟ ففيم الخلاف إذن ؟ ولماذا لايكون رأينا مجالا للنظر عندهم كرأيهم عندنا ؟ ولماذا لانتفاهم فى جو الصفاء ، إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم ؟" (٢٣٤) .

وهذا النص الذى أورده الكاتب لاينهض دليلا لدعواه لأن حسن البنا لا يتحدث به عن خلافات داخل جماعته بل عن الخلافات الدينية والآراء المذهبية بين الجماعات والتيارات الدينية المختلفة أى بين جماعته وبين غيرها من الجماعات فهو لايستطيع أن يفرض رأيه أو سلطته على هذه بينما هو يفرض هذا الرأى وينفرد به بين جماعته ولذلك كان هذا النص دليلا على غير قضية .

أمتصاص طاقات الأعضاء بعيدا عن القضايا الرئيسية :

وكان طبيعيا بسبب الهيمنة الفردية والأسلوب غير الديمقراطى فى التنظيم ونوع التربية السياسية التى ربى حسن البنا الجماعة عليها - أن تتجه طاقات الأعضاء بعيدا عن القضايا الرئيسية الوطنية والاجتماعية ، وأن تبدو جماعة الإخوان كالتيار الشارد منفصلا ومتعارضا مع القوى الوطنية والديمقراطة والتقدمية ومقتربا بدرجات متفاوتة مع السراى وأحزاب الأقلية ، وبذلك استطاعت قيادة الإخوان المسلمين استلاب طاقات جماهير أعضائها - وهى طاقات كبيرة - عن المشاركة الإيجابية فى قضايا الأمة والمجتمع وامتصت ثوريتها ويعبر طارق البشرى عن هذه الحقيقة حين يقول :

"كانت الجماعة تضم قسما من الجماهير والشباب كان يكون له ثقله السياسى الكبير لووجه إلى الطريق الصحيح للثورة وأسهم فى حل المشاكل السياسية والاجتماعية التى كانت تواجه الشعب وقتها ، ولكن الجماعة اختزنت ثورية الآلاف من هؤلاء وامتصت طاقاتهم ووجهتهم إلى غير متوجه . وكان تنظيم الجماعة بأسلوبه غير الديمقراطى من العوامل التى أدت إلى تحكم القيادة فى هذه الجماهير ، كما كان لنوع التربية السياسية التى درب المرشد السابق المحيطين به عليها ، كان لذلك كله أثره فى نجاح قيادة الجماعة فى عزل الكتلة الشعبية العريضة المختزنة داخل الجماعة عن المشاركة فى قضايا الشعب وقضاياها" (٢٣٥) .

تذمر من سيطرة البنا على كل أجهزة الجماعة ، توزيع أعماله لم يكن جادا :

ويتضح من وثائق الجماعة أن هيمنة حسن البنا على كل شئون الجماعة وسيطرته المباشرة على كل أجهزتها كانت مثار تذمر وعدم رضا بين بعض قيادات الجماعة ، ونحن نجد قضية توزيع أعمال المرشد على القيادات المحيطة به ليتفرغ للإشراف العام والمهمات الأهم تتردد فى وثائق الجماعة منذ عام ١٩٣٨ وحتى عام ١٩٤٨ مما يؤكد أن هذا التوزيع لم يكن جادا ، وكان يحدث فقط تحت الضغط وتنفيسا للتذمر الذى يتجمع وطأطأة للرأس حتى تمر العاصفة .

فمجلة النذير فى عددها ٣٢ السنة الأولى فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٥٧هجرية تنشر بيانا من حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين إلى اخوانه وأنصار الدعوة يقول : "أما بعد فبمناسبة انتقال الأخ المفضال أحمد أفندى السكرى إلى ديوان وزارة المعارف بالقاهرة ، قد استخرت الله تبارك وتعالى فى أن أسند إليه الإشراف التام على كل النواحى الإدارية والعملية بالمكتب حتى أجد بعض الوقت للناحية العلمية والإرشادية فأرجو من حضرات الإخوان جميعا ورؤساء الشعب والتشكيلات واللجان وما إليها أن يتعاونوا مع حضرته تعاونا تاما حتى يستطيع النهوض بأعباء ما وكل إليه" .

ويكتب حسن البنا فى مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٣٨-٢٣٩ تحت عنوان "الأستاذ أحمد السكرى فى القاهرة" يقول : "وقد انتقل الأستاذ أحمد السكرى من عمله بمدرسة رشيد الابتدائية إلى ديوان وزارة المعارف خلال هذه السنة ١٣٥٧هجرية ... وبعد وجوده بالقاهرة رأيت أن يقوم عنى بالإشراف على النواحى الإدارية والأعمال اليومية بالمكتب لأتفرغ للرحلة والدرس والمحاضرة وما إلى ذلك من أعمال الدعوة ، وبعثت بهذا الخطاب إلى شعب الإخوان ولجانهم "ثم ذكر نص الخطاب الذى نشرته النذير" .

ونلاحظ أن إسناد هذا الإشراف لأحمد السكرى لم يكن بقرار من مكتب الإرشاد إنما بناء على رأى فردى لحسن البنا "قد استخرت الله تبارك وتعالى فى أن أسند إليه الإشراف التام" ، رأيت أن يقوم عنى بالإشراف" مما يؤكد أن حسن البنا كانت له وحده الكلمة الأولى والأخيرة ، وكان المتصرف المطلق فى شئون الجماعة .

ومع هذا التوزيع الذى تم سنة ١٣٥٧هجرية سنة ١٩٣٨م نقرأ فى رسالة مؤرخة فى ٢٤ من صفر سنة ١٣٥٩ الموافق ٣ ابريل ١٩٤٠م من حسن البنا إلى أحمد السكرى ما يؤكد أن هذا التوزيع لم ينفذ ولم يكن جادا ففى هذه الرسالة يقول حسن البنا للسكرى" فقد كان لحديث الأمس أثره فى نفسى فقد سألتنى لماذا ؟ ولماذا لا أتفرغ للمهمات الأهم وأدع المهمات الصغيرة الخ ؟ ومثل هذه الأسئلة تثير فى نفسى شجنا كامنا وألما دفينا ، ليس أحب إلى نفسى من هذا التفرغ ، ولكن هذه المهام الصغيرة نفسها هى الآن مظهر دعوة الإخوان ودارهم ومحور حركاتهم ، إذا لم ألاحظ المطبعة والجريدة والدار والنظافة والاستقبال وحسن النظام فمن ملاحظ هذا ؟ .
أنا أعلم جوابك ستقول لى : "أنا" أو مثلى .. جميل جدا .
أحب أولا أن نتفق على أهمية هذه الشئون الصغيرة التى نراها نحن فعلا صغيرة ، ليس الآن من يستطيع أن يتروض بهذا العبء إلا أنا أو أنت ولا ثالث لنا ، وأنت تريد أن أتفرغ لغير الشئون الإدارية وأنا أريد ذلك ، وعلى هذا فلم يبق إلا أنت لهذه المهمات" .

ثم قارن حسن البنا بين المهمات فى داخل الدار وبين المقابلات فى الخارج والوساطات والتردد على الأندية التى يبدو أن السكرى كان يقوم بها وأن الجمع بينهما مستحيل وخيره بين هذه أو تلك ثم قال له "لتتحصر

مهمتك فى رقابة الدار وشئونها" ، ولأن الأعمال الخارجية لا يجد فى الدعوة من يتقنها لذلك يقول : "ومن الأسف أنه ليس عندنا من يحسن هذه المقابلات الخارجية ويجيد تمثيل الدعوة تمثيلا صحيحا ... وعلى ذلك فيجب أن تصرف النظر بتاتا عن الخروج والمقابلات ولا تعتبر ذلك عملا" .

ويوجه حسن البنا إليه النصائح حتى يقوم بالأعمال الإدارية بنجاح فيلفت نظره إلى أهمية احترام مواعيد العمل والإحاطة به والإشراف عليه وتوثيق الصلة الروحية بالعاملين والتسوية بينهم والحزم والإسراع فى إنجاز الأمور ويقول حسن البنا "ولقد كتبت لك خطابا من قبل ولاحظت أن أثره كان طفيفا ، إن لم يكن معدوما" .

ثم نبهه إلى بعض الملاحظات التى تتصل بالسلوك العام وهي توجي ببعض الانتقادات التى كان يأخذها حسن البنا على أحمد السكرى فطلب منه أن يتحاشى الظهور بمظهر المقدر للمظاهر فى الناس من حيث وظائفهم ورتبهم ، وأن يتوقف عن تدليل شعبة المحمودية ودمنهور ، وأن يسلك مع الناس الصراحة التامة فى التعابير والمناقشات والمناظرات والنظرات" ويجب أن يشعر محدثك بأن ما تقوله هو ما تؤمن به فعلا وذلك غير متوفر ، وليست الموادة وسيلة الانتصار فى كل وقت ومن هذا أيضا وجوب أن تقصد إلى ما تريد توا من غير تكنية عليه ولا تثبيط فيه" (٢٣٦) .

وينتقد حسن البنا تقصير أعضاء مكتب الإرشاد فى الأعمال والحضور ويشكو من كثرة أعماله رغم أنه يشير إلى تعديل فى المسئوليات بتوزيع بعض المهام على أعضاء المكتب ففى رسالة له فى ٢١ من صفر ١٣٥٩ – أى قبل الرسالة السابقة بثلاثة أيام مما يثير التعجب والتناقض – إلى أعضاء مكتب الإرشاد بالقاهرة يقول :

"ولكنى شديد الأسف حين أقول لكم فى هذا الخطاب إن الهمة كادت تفتر والعزيمة كادت تبرد ولكأنكم كدتم تنسون ما يحيط بنا وإلا فما هذا الذى أرى ، لا أكاد ياحضرات الإخوان أرى الكثير منكم إلا حين جلسة المكتب .

إننى مطالب بعمل كثير جدا هو فوق طاقة رجال لا رجل واحد"

وأخذ يعدد هذه الأعمال من التحرير والمذاكرة للدروس والمحاضرات والإشراف على كثير من الأعمال والرد على كثير من الخطابات والتفكير الدائم فى التوجيه وتصريف ما يجد من حوادث يومية .

"ولقد صرت أحضر إلى الدار يوميا تقريبا بل تحقيقا منذ التعديل الجديد ، رجاء التفاهم مع كثير من حضراتكم فيما أسند إليهم من أمور ، وهم فى بدء مزاولتها حتى يدرسوها ثم أتركهم بعد ذلك ، فكان يؤلمنى أشد الألم أن أقضى الساعات تلو الساعات ولا أحد معى مع الإلحاح الزائد والظروف القاسية التى تقتضينا تنظيم عملنا والتذكير الدائم منى شفاها وتحريرا.....

قيل إننا لا نستطيع العمل لعدم تنظيم الدار وعدم وجود المكاتب ، فنظمناها وأحضرنا المكاتب وجهزنا الغرف ، ولكنها ظلت مكاتب مهجورة" (٢٣٧) .

وهنا نتساءل هل عدم انتظام أعضاء مجلس الإدارة فى الحضور وفى الأعمال ناشىء عن الإهمال ؟ أم ناشىء عن عدم تنظيم الدار - كما يقولون - وأن توزيع المسئوليات كان شكليا وغير جاد ، وأن حسن البنا رغم هذا التوزيع كان مستمرا فى ممارسة أوجه النشاط المختلفة بشكل مباشر متخطيا المسئولين الجدد ؟!

ثم بعد سنوات ثمان تعود قصة توزيع مسئوليات المرشد مرة أخرى ، تحت ضغط متكرر من زملائه فنقرأ فى جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية فى العدد٦٥١ السنة الثالثة الصادر فى ٥ شعبان سنة١٣٦٧هـ الموافق ١٣ يونية سنة١٩٤٨م تحت عنوان "الأستاذ المرشد العام يوزع أعماله وتبعاته ليتفرغ للإشراف العام وغيره من المهام" ما يأتى :

١- ما يتصل بالجريدة والمجلة وصحافة الإخوان وشركة الصحافة يرجع فيه ويسأل عنه الأستاذ صالح عشماوى وكيل الإخوان فى حدود توجيهات وقرارات مجلس الإدارة .

٢- ما يتصل بأعمال المركز العام للإخوان يرجع فيه إلى الأستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام فى حدود توجيهات وقرارات مكتب الإرشاد العام .

٣- ما يتصل بالمركز الرئيسى لجماعات البر (الأستاذ عبد الرحمن الساعاتى) .

٤- ما يتصل بالخدمة الطبية (الدكتور محمد سليمان) .

٥- ما يتصل بشركة الإخوان للطباعة ومطبعة دار النشر الإسلامية (الأستاذ عبده أحمد قاسم) ويشرف على هذه النواحى عن طريق هؤلاء المسئولين المرشد العام .

وتنشر مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية العدد ٢٠٤ السنة السادسة والصادر فى ١٢ شعبان سنة ١٣٦٧هـ ١٩يونيه ١٩٤٨م نفس الإعلان السابق فى ص١٨ وفى العدد التالى من هذه المجلة وهو العدد ٢٠٥ الصادر فى ١٩ شعبان سنة ١٣٦٧هـ ٢٦ يونيو ١٩٤٨ ص ١٠٠٩ تنشر صورة خطاب المرشد العام للمكتب عن توزيع الأعمال تحت عنوان : "هكذا يفهم الإخوان دعوتهم - نماذج من التربية الإخوانية" .

وقال حسن البنا فى نهاية هذا الخطاب : "وإنى فى خدمتكم جميعا على أساسين

١-أن أبذل لكم خالص رأيى على ألا تقيدكم هذه المشورة بشىء فلكم الحرية وعليكم التبعة والمسئولية ، ولن يغضبنى أن تهملوا هذا الرأى وألا تأخذوا به ولكن عليكم أن تطيلوا التفكير والموازنة وتحرى ما هو الخير .

٢-وأن أنفذ لكم ماترون أنه يعينكم على الاضطلاع بتبعاتكم ويؤدى بكم إلى النجاح فى مهمتكم بكل ما أفعله من جهد ووسع" .

وهو فى هذه الخاتمة يعطيهم الحرية فى التصرف وفى الاستفادة من نصائحه دون التقيد بها ولكن فى نفس الوقت يحذرهم ويخيفهم من التبعة والوقوع فى الأخطاء .

ويتضح من هذا العرض لهذه الوثائق أن حسن البنا كان يرى الأعمال الإدارية والإشراف عليها - رغم اعترافه بأنها من المهام الصغيرة - ذات طابع هام فى السيطرة على الجماعة لدرجة أنه شبهها بالأذان "فالأذان ليس إلا جزئية من جزئيات الدين الهينة ولكنه يقاتل عليه ، وإذا لم يجد الإمام مؤذنا فهو المؤذن أليس كذلك - ونحن نريد دارا يسودها النظام وعملا تهيمن عليه الدقة" (٢٣٨) .

وهو لا يثق فيمن حوله للقيام حتى بهذه الأعمال الصغيرة ، ولهذا لم تتخذ هذه التوزيعات المتعددة لمسئولياته التى اتخذها بعد الضغط عليه من زملائه الفاعلية والجدية وكانت هذه القضية تتجدد دائما حتى بعد الإقصاء

المتعدد للمعارضين ، وكان حسن البنا يرى فى هذا التوزيع مجرد ضجة ويشبهه بالسراب الذى يلوح ثم يزول .

فتحت عنوان ضعف الأمين وخباثة القوى تحدث - كما سبق أن ذكرنا - عن أن القليلين هم القادرون على الإدارة وكثيرون لا يفهمون إلا كلمة عضوية مجلس الإدارة ويتنافسون على حيازتها - ذلك حين تحدث إليه بعض القيادات بخصوص نظام مجلس الإدارة ويعلق حسن البنا على التغيير المنتظر بما يوحى بعدم جديته فى هذا التغيير فيقول : " سيتبع التغيير المنتظر ضجات هى كالسراب يلوح ثم يزول بمجرد الوصول إليه (٢٣٩) ولقد كان من المعروف أن قضية توزيع السلطة كانت وراء كل عمليات الفصل التى أجراها البنا .

السيطرة الفردية طبعت النمو الكبير بطابع الشيخوخة السريعة :

وإذا كانت السيطرة الفردية قد ضمنت للجماعة فى البداية ترابطا وانضباطا إذ يؤمن كل من الأعضاء - كما يقول طارق البشرى-"بقيادة الجماعة حسب نظرته هو إليها لا حسب واقعها الفعلى "فقد أدت هذه السيطرة" إلى أن يتسم النمو الكبير للجماعة بطابع الشيخوخة السريعة وكان تضخما أقرب إلى الترهل منه إلى الفتوة كما أدت سيطرة المرشد الشخصية إلى نوع من التقديس للفرد وإلى أن تتعلق الجماعة كلها بخيط واحد هو شخصية زعيمها وإلى أن يجرى اختيار من عداه على أساس الأضعف على المجابهة لا الأقوى وعلى أساس القدرة على الخضوع والتبعية لا القدرة على الإيمان الواعى وكان ارتباط الجماعة بفرد واحد من عوامل النمو السريع لها ولكنه كان أيضا من عوامل الوهن السريع" (٢٤٠) .

ومن هنا ارتبطت جماعة الإخوان من حيث الوجود ونوع النشاط بشخصية البنا ، لذلك كان مقتله ضربة قوية وجهت إليها يتضاءل إلى جانبها كل ما واجهته الجماعة من حل أو اعتقال للكثيرين من أعضائها وتشرذمت الجماعة نتيجة الصراعات الفردية والتجمعات الشخصية بين قادتها .

ولقد عبر أحد قادة الإخوان ومؤرخها المعتمد لديهم عن ذلك

حين قال :
"قد لايعيب الإخوان المسلمون أن يعترفوا بأن اغتيال المرشد العام بالطريقة التى رتبت لاغتياله كان أشد أثرا فى تعريض الدعوة للتبدد والفناء من كل ماووجهت به من أساليب القهر والكبت والعسف والتعذيب – ذلك أن دعوة بلا قيادة هى جسم بلا رأس ... ولايعيبهم إذا قالوا إنهم عانوا من هذا الموقف طويلا أشد المعاناة ... فلقد كان حال الإخوان فى ذلك الوقت حال سفينة غاصة بركا بها عصفت بها الرياح الهوج وهى وسط بحر صاخب مائج موجه كالجبال ، فاختطفت الرياح الهوج أول ما اختطفت ربانها الذى كان ساهرا على قيادتها وتوجيهها ثم أخذت الرياح تلعب بدفتها فترنحت السفينة يمينا وشمالا حتى ألقى بها على صخرة عاتية متشعبة فتحطمت وصار ركابها حيارى لايرون لأنفسهم من الهلاك منجى ولامهربا" (٢٤١) .

لقد تغيرت أشياء كثيرة فى الجماعة بموت حسن البنا

* فالشخصية القوية التى أنشأت الجماعة بنجاح كان اختفاؤها سببا يحد من إمكانيات الجماعة فى النمو .

* وإذا كان حسن البنا يحمل الأعضاء على الثقة به والخضوع لحكمه النهائى وكانوا يقبلون منه رأيه فى وضع الولاء والثقة فى نفس المرتبة فإن أتباعه بعد موته جعلوا الطاعة نابعة من الثقة مما أثر فى قدرة الحركة على الاستمرار بعده لان الثقة حين اهتزت بالمرشد الجديد امتنعت الطاعة وحدثت التمردات داخل الجماعة .

* كانت الجماعة فى حياة البنا تعتمد أساسا على الروابط الشخصية والروحية بين القائد والأعضاء وبعد موته ظهرت فجأة أهمية الدستور ، وقد عبر أحد الأعضاء المعارضين للهضيبى (المرشد الجديد) عن ذلك بقوله : "كان البنا يحكم الإخوان كرب أسرة أما الهضيبى فيحكمهم كزعيم جماعة أو حزب " ويقارن أحد الأعضاء بين حسن البنا ومكانته الفاعلة داخل الجماعة وبين ما آلت إلية الأمور بعد موته بشأن الخلاف حول تشكيل الهيئة التأسيسية فيقول "ليس موجودا الآن الشخص الذى تكفل له مكانته أن يختار أعضاء تلك الهيئة" (٢٤٢) .

* كان حسن البنا يعتمد فى لب دعوته على الصيغ العامة وكانت قدراته الأسطورية فى الخطابة والتأثير لها أبلغ الأثر فى إقناع الأعضاء بهذه



حسن البنا سببا لـ :
انشقاقات الجماعة

حدثت انشقاقات عديدة في صفوف جماعة الإخوان المسلمين وكان لكل من هذه الانشقاقات أسبابه ومع ذلك فقد كان السبب الرئيسى والقاسم المشترك لهذه الانشقاقات هو انعدام الشورى وانفراد حسن البنا بالسلطة داخل التنظيم .

كان أول هذه الانشقاقات ما حدث فى الاسماعيلية .

وكان ثانيها : ما حدث فى القاهرة سنة١٩٣٨ بعد انتقال مركز الدعوة إليها بعدة سنوات من اتجاه متطرف يعترض على كل ماتتخذه الدعوة من أساليب .

وثالثها : حدث سنة١٩٤٠ بعد أن اتجهت الدعوة إلى الانغماس فى السياسة الحزبية والتحالف مع الشخصيات الانقلابية والقصر ، وكون المنشقون ماعرف "بشباب محمد" .

ورابعها : الانشقاقات والاستقالات حين هادنت الجماعة صدقى باشا وانقلبت ضد الحركة الوطنية .

وخامسها : قرارات الفصل والاستقالة لبعض قيادات الجماعة الذين رفضوا أسلوب البنا فى معالجة الاتهامات الأخلاقية التى نسبت إلى صهره عبد الحكيم عابدين .

وسادسها : انشقاق السكرى على الجماعة وماصحبه من استقالات عديدة لكثير من الأعضاء فى مختلف المحافظات .

ولنلق الآن الأضواء على هذه الانقسامات .

١- انشقاق الاسماعيلية

وقد سبق أن أشرنا إليه حين تحدثنا عن انفراد البنا بالسلطة وخلاصة هذا الانشقاق أن حسن البنا قبل أن ينتقل إلى القاهرة رشح نجارا يدعى الشيخ على الجداوى لكى يحل محله فى قيادة الجماعة فاعترض على ذلك أحد الأعضاء ، وكان عالما متعدد المواهب - كما يذكر البنا - ويحمل شهادة العالمية ويرى أنه الأحق بهذا الترشيح ، وناصر هذا العضو عدد ليس بالكثير ، ولكنهم أحدثوا للجماعة - وهى فى بداية نشأتها - صدعا استمر يطارد حسن البنا حتى بعد انتقاله إلى القاهرة ، وأخذوا يقدمون الشكاوى التى تشكك فى أهداف الجماعة وطبعوا النشرات التى تتهم حسن البنا بالاستبداد وتتهم الجماعة بفقدانها لنظام الشورى ، كما تتهم الجمعية العمومية ومجلس إدارة الجماعة بالانصياع والطاعة العمياء لحسن البنا ، وقد اتهم حسن البنا بأنه حرض بعض أنصاره لضرب زعيم المنشقين كرد على الاتهامات التى كان يلاحق بها حسن البنا حتى وهو فى المدرسة التى نقل إليها فى القاهرة وقد أبدى حسن البنا اندهاشه وتعجبه حين طالب هؤلاء المعترضون أن يتم اختيار نائبه فى الاسماعيلية أمام الجميع حين قال"الواقع أن هذا المظهر كان جديدا وغريبا على أوضاع الإخوان التى لم تعرف إلا الوحدة الكاملة والاندماج الكامل فرأى أحدهم هو رأى جميعهم (٢٤٤) .

٢- الانشقاق الثانى

حدث سنة ١٩٣٨ وقد قام به بعض طلبة الجامعة ومعهم محمد أفندى عزت حسن مندوب مكتب الإرشاد بالقليوبية وكان يعمل معاون سلخانة قليوب ، هؤلاء كانوا من أعضاء الكتائب الذين تأثروا بالجرعة الصوفية والنظام التربوى العنيف الذى أخذهم به الأستاذ حسن البنا فاندفعوا فى جلوة روحية يرفضون كل أساليب الجماعة التى تعتمد التدرج والمراحل يريدون أن يتخطوا رقاب الزمن ليحققوا كل آمالهم دفعة واحدة .

وقد حدد أحد قادة هذه الجماعة - ويدعى أحمد رفعت - وكان طالبا بكلية التجارة مطالبهم فى جلسة ضمت صفوة الإخوان فى ثلاثة بنود :

"الأول": يرى أن الإخوان تجامل الحكومة وتتبع معها سياسة اللف والدوران ويجب عليهم مواجهة الحكومة بالحقيقة التى قررها القرآن فى قوله تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" .

"الثانى": موضوع المرأة وإلزامها حدود الإسلام فى عدم التبرج والاحتشام ويرى أن الإخوان اكتفوا بالنصيحة دون العمل ، ويرى أن يوزع الإخوان أنفسهم فى شوارع القاهرة يلطخون ثياب المرأة المتبرجة بالحبر .

"الثالث": موضوع فلسطين فالوقوف عند حد الدعاية وجمع المال تقصير فى حق القضية وقعود عن الجهاد ، وعلى الإخوان أن يتركوا أعمالهم ويتطوعوا فى صفوفهم وإلا كانوا من الخالفين .

وقد لقيت دعوة أحمد رفعت من كثير من الأعضاء أذانا صاغية واستجابة سريعة حتى من بعض عقلاء الإخوان فازداد عدد مؤيديه وقد أحدثت هذه المجموعة ارتباكا وشللا فى الجماعة ، فهم لا يتركون اجتماعا عاما أو خاصا ينعقد فى دار المركز العام إلا وفرضوا أنفسهم عليه وتحدثوا فيه بالأسلوب المهاجم فأحمد رفعت يتحدى الأستاذ المرشد مباشرة ويوجه إليه ألفاظا نابية ويخاطبه بأسلوب لايليق به ، ثم ازدادوا تطرفا فصار هو وشيعته يسبون الأستاذ المرشد ويوجهون إليه الشتائم .

وقد نتج عن ذلك أن تعطل نشاط المركز العام فتوقفت الاجتماعات والدروس حتى محاضرة الثلاثاء

وقد ذكر مؤرخ الإخوان أن بعض الأعضاء تصدى للرد على أحمد رفعت فى المطلبين الأولين : فمواجهة الحكومة تكون بعد توفر عاملين (١) توعية الشعب بالحقائق الإسلامية (٢) اكتساب الدعوة قوة شعبية تستند إليها والدعوة لازالت وليدة وبدون هذا يكون انتحارا ، وبالنسبة لموضوع المرأة فهذا أسلوب غير مفيد بل يؤدى إلى القبض على الإخوان . أما موضوع فلسطين فقد رد المرشد بخطاب من مفتى فلسطين بأنهم ليسوا فى حاجة إلى متطوعين والدعاية هى القدر المطلوب (٢٤٥) .

وقد عاش الإخوان هذه المحنة قرابة النصف عام وانتهت بفصل وتنحية بعض قادة هذه المجموعة فقد نشرت مجلة "النذير" فى العدد الثانى من السنة الأولى الصادر فى ٦ ربيع الثانى سنة١٣٥٧هـ عدة قرارات لمكتب الإرشاد العام .

الأول بفصل الأخ محمد أفندى عزت حسن من مندوبية القليوبية وبذلك زالت عنه صفة عضوية المكتب .

والثانى إيقاف الأخ حسن أفندى السيد عثمان من عضوية المكتب كذلك ومن الكتيبة الأولى .

والثالث قرار الأستاذ المرشد بتنحية الأخوين صديق أفندى أمين وأحمد أفندى رفعت عن معسكر الكتيبة الأولى وذلك لاتجاههم اتجاهات تخالف فكرة الإخوان وبذلك صار هؤلاء الإخوان مسئولين عن تصرفاتهم ، ولايمثلون الجماعة فى شىء منها حتى يصدر بشأنهم قرار آخر (٢٤٦) .

وقد رد محمد أفندى عزت حسن على قرار فصله ببيان أيده فيه ثلاثة من الإخوان وقد وزعه على كثير من الأعضاء هاجم فيه الجماعة وطالب الأعضاء ببيعته فنشرت مجلة النذير فى عددها الرابع من السنة الأولى الصادر فى ٢١ ربيع الثانى سنة ١٣٥٧هـ بيانا من مكتب الإرشاد العام بتوقيع عبد الحكيم عابدين سكرتير المكتب ذكر فيه تحليلا من وجهة نظر مكتب الإرشاد لدوافع محمد عزت فى هجومه على الجماعة فقال : "إن أساس ذلك كله بضعة رؤى وأحلام ومنامات رآها عزت أفندى فاغتر بها واعتقدها وأراد أن يتحكم بمقتضاها فى سير الدعوة ، وأن يدعى حق الإشراف على مناهج الإخوان وأن يطلب بيعتهم لنفسه كما ذكر فى خطابه ، وأن يحملهم حملا على عقائد باطلة لا تتفق مع الإسلام الحنيف وعلى آراء

شاذة لا تستقيم مع المنطق السليم ... وتابعه على ذلك ثلاثة من الإخوان هم حسن أفندى السيد عثمان الطالب بكلية الحقوق وصديق أفندى أمين وأحمد أفندى رفعت الطالبان بكلية التجارة عن انخداع وطيب قلوب ... وكرر المكتب لهم جميعا النصيحة فأبوا إلا أن يتحدوه ، فأعلن فصل عزت حسن من عضويته وفصل صديق ورفعت من عضوية الكتائب وإقصاءهم جميعا عن محيط الإخوان" (٢٤٧) .

ويواصل مؤرخ الإخوان المعتمد لديهم إلقاء نفس الظلال والتهم على أحد قادة هذه المجموعة وهو أحمد رفعت فيقول عنه"وقد وصل الغرور بأحمد إلى حد الادعاء بأنه يتلقى تعليمات وأوامر تلقيا مباشرا من رسول الله فى الرؤيا .. ثم فى اليقظة وكانت هذه الأوامر والتعليمات كلها منصبة على أن الإخوان المسلمين قد تخاذلوا عن القيام بدعوتهم وأنهم خانوا الدعوة وأن الرسول عليه الصلاه والسلام قد اختار أحمد رفعت للقيام بأعباء الدعوة ثم أدعى أنه صلى الله عليه وسلم يحضر معه الغذاء ويتناول معه الطعام ويتلقى منه الأوامر والتعليمات على المائدة " وعن التفاف بعض الأعضاء حوله وتعصبهم له وتهديدهم لكل من يعارضه يقول" وبدا لنا أحمد كأنما هو شيخ حوله مريدوه " ويذكر مؤرخ الإخوان أن أحمد رفعت اصيب بما يشبه الجنون وأنه سافر إلى فلسطين لينضم إلى المجاهدين فى محاربة الانجليز واليهود ولقى مصرعه فى الطريق (٢٤٨) .

وكان مؤرخ الإخوان قد وصف هذه المجموعة قبل ذلك بقليل بصفاء النفوس وشفافيتها وبسمو الروح حتى شبههم بالملائكة فقال : "لم تنشأ هذه الفتنة عن فساد فى النفوس أو ضعف فى الأخلاق أو استهتار بالدين ، ولا عن تسابق إلى مغانم أو تلهف على عرض من أعراض الدنيا ، وإنما نشأت بين مجموعة بلغت نفوسها من الصفاء درجة الشفافية ، وسمت أرواحهم حتى حلقت مع الملائكة ... لا أعتقد أنه كان على وجه الأرض فى ذلك الوقت قوم أصفى نفوسا ولا أنقى قلوبا ولا أعلى همما، ولا أشد حبا للإسلام ولا أسمح بالنفس والمال فى سبيله من هذه المجموعة التى أوقدت نار هذه الفتنة وكانت هى وقودها" (٢٤٩) .

ويستخرج مؤرخ الإخوان الدروس التى تعلمتها الدعوة من هذه التجربة وهى :

١-أن اتخاذ الحماس مقياسا للثقة أمر يجب أن يعاد فيه النظر
٢-أن اللين وإن كان صفة يجب أن تتحلى بها القيادة فى كل أطوارها فإن هناك مواقف تحتاج إلى الحسم .
٣-أن الدعوات يجب أن تكون أشد حذرا على نفسها من أتباعها المقربين منها من حذرها على نفسها من أعدائها الخارجيين ، فإن أتباعها أقدر على إصابتها فى مقتل (٢٥٠) .

وعلى هذا الانشقاق علق حسن البنا فى خطابه فى المؤتمر الخامس المنعقد سنة١٩٣٩ تحت عنوان "مصارحة" بأسلوب غاية فى البلاغة والعمق وبعد النظر ورهافة الحس فيقول : "أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم : اسمعوها منى كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمركم هذا الجامع .. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول ، أجل قد تكون طريقا طويلة ولكن ليس هناك غيرها - وإنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه فى ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ، ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره فى ذلك على الله ، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين ، إما النصر والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة . أيها الإخوان المسلمون: ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولاتميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر ، وماهى منكم ببعيد" (٢٥١) .

٣-انشقاق مجموعة من الإخوان كونت "شباب محمد"

وقد أعلن المنشقون تكوين "جماعة شباب محمد" فى ٩من ذى الحجة سنة ١٣٥٨هـ الموافق ينـاير ١٩٤٠م بعد خلاف طويل بينهم وبين سياسة الجماعة التى يرسمها الشيخ حسن البنا حيث دعوا الى التطرف ورفضوا سياسة المراحل في مقال بعنوان الدعوة المتطرفة هى مايجب أن يعتصم به المسلمون بقلم حسين يوسف ، واتهموا الجماعة بالفساد وبالاعتدال والتساهل والجمع بين المتناقضات فهى تضم إليها " من دعا إلى الأديان كلها ومن تعصب للقومية المحلية ثم الوحده العربية ثم الجامعة الإسلامية ، وبين المؤمن الصادق والملى والمنافق وبين دعاة التمسك بالتقاليد وبين دعاة السفور، وقد فرحت لكل من هب ودب "(٢٥٢) وعابوا على الإخوان عزمهم على دخول المعارك الانتخابية واعتبروا ذلك سعيا للرياسة والسلطان والشهرة (والإسلام لايقر الولاية لطالبها وإنما هى فرض على الأكفاء والمطالبة بها مظهر من مظاهر حب الحياة والعلو فى الدنيا ، وهو من الآفات التى تحبط صالح الأعمال ، ولايليق أن يتصف بها المؤمنون الصادقون) (٢٥٣) .

واعترضوا على قبول الإخوان معونة مالية من وزارة الشئون الاجتماعية وهم يعلمون أن هذه المعونة هى حصيلة ضرائب الملاهى والحانات والمراقص ، واتهموا الجماعة بقبول أموال سرية من الحكومات الحزبية وبنشر صحفها لإعلانات السينما والمسارح (٢٥٤) .

وقد لخصت مجموعة شباب محمد خلافاتها مع جماعة الإخوان المسلمين فى بيان موقع من ١٧ شخصا بعنوان : "غضبة فى سبيل الله ، موقفنا النهائى من جمعية الإخوان المسلمين" وقد نشرته فى مجلة النذير بعددها الأول فى السنة الثالثة فى أول محرم سنة ١٣٥٩هـ ٩ فبراير سنة١٩٤٠م وتحدث البيان عن أربع نقاط للخلاف وهى :

١-**الشورى** : يرى فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين أنه لاشورى فى الدعوة وأن الدعوة إنما ينهض بها فرد واحد له أن يأمر وعلى الجميع أن يطيع ، وقد خالفناه فى هذا الرأى ، وأصررنا على موقفنا ، لأن فى رأى فضيلته مخالفة للنظام السياسى للإسلام وتحديا لمصدريه العظيمين الكتاب والسنة .

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) "وأمرهم شورى بينهم " حاولنا أن نتفاهم مع فضيلته كثيرا فأبى إلا أن يكون رأيه الفصل ولو كان فى ذلك إقصاء للمخلصين من الإخوان المسلمين ، ثم عاد إلى التعلل أخيرا بأنه لم يجد في الإخوان من هو أهل للشورى ، وهذا ما لا نقره عليه .

٢-**العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله:** من مبادىء الإخوان المسلمين أن لا نجاح للدعوة إلا بقوة الشعب الذاتية ، وتوجيه الرأى العام توجيها إسلاميا خالصا دون الاعتماد على الحكام ، ولكن الأستاذ حاد عن هذا المبدأ القويم معلنا أن نجاح الدعوة مرهون بإرضاء الحكام والعمل تحت ألويتهم الحزبية ، وأخذ يسلك سبلا متفرقة ما بايعنا الله عليها ، متناسيا ألا أمل للإسلام فيهم ، وأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله ... عارضنا هذا بكل قوة مرددين أقوال فضيلته بأننا إسلاميون غير حزبيين ، وأننا نعمل لله ولرسوله لا لزعيم ولا لحزب مدعمين هذا بخطبه فى المناسبات الكثيرة وبمقالاته فى صحف الإخوان ، فأبى إلا العمل برأيه وأصر على المضى فيه.

٣-**التلاعب المالى:** طلبنا من فضيلته تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه لتكون مسئولة أمام الإخوان المسلمين فأعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول .. وكان من نتيجة عدم الأخذ بهذا الرأى أن أنفقت أموال كثيرة لا نقول فى أغراض شخصية ولكن على الأقل فى غير الأغراض التى جمعت من أجلها (وأعطى البيان أمثلة من سوء التصرف المالى : كالمبالغ التى جمعت من اشتراكات سهم الدعوة سنة١٩٣٩ وصرفت كلها مع أن القانون المالى لهذا السهم يقضى بأن يكون نصف هذه المبالغ على الأقل باقية فى خزانة الجماعة وأعطى البيان مثلا آخر وهو الأموال التى جمعت من الشعب لمساعدة فلسطين فى محنتها ولم تصل كل هذه المبالغ لفلسطين ولكن جزءا كبيرا منها أنفق فى شئون الجماعة الخاصة باعتراف الأستاذ المرشد) ولا يرى فضيلته فى ذلك مانعا شرعيا ثم عاد وقال بعد أن سمع من أحد الإخوان حكم الشرع فى هذا ، إنه مستعد لجمع هذا المبلغ وإرساله .

٤-**تطهير الدعوة :** ألحفنا على فضيلته ورجوناه غير مرة أن يحرص على طهارة الدعوة بإقصاء كل الأعضاء الذين تشوب أخلاقهم الشوائب ... وكان من بين هؤلاء الأعضاء أشخاص اعترف فضيلته فى

أحاديث متعددة – بعد أن تبين من تحقيقات أجراها بنفسه – بأن فى وجودهم إضرارا بسمعة الدعوة من الناحية الخلقية ، ولكنه أصر على إبقائهم ، فضلا عن أنه أسند اليهم أعمالا رئيسية وأخذ يشيد بذكرهم فى رحلاته إلى الصعيد وغيره" .

وأكد البيان أن الاختلاف كان على المبادىء العامة وأنهم لم يلجأوا إلى دعاية شخصية ثم يقول :

"هوجمنا أشد المهاجمة وعودينا أشد المعاداة فلم نقابل العدوان بمثله بل كنا نردد قوله تعالى : (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين) غير أن هذا الموقف الهادىء نفسه لم يعجب فضيلة الأستاذ ، فقد أعلن – وقد راعه تأييد الإخوان المسلمين المتوالى لموقفنا – بأنه لايستطيع العمل معنا على هذه الأسس التى نتمسك بها بحق كل الاستمساك ،ويأبى بكل قوة أن يجيب على أية واحدة منها ، ولذلك فقد أعلن فصلنا من جماعة الإخوان المسلمين ... ولما كان الجهاد فى سبيل الله والعمل تحت راية رسوله لايتقيد بأمكنة ولا أشخاص . فقد عزمنا على السير فى طريقنا" والموقعون على هذا البيان هم :

محمود أبوزيد عثمان المحامي ومدير "النذير" وعضو مكتب الارشاد العام سابقا

السيد عثمان المراغى:مندوب شعب الأقاليم

محمد الحسينى عبد الغفار:مندوب شعب القاهرة ومندوب كلية الشريعة

يوسف غنيم مندوب شعبة أسيوط

على سامى النشار: ليسانسيه فى الفلسفة وعضو لجنة تحرير النذير

محمد حسين أبوسالم: عضو لجنة الطلبة والعمال العامة

عز الدين عبد القادر : مندوب كلية الصيدلة

محمد عزت حسن: مندوب كلية الهندسة

تميمى حمزة فراج: مندوب الطب البيطرى

عبد العال رشوان: مندوب الفنون التطبيقية

راغب خيرالدين: المدرس بالجمعية الخيرية الإسلامية

محمد حمصى: المهندس بالقناطر الخيريه

محمود حسن جدامى: كلية الزراعة
حسين عوض بريقى: كلية الحقوق.
أحمد عامر: كلية الحقوق
عبد المجيد النجار: كلية التجارة
محمد فهمى عبد الوهاب: الفنون التطبيقية
محمد على المغلاوى: سكرتير لجنة الطلبة والعمال العامة وعضو مكتب الإرشاد سابقا (٢٥٥).

ويتضح من هذا البيان أن الخلاف يتركز بين فكر هذه المجموعة وبين فكر حسن البنا مما يؤكد سيطرة البنا على الجماعة سيطرة كاملة جعلت المنشقين يتهمونه بالدكتاتورية و بتعطيل مكتب الشورى العام لمدة عام مع أن المقرر عقده كل شهر ، وبأنه وحده المتصرف فى سياسة الجماعة .

وقد رد الأستاذ حسن البنا على بيان مجموعة "شباب محمد" ببيان طبع فى نشرة خاصة بعنوان : "إلى الذين تخلفوا عن الصف" قال عن نشأتهم فى جماعة الإخوان المسلمين إنكم نشأتم فى روضها، ودرجتم فى عشها وتعلمتم الغيرة على الإسلام من دعاتها ، وإليكم كلمتى فيما ذكرتم لا حرصا على الرد ولكن تبيانا للحق" ووصف بيانهم بأنه التجنى "الذى نهيتكم عنه وحذرتكم إياه ، والذى مازدتم به على أن نقضتم عهدكم وعققتم أباكم وخاصمتم إخوتكم وقللتم عددكم وأوهنتم جلدكم وأضعفتم قوتكم ، وحاولتم صدع بناء شاده الله وهو عليه حفيظ " وذكر أنه كان يود منهم غير هذا بأن يتجهوا إلى الميادين النافعة " وتعهدت لكم بمساعدتكم .. إن سلكتم هذه السبيل وأخذ يرد على نقاط بيانهم :

(١) فبالنسبة للفصل قال يسرنى أن تعلموا أنكم الذين ألحفتم فى طلب الفصل.
(٢) وبالنسبة للشورى أنكر اتهامهم وأنكر أن يتحكم فرد تأثر بدعايته سبعة عشر فردا فى بقية ألف فرد هم إخوان القاهرة "وقد دعوتكم إلى الجمعية العمومية للإخوان بالقاهرة لتعرضوا عليها آراءكم وتطلبوا إليها ما تريدون فأبيتم هذا ولازلت أدعوكم إليه فالشورى ماثله فى كل عمل من أعمالنا والحمد لله كما أرادها الإسلام وصورها " ، وبعد أن أكد وجود الشورى داخل الجماعة فسرها بما يجعلها مجرد رأى استشارى ليس ملزما فقال : "

والشورى الإسلامية ليس فيها أغلبية ولا أقلية فالإمام يستوضح الآراء وهو أمين عليها ، ثم يأخذ بما يتبين له منها جميعا فينفذه وفق أحكام الإسلام وهو مسئول بعد ذلك عن نتائج سياسته ... وبعد فنحن في دور تكوين وتربية والتكوين والتربية في حاجة إلى التوجيه الحازم والبعد عن الخلاف في الرأى والانقسام في النقاش .

(٣) وبالنسبة للتلاعب المالى فقد ذكر أن نصف سهم الدعوة أنفق في تجديد مطبعة الإخوان المسلمين وهذا يتفق مع قرار جمع سهم الدعوة فقد أجاز للمكتب أن يستخدم هذا النصف في عمل تجارى ، وعن الأموال التى جمعت لفلسطين ذكر أن مصروفات الجماعة الخاصة بأعمال الدعاية لقضية فلسطين ولجمع هذه النقود قد وصلت إلى أكثر من المبلغ الذى لم يسلم إلى فلسطين .

(٤) وعن العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله نفى ذلك ، وفى نفس الوقت قرر أن توجيه الدعوة للحاكمين من أنفع الأشياء فإن الله يصلح بالواحد منهم أمة لو أصلحه الله .

(٥) وعن تطهير الدعوة من الأعضاء الذين تشوب أخلاقهم الشوائب رد بقوله : "لقد أصغيت إليكم ودرست ماقلتم وتبينت مبلغه من الصحة ، فإذا هو اتهام واه منهار لا أساس له ولادليل عليه ، وماكنت لأدع يقينى لشككم " (٢٥٦) .

وذكر حسن البنا في نهاية رده أن هذا هو بيانه الأول والآخير في هذا الموضوع ، ولكن مجلة النذير في عددها الثالث من السنة الثالثة الصادر في ١٦ محرم سنة ١٣٥٩ هـ ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٠ م نشرت بيانا باسم الهيئة العامة لشباب محمد للرد على الأستاذ حسن البنا بعنوان "البيان الأخير : تشويه الحقائق في بيان الإخوان المسلمين " .

فذكروا أن الأستاذ حسن البنا "شوه في بيانه الحقائق الثابتة تارة وتغافل عن بعضها طورا محاولا بعد ذلك كله أن يحصر ما اختلفنا عليه في نواحى شخصية ضيقة مبتغيا من وراء ذلك التغرير بالبسطاء والسذج " ، ووصفوا بيانه بأنه مجرد " أساليب شعرية وعبارات خطابية " وأنه يدعى لنفسه ألقابا كاذبة " ويعلم الله كذلك أى الأشخاص كانت تستغويها ألقاب التقديس والتفخيم والزعامة والقيادة والولاية ؟! ، وأى الأفراد كانت تحدثه نفسه بالجاه والسطوة والسلطان قبل أن تحدثه نفسه بالجهاد والتضحية والصبر

على المكاره ؟ ، وأى الأفراد كان يخشى أن يرى بجانبه شبابا يعمل في قوة وحزم متخيلا أنه ينافسه فى زعامته ويزاحمه فى إمامته ؟! "

ثم يعقب البيان على النقاط الأربع التى رد عليها البنا :

(١) فعن الشورى يذكر البيان البنا بما كان يوحى به إلى الإخوان من أن نظام الإسلام ديكتاتورى شورى ويصف البيان هذا بالتناقض والخطأ من الناحية اللفظية وبالجهل بنظام الحكم فى الإسلام لأن الإسلام أول من قرر أن الأمة مصدر السلطات وأن الإمامة عبارة عن تعاقد بين الإمام وأهل الحل والعقد ، " لهم أن يعينوه ولهم أن يحاسبوه على أن يقرر ذلك أغلبية منهم أو إجماع ولكنك لم تأخذ بهذا وعطلت مكاتب الإرشاد " ، ومكتب الشورى العام الذى لم يجتمع على الإطلاق ، ولم يكن للجان حق الشورى فيما سوى الإجراءات الإدارية ، " أما سياسة الجمعية فكانت لك وحدك " ، ونفى البيان نفيا قاطعا أن حسن البنا دعاهم إلى الجمعية العمومية للإخوان بالقاهرة .

(٢) وعن التلاعب المالى قالوا إن البنا يشوه الحقائق فتجديد المطبعة لم يذكر فى التقرير الإجمالى الخاص الذى وزع على خلاصة الإخوان فى هذا العام مع أن هذا التقرير فيه حسابات مفصلة وقد ذكر فيه حسابات المطبعة منفصلة عن حسابات سهم الدعوة ، وفند التعقيب أيضا ما رد به البنا على الأموال التى جمعت لفلسطين .

(٣) وعن العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله فقد أكد التعقيب على اتصال حسن البنا بحكومات سابقة " ولقد خرج بسببها كثير من الإخوان " ، وإن الاتصالات الأخيرة ناقشناكم فيها الحساب وفصلنا على أثر هذه المناقشة ، ولقد وصفت هذه الاتصالات بأنها "أخطاء وقعت ولن تحصل عودة إليها" .

(٤) وعن تطهير الدعوة وإنكار البنا للاتهامات الأخلاقية فقد ذكروا له " أن أحد الإخوان حوكم أمامك لمسائل خلقية نسبت إليه وكان مقدماه للمحاكمة الأستاذ صالح العشماوى ومحمد افندى المغلاوى وحكمت أنت بإقصائه عن الدار لمدة ستة أشهر ، إنك تنكر الآن كل هذا وتقول إنه لم تحدث محاكمة .. وإنك أصدرت أمرك بالإبعاد لإرضاء الأخوين صالح عشماوى ومحمد المغلاوى " ،-وذكروه بأنه كلف هذا الشخص نفسه بالاعتكاف والصوم مدة من الزمن لأنه حاول الإقدام على عمل يتنافى مع طهر الدعوة فى إحدى الكتائب ، كما ذكروا له أن أحد الإخوان حوكم لقيامه بأعمال مريبة اعترف

بها ومع ذلك مازال إلى الآن يشغل مركزا رئيسيا فى الجمعية واختتم التعقيب باتهام البنا بأنه " لم يكن أمينا على الحوادث فشوهها أشد تشويه " (٢٥٧) .

ولقد نشرت "النذير" العديد من المقالات التى تدين البنا ومن هذه المقالات مانشرته النذير فى عددها الثانى للسنة الثالثة الصادر فى ٨ محرم سنة ١٣٥٩ هـ ١٦ فبراير سنة ١٩٤٠ م بعنوان " سلم الاستبداد بين الأمس واليوم حول نظرية التفويض الإلهى فى الإمامة والحكم " بقلم أحد المنشقين وهو محمد حسين أبو سالم ، يتحدث عن البنا فيقول : " وكم كانت صدمة شديدة على نفسى أن سمعت إماما فى جماعة إسلامية وداعيا فى دعوة محمدية يرجع ببصره إلى تلك النظرية (التفويض الإلهى) وتتوق نفسه إلى استغلالها فيقول فى نفر من جنوده على مرأى منى ومسمع إنه تسلم الراية من رسول الله فهو بهذا مؤيد من الله ورسوله فليس لأحد أن يحاسبه أو يراقبه أو يتصرف فى دعوته مادام حيا لا بل وليس لأحد أن يقوم بدعوات كدعوته أو أن ينافسه فى سلطته لأن رايات رسول الله لا تتعدد ، فهو بهذا لايحاول أن يحتكر السلطة فى دعوته وبين جنوده فحسب ، ولكنه يريد أن يحتكر الدعوة الإسلامية عامة .. ولما كان هذا استغلالا للسلطة باسم الدين وابتلاعا لحقوق الناس باسم الدين !! ، وهدما لمبادئ الإسلام فى الإمامة والسياسة والحكم باسم الدين ! ، لذلك قاومته وعارضته " ، ثم ذكر أن سلطة الإمام إنما تستمد من جنوده بالبيعة العامة وإن للبيعة حقوقا على الإمام (٢٥٨).

وقد كتب **حسين يوسف** رئيس الجماعة المنشقة عدة مقالات يهاجم البنا ومنها مقال بعنوان " لن نرجو حكما ولن نمالئ حكاما ولن نخشى إلا الله " ، فى النذير الصادر فى ٨ صفر سنة ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠/٣/١٨م اتهم فيه البنا بممالأة الحكام وأنه فى ذلك لا يختلف عن هؤلاء الحكام الذين جمعوا بين الدعوة للاستقلال والرضا بالاحتلال (٢٥٩) .

وقيل إن واحدا من المنشقين قد حاول الاعتداء على حياة البنا سنة ١٩٣٩ لهذا السبب (٢٦٠) .

وقد طالب المنشقون حسن البنا بالالتزام بما سبق أن أعلنه من عدم التورط مع الأكابر والأعيان والأحزاب والجماعات السياسية ، كما طالبوه بفصل أحمد السكرى الذى يقوم بدور ضابط الاتصال بين الجماعة وعلى

ماهر ، وكان هذا يعنى العداء للوفد والتقارب مع حكومات الأقلية فى مقابل أن منحت هذه الحكومات للإخوان المزيد من الامتيازات وقد رفض البنا هذه المطالب لأنه كان راغبا فى دخول ميدان السياسة وما يصاحبه من خصومات (٢٦١) .

ويذكر كتاب الاتجاهات السياسية والدينية فى مصر الحديثة : " إنه فى عام ١٩٣٩ اجتمع جماعة من أفضل ممثلى الإخوان ووجهوا إنذارا إلى المرشد الشيخ حسن البنا بطرد أحمد السكرى لاتجاهاته السياسية وبقطع الجماعة كل اتصالاتها السياسية خاصة مع على ماهر .

ولكن المرشد رفض قبول الإنذار وطرد من وقفوا ضده وهددهم بإبلاغ البوليس عنهم إن هم أذاعوا أسرار الجماعة ، وكان بعض هؤلاء المعارضين ينتمى إلى الوفد ويفضل الارتباط فى العمل السياسى بالوفد لا بعلى ماهر ، كما ذكر الكتاب أن من الشواهد ما يثبت أن البوليس كان يحمى حسن البنا بتعليمات من السلطات العليا .

وتقول "كرستينا هاريس" إنه في هذا الوقت نما أكثر وأكثر الطابع الدكتاتورى لحسن البنا فى الجماعة وأصبح واضحا أنه ينوى قيادة الحركة فى ميدان السياسة (٢٦٢) .

وهاجمت "النذير" حسن البنا لأنه يكرس جهوده فى كتابة المذكرات وإلقاء الخطب فى مقال بعنوان " الوطنية الزائفة – حول سياسة الخطب والمذكرات بقلم محمد حسين أبوسالم (٢٦٣) ، ونشرت " النذير" بيانا لشعبة أسيوط يهاجم المرشد العام ويتهمه " بخيانة العهود ونقض المواثيق وارتكاب الآثام " ، وإن أعماله " قد فرقت بين الإخوان وشتتت شملهم " ، وذكرت "النذير" أن هذه الشعبة قد انشقت على الإخوان وأنه لا صلة بين هذه الشعبة وبين شباب محمد (٢٦٤) ، ولكننا نلاحظ أن من بين الموقعين على بيان " غضبة فى سبيل الله " مندوب شعبة أسيوط ويدعى يوسف غنيم .

وتنشر "النذير" الاحتجاجات على فصل المنشقين والتأييد لهم من بعض الأعضاء ، وأحد هذه الاحتجاجات تحت عنوان " مواكب المجاهدين" لطالب بكلية الحقوق والاحتجاج مرسل إلى حسن البنا لفصل الإخوان الأطهار لرجولتهم وإخلاصهم للدعوة " ومطالبتكم بالتمسك بمبادىء الإخوان كما

فهمناها منكم فى بادئ الأمر لابحسب تطورها الأخير " ، ويقدم صاحب الاحتجاج استقالته من الجماعة .

وخطابات أخرى مرسلة إلى محمد افندى السعيد المغلاوى أحد المنشقين يقول فيه أحدهم إن أشد ما يؤلم النفس أن تتدهور الجماعات الإسلامية إلى هذا الحد ، ويؤيد المنشقين لأنهم ينهون عن المنكر " وأى منكر أشد من التغرير بالمسلمين فى هذه الأيام العاصفة " (٢٦٥) .

ونشرت "النذير" أيضا أن رسائل كثيرة قد وصلتها من إخوان كثيرين حول الصلح بينها وبين الإخوان المسلمين ، وترد "النذير" بأنه قد حدثت عقب الانشقاق مساعى كثيرة فى هذا الصدد وباءت بالفشل لإصرار الجانب الآخر على موقفه بعد أن اعترف فى أحاديث كثيرة بكل أخطائه (٢٦٦) .

وفى انتخابات مجلس النواب قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية رشحت شباب محمد من ينوب عنها فى دائرة مصر القديمة فقام الإخوان بترشيح مندوب لهم فى نفس الدائرة (٢٦٧) .

وتبادلت جماعة الإخوان المسلمين وجماعة شباب محمد الاتهامات بالخيانة واتهمت كل منهما زعماء الأخرى بأنهم مأجورون يأخذون الأموال من جهة أجنبية ودافعت النذير عن شباب محمد ولم يخل الدفاع من غمز للإخوان المسلمين قالت "النذير" " لو كان ذلك حقيقة لافتتح شباب محمد مئات الشعب ولأقاموا الاجتماعات الضخمة ذات المكبرات العديدة ولاشتروا القصور الفخمة العالية بل إن دارهم لا تساوى فى أثاثها شعبة من شعب الإخوان " (٢٦٨) .

وللبنا تعليقات متفاوتة فى موقفه من هذا الانشقاق ، ففى إحدى رسائله التى أرسلها إلى الشيخ حمد يدعو للمنشقين بالغفران والهداية وإنه قد أدى واجبه تجاههم فبذل لهم النصح والإرشاد ومهد لهم وسائل العذر وبين أوجه الخير (٢٦٩) .

وفى رسالة أخرى مؤرخة فى ٨ صفر ١٣٥٩هـ يحمد الله " الذى محصنا بهذه التصفية والأمر كما ذكرت تماما فلقد اتقشعت بانقشاع هذه الجماعة سحب من الخمول والريب لو دامت بنا لذهبت بالقوى المجتمعة " .

وفى نظرة عميقة وموضوعية لعوامل النجاح يقول: " ولست أدرى قولك ماذا تكون نتيجة صراع بين مخلص خامل وغادر عامل فأما عند الله

فالأجر للمخلصين وإن كانوا خاملين وأما فى ناموس هذه الحياة فالنجاح للعاملين وإن كانوا غادرين ... وكان يجب أن نكون مخلصين عاملين نجمع بين الأجر والنجاح (٢٧٠).

وفى الرسالة رقم ١٣ المؤرخة فى القاهرة ٢١ صفر ١٣٥٩ يقول للمرسل إليه " علمت طبعا بكل ما كان من انفصال الجماعة ثم سلوكهم سبيل الخصومة اللدودة ثم استمرارهم إلى الآن فى الاتصال بشباب الإخوان ومهاجمة أشخاص بل ومهاجمة الفكرة نفسها وسامحهم الله وهدانا وإياهم .... أحب أن أقول لك إن هذه الحركة كانت خيرا عظيما وإن بدت على أبشع الصور .. " ، ثم يتحدث عما يشعر به من الألم الشديد " لفراق قوم أحببناهم حينا من الدهر ولازال لهذا الحب أثره " (٢٧١) .

وفى الرسالة رقم ١٧ المؤرخة فى القاهرة فى ٢٤ ربيع الأول ١٣٥٩ هـ ٢ مايو ١٩٤٠ م للأستاذ محمد تمام نجد عتابا فيه رقة وحزن على تغير العواطف والتسرع فى تحديد المواقف دون روية واستقصاء ثم يحسم الأمر فى النهاية فى قول موجز ومحكم يقول : " قرأت خطابك ثم رجعت إلى كتابى الأول إليك فرأيت الفارق بين العاطفتين بعيدا ، ولا أؤاخذك بهذا على كل حال ، فلا مجال للمحاسبة الآن ولكن كنت أحب ألا تجزم هذا الجزم وتحكم هذا الحكم فى شأن خطير كهذا دون أن نلتقى ونتشافه ، فما تباع مودات الرجال ولا تقطع صلات الأصدقاء فضلا عن المجاهدين بمثل هذه السهولة ، وعلى كل حال لك ما أردت وستكشف لك الحوادث عن كثير وستقتنع على كل حال ... وما فهمته أنت من حديث من حدثوك أيا كانوا لاصحة له وكفى " (٢٧٢) ، وفى رسالة أخرى يذكر أنه أتاح للمنشقين فرصا كثيرة " وهم معنا وهم خارجون عنا لنكون أصدقاء فأبوا الانتفاع بهذه الفرص جميعا ومضى قدر وبقى أسف ومع اليوم غد " (٢٧٣) ، وفى هذه الرسائل تلمح العفة فى الخصومة والتخفيف من حدة المشكلة ، لأن هذا يستبقى الود ويفتح أبواب الاعتذار أمام الخصوم ، ويبسط بوارق الأمل أمام الراغبين .

وقد فقدت جماعة الإخوان المسلمين بهذا الانشقاق مجلة "النذير" لأن صاحب امتيازها من المنشقين فأصبحت لسان حال "جماعة شباب سيدنا محمد" ونشرت فى عددها الرابع من السنة الثالثة الصادر فى ٢٣ محرم سنة ١٣٥٩ هـ - ٢ مارس ١٩٤٠ م أن صاحبها ومديرها ورئيس تحريرها

المسئول محمود أبو زيد عثمان المحامى ابتداء من هذا العدد ، وكان رئيس تحريرها السابق صالح مصطفى عشماوى ، وفى هذا الصدد نشر أيضا أن صالح عشماوى طلب إعفاء ه من رئاسة التحرير لأسباب أبداها فى طلبه وقد أجيب طلبه وأشير إلى أنه لم يشترك فى تحرير الأعداد الثلاثة السابقة لغيابه بالأراضى الحجازية فى العدد الأول والثانى ولمرضه بالنسبة للعدد الثالث ، وكان هذا البيان بتوقيع إدارة المجلة ، ومن هذا يتضح أن صالح عشماوى لم يشترك فى إدارة "النذير" منذ تكونت جماعة شباب محمد وأصبحت النذير لسان حالها .

وعلى الرغم من دعوة جماعة شباب محمد إلى التطرف واتهام الإخوان المسلمين بالاعتدال فقد اتسم منهاجها بالاعتدال واتخذت نفس المواقف التى اتخذها الإخوان فى قضايا متعددة فوقفت نفس موقف الإخوان فى تأييد القصر ، وفى الدعوة إلى الحياد فى الحرب العالمية الثانية لتجنيب مصر ويلاتها وبعد الحرب رفضت المفاوضات مع الانجليز إلا بعد الجلاء عن وادى النيل ، وفى أثناء حرب فلسطين قررت تكوين كتائب تتدرب على حمل السلاح للجهاد فى فلسطين تحت إشراف جامعة الدول العربية ، وهاجمت اليهود المصريين وطالبت بمقاطعتهم واعتقالهم ، لكنها نددت بالجامعة العربية وأمينها العام لأنه يضلل الشعوب العربية ويغرر بها ، ولم يعرف عنها أنها اتصلت بالأحزاب السياسية التقليدية ، وقد اتخذت أسلوبا متطرفا فى مهاجمتها لوزير الأوقاف وشيخ الأزهر لسماحهما للمرأة بالصلاة فى المساجد عموما حتى ولو فى مكان مخصص لهن ، كما هاجمت جمعية السيدات المسلمات ، ونددت النذير فى عددها الأول للسنة الرابعة الصادر فى ٣ محرم ١٣٦٠ هـ - يناير ١٩٤١ م بما كتبه أحمد لطفى السيد مدير الجامعة فى جريدة الأهرام عن اختلاط الفتاة فى الجامعة وزعمت النذير أن ذلك مناف لتعاليم الإسلام وأن فيه اعتداء على الأعراض وشرف الأسر وهاجم حسن يوسف فى النذير فى العدد ٣٦ السنة الثالثة الصادر فى ١٤ شوال ١٣٥٩ - ١٩٤٠/١١/٢٠ الشيخ على الغاياتى ومجلة منبر الشرق لأن الشيخ على الغاياتى هنأ جريدة الصباح التى تزعم النذير أنها تنشر أخبار التحلل .

وقد كان تطرف بعض أساليب هذه الجماعة – جماعة شباب محمد – سببا فى ضيق نشاطها ومحدودية تأثيرها فى الحركة الوطنية ، هذا التأثير الذى انحصر تقريبا فى المشاركة الإعلامية (٢٧٤) . ومن هنا كان تأثيرها وحجم نشاطها لا يقاس بتأثير ونشاط جماعة الإخوان المسلمين .

وقد يكون نشاطها المحدود هذا سببا فى فتور صراعها مع جماعة الإخوان المسلمين بل والتجاوب مع محاولات الوحدة معها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فقد قام أحد المشايخ بمساع لتحقيق الوحدة ونشرت النذير فى ٢٩ محرم ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦/١/١ نداء من الجمعيات الإسلامية ينشد تقوية الروابط بينها كما ذكرت استعداد الإخوان لذلك .

ولكن عاد هجوم النذير مرة أخرى على جماعة الإخوان المسلمين حين انقسموا على اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال وخرجوا منها ليشتركوا مع أحزاب الأقلية فى تكوين لجنة أخرى هى اللجنة القومية . فقد هاجمت النذير الصادرة فى ١٠ ربيع الثانى ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦/٤/١٢ هذه اللجنة ونددت باشتراك الإخوان فيها لأنها تشكلت بناء على رغبة الحكومة لكبح جماح الحركة الوطنية ، وتكونت من هيئات غير متجانسة فهى تضم الإخوان ومصر الفتاة والأحرار الدستوريين والسعديين وحزب الفلاح والكتلة والعمال والتجار ... الخ . وكانت النذير ترى أن يقتصر تكوين هذه اللجنة على جماعات إسلامية تضم شباب محمد ومصر الفتاة والإخوان المسلمين .

وتواصل النذير انتقادها لمواقف الإخوان المسلمين فتنشر فى أعدادها الصادرة فى ٧ جمادى الثانى ١٣٦٥ الموافق ١٩٤٦/٥/٩ ، وفى ١٤ جمادى الأولى ١٣٦٧ هـ الموافق مارس ١٩٤٨ نقدا لجريدة الإخوان اليومية لتغليبها المقالات السياسية على مقالات الدعوة ، ولاشتراك بهائى فى إدارتها ولنشرها الاعلانات لمجلات يهودية ، وطالبت النذير جريدة الإخوان بالعودة إلى المناهج الإسلامية والمطالبة بالحكم الإسلامى والحملة على الفساد والاستعمار .

ومع ذلك تنشر النذير فى ٢٥ جمادى الثانية ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦/٥/٢٧ بعد خروج الإخوان من اللجنة القومية أن اجتماعا لمجلس شورى شباب محمد بحث مسألة تحقيق الوحدة مع الإخوان وانتدب وفدا

لمقابلة المرشد العام للإخوان المسلمين لاستيضاح أبعاد العلاقة التى يمكن أن تتحقق ثم يحدث لقاء بين رئيسى الجماعتين .

وفى نفس العدد السابق تقف النذير مع صحف الإخوان فى الرد على سلامة موسى فى نفس الوقت الذى تعتب فيه على مرشد الإخوان لشكواه إلى بطريرك الأقباط فهى ترى فى الشكوى ضعف ، وكان الأجدى الشكوى لحكومة مسلمة ليأخذ الظالم جزاءه (٢٧٥) .

انشقاقات بسبب تأييد الجماعة لصدقى باشا

مع بداية سنة ١٩٤٦ كانت جماعة الإخوان المسلمين قد وصلت إلى ذروة توسعها ، ولكنها اتخذت مواقف ممالئة لحكومة صدقى سنة ١٩٤٦ ولحكومة النقراشى سنة ١٩٤٧ واندفعت في مواقف صريحة معادية لكافة قوى الحركة الوطنية والديمقراطية والتقدمية واتخذت موقف التأييد المتحمس للإجراءات القمعية المعادية للحريات من اعتقال ومحاكمات ومطاردة وإغلاق للصحف والجمعيات والنوادى والتى اتخذتها حكومة صدقى سنة ١٩٤٦ وصاحب هذا الانحراف نحو السياسة الحزبية تحالف الإخوان مع السعديين ومع الأحرار الدستوريين أى مع أحزاب الأقلية فى نفس الوقت الذى صعدت فيه من العداء للوفد والتنظيمات الماركسية بل فترت العلاقة بينها وبين حزب مصر الفتاة الذى بدأ ينتقدها علنا وتآمرت الجماعة ضد اللجنة الوطنية للعمال والطلبة والتى انتخبت انتخابا حرا ديمقراطيا بعد أن انسحبت منها وحاولت تكوين لجان بديلة لإضعاف الحركة الوطنية ، واستخدمت وسائل الإرهاب ضد الطلبة فى الجامعة وضد عمال شبرا الخيمة أثناء إضرابهم . لكل هذه الأسباب بدأت الجماعة تضعف داخليا بالتدريج بينما أخذ خصومها يقوون عليها واستغلوا الثغرات التى استطاعوا من خلالها أن يهاجموها ويشهروا بأساليبها ويفضحوا مواقفها .

وأمام هذا الوضع السياسى المتردى للجماعة وأمام ضغط خصومها وتشهيرهم بها حدث الكثير من الانشقاقات والاستقالات من الجماعة وانتهزت صحافة خصومها الفرصة فتابعت نشر أخبار الاستقالات بشكل لا يخلو من المبالغات وكانت جريدة الوفد المصرى وجريدة البلاغ فى مقدمة الصحف التى اهتمت بذلك .

فجريدة "الوفد المصرى" وكان رئيس تحريرها المسئول الدكتور محمد مندور تنشر فى ٥ مايو ١٩٤٦ تحت عنوان "هذه الجماعة تهوى" يبرأون من جماعة الإخوان المسلمين" فتقول : " نشرنا من قبل جانبا من الإستقالات التى قدمها فريق من المنتسبين لجماعة الإخوان المسلمين بعدما تبين لهم أن هذه الجماعة قد تركت أساس دعوتها الدينية وتطورت إلى

جماعة سياسية حزبية تعمل ضد مصلحة البلاد وتتجه اتجاهات تعين خصوم البلاد على تنفيذ مآربهم ، وننشر اليوم جانبا آخر منها (شعبة زفتى) : يتقدم الإخوان المسلمون بشعبة زفتى سابقا باستقالاتهم من الجماعة ، ويعلنون أنهم ما اندفعوا إلى الانتساب إليها إلا لعلمهم أنها جمعية دينية محضة بعيدة عن الأحزاب ، ولا مأرب لها سوى الدعوة والهداية إلى كتاب الله وسنة رسوله ، أما وقد انحرفت عن سبيلها وانحازت إلى أصحاب الأقلية لأسباب دنيوية ، فإن واجبنا نحن معشر الوفديين لحما ودما من أبناء زفتى معقل الوفدية والوطنية أن نخرج على تلك الجماعة والبقاء للأصلح .

وقد وقع على هذا البيان عدد من الأشخاص بلغت توقيعاتهم تسعة سطور ، وتنشر نفس الجريدة في نفس العدد برقية من أهالى أبى قير تستنكر مواقف جماعة الإخوان المسلمين فتقول البرقية :

" من أبى قير : نحن أهالى أبى قير نعلن للرأى العام براءتنا من جماعة الإخوان المسلمين بعد أن أيدناها على أساس أنها جمعية دينية ثم انقلبت حزبية نقراشية صدقية ، ونستنكر تهجمهم على طلبة الجامعة وتطاولهم على ذكرى الزعيم العظيم سعد زغلول باشا ، ونطالب بحل قمصانهم الصفراء الفاشية غير الوطنية" . وبلغت التوقيعات ٣٢ سطرا .

ونشرت بيانا من مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الأهلية يقول : "دأبت جماعة الإخوان المسلمين منذ فجر البعث الوطنى الحالى على بث الدسائس وتدبير المؤامرات التى ترمى فى مجموعها إلى القضاء على الحركة الوطنية أو تحويلها عن أهدافها مما لا يخدم غير الاستعمار ، ولما كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة هى اللجنة الشرعية الممثلة للطلبة والعمال والموظفين والمنتخبة انتخابا حرا ديمقراطيا عن طريق هيئاتهم الشرعية ، والمنظمة لكفاح طوائف الشعب حتى ينقضى أجل الاستعمار ، فقد دبر الإخوان المسلمون مؤامراتهم خاصة ضد اللجنة وحاولوا فى البداية تأليف لجنة وهمية من أشخاص لا يمثلون إلا أنفسهم فى مركزهم العام لتنشر قرارات معطلة للحركة الوطنية ، ومضادة لقرارات اللجنة الحقيقية ، ولما فشلت هذه المحاولة عمدوا إلى إعلان لجنة وهمية أخرى من مركزهم العام باسم اللجنة الوطنية العليا للطلبة والعمال والموظفين ، وبعثوا بطاقات دعوة إلى مختلف النقابات . فلم تلب أية نقابة دعوتهم ، واليوم – وقد ظهرت

للشعب نيات هذه الجماعة سافرة - تستهدف إحداث الانقسام فى صفوف الشعب ، وإلى محاربة اللجنة التنفيذية للطلبة بوسائل فاشية إرهابية مما لا يدع مجالا للشك فى أن استمرار هذا يهدد قواعد الديمقراطية فى مصر بخطر عظيم ، كما استخدموا نفس الوسائل الإرهابية ضد عمال شبرا الخيمة ، إزاء هذا يعلن مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الأهلية استنكاره لهذه الاعتداءات على الطلبة والعمال الوطنيين ويطالب بوقفها ، كما يعلن أنه بالتضامن مع الهيئات العمالية الأخرى الممثلة للعمال لا يؤيد غير اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، وتطالب العمال جميعا بأن يحاربوا كل مؤامرة من هذا القبيل ، وكل عامل ينضم إلى لجنة تؤلفها هذه الجماعة لا يمثل إلا نفسه - لتحيا اللجنة الوطنية للعمال والطلبة - لتسقط الفاشية وليسقط الاستعمار " التوقيع عن مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الأهلية : محمد عبد الحليم - حسين كاظم - سيد على (٢٧٦) .

وتنشر جريدة الوفد المصرى أيضا بتاريخ ١٩٤٦/٥/٧ تحت عنوان "الإخوان الدستوريون !! "بالصفحة الثالثة والرابعة تقول : "انضم الإخوان المسلمون إلى الأحرار الدستوريين .. فقد صدرت جريدة الأحرار الدستوريين أمس وصفحتها الثانية هى نفس الصفحة الثانية من جريدة الإخوان المسلمين !! ومبروك للإخوان والدستوريين على السواء !!

وينشر نفس العدد فى الصفحة الثالثة والرابعة تحت عنوان : " هذه الجماعة تهوى .. يبرأون من جماعة الإخوان المسلمين " فيقول : "إما أن يكون هؤلاء أهل سياسة فيطالعون الناس بنواياهم ، وإما أن يكونوا رجال دين فيبتعدون عن ميدان السياسة ولا يستخدمون الأطهار الأبرياء مطايا لأهوائهم وأغراضهم التى انكشف سترها وتبدت حقائقها على الملأ" .

وبعد ذلك تنشر الجريدة إعلانا من بلبيس باستقالة من الإخوان لتورطهم فى السياسة وتمسك بمبادىء الوفد المصرى . وقد وصلت التوقيعات على هذا البيان ستة سطور .

وعن شعبة محرم بك : ابراهيم السيد سليمان الأعور وعبد الجليل عوض يحيى يرسلان للمرشد بأنهما انضما للإخوان كجمعية دينية بحتة " واتخذتم للأسف الدين وسيلة للدخول إلى معترك الحزبية وحجتكم فى ذلك أن الدين سياسة ، ولكن إما أن تكونوا سياسيين وحينئذ يكون لنا رأى فيكم ، وإما

أن تكونوا دينيين فنسحب استقالاتنا ، أما موقفكم هذا فإننا نتبرأ منكم ونعلن التفافنا حول رجال الوفد المخلصين .

ومن العريش والسويس وكلية الحقوق بجامعة فاروق الأول ، ومن الشرقية وغيرها أرسلت احتجاجات واستقالات مسببة للمرشد العام ونشرتها الجريدة بالأسماء ونوجز أسباب هذه الاستقالات التى نشرتها الجريدة فى تحول الجماعة من جماعة دينية إلى جماعة سياسية حزبية ، والتقرب لبعض الأحزاب والحكومات لمطامع شخصية " وليعلم هؤلاء الإخوان ومرشدهم أن الوفد هو الأمة ومحاربتهم للوفد محاربة للأمة بأجمعها " .

ومن الأسباب أيضا مساندة الإخوان فى الانتخابات لبعض باشوات أحزاب الأقلية " كان بعض أعضاء جمعية الإخوان المسلمين المعروفين يوزعون "كارتات" انتخابية بيضاء لا عدد لها ونقودا على بعض عمال الصعيد الذين ليست لهم أصوات وليسوا مقيدين بجدول الانتخاب ، لانتخاب سعادة شحاتة باشا سليم ، وقد ضبطنا بعضهم وإننا لنعرف السبب ، ولا نريد أن نذكره رحمة بهذه الجمعية . كم أسفنا لتطور جماعة الإخوان المسلمين ولمواقفهم الأخيرة فى تأييد صدقى باشا لأغراض لا تخفى على أحد ، وإن شعبة الإخوان المسلمين بكفر الحصر شرقية لتعلن استنكارها لهذه المواقف واستقالتها من الجمعية" (٢٧٧) .

وفى نفس الجريدة الصادرة فى ١٩٤٦/٥/١١ تحت عنوان هذه الجماعة تهوى نشرت استقالات من الزقازيق ومن شعبة أريمون بحيرة وشبين الكوم منوفية" (٢٧٨) .

وفى ١٩٤٦/٥/٢٠ تنشر الوفد المصرى أيضا تحت نفس العنوان : "هذه الجماعة تهوى . يبرأون من جماعة الإخوان المسلمين" استقالات من شعبة أبى قير وشعبة إمبابة ومن بورسعيد (عن عمال مخازن شركة القنال) وشعبة فؤاد الأول الثانوية بالقاهرة وشعبة المطرية ومن الجمعية العمومية بأبى حماد شرقية ومن شعبة بسيون وشعبة القطارية شرقية وشعبة كفر الولجا ، ومن عضو بمجلس إدارة شعبة المنيا ، والاستقالات أيضا بسبب تحول الجماعة من جماعة دينية إلى جماعة سياسية وتأييد حكومة صدقى والحكومات المعادية للوفد فإحدى هذه الاستقالات تقول : " وقد ظهر أن هؤلاء الناس قد انقلبوا جمعية سياسية تناصر خصوم الوفد " وتقول أخرى :

"ولكن المرشد ومن معه استغلوا اسم الدين فى الحزبية الفاسدة الضارة بمصالح البلاد وبحجة أن الدين سياسة ، وإننا لهذا نعلن براءتنا من جماعتهم " وتقول رسالة ثالثة " نعلن براءتنا من الإخوان المسلمين بعد أن أصبحت جمعية سياسية تؤيد صدقي باشا وكل حكومة معادية للوفد " وتقول رسالة رابعة : "لهذا كله ولموقفكم المخجل فى يوم ١٠ الجارى يوم الإضراب العام تأييدا لقضية مصر والعرب نبادر بتقديم استقالتنا من جماعتكم " (٢٧٩) .

وتنشر الوفد المصرى أيضا بتاريخ ١٩٤٦/٥/٢٤ تحت نفس العنوان السابق "هذه الجماعة تهوى يبرأون من جماعة الإخوان المسلمين" استقالات من الإخوان مرفقة بمستندات تثبت عضويتهم بالجماعة .

من سوهاج : وبلغت التوقيعات ١٦ سطرا .

ومن محمد ابراهيم شتا من شعبة قسم ثان بطنطا .

ومن أبو اليزيد محمود المنوفى – شعبة طنطا .

ومن السويس – ١٦ سطرا توقيعات .

ومن عبد الباسط البدوي المحامى وعضو مجلس إدارة شعبة طوخ وأحمد حسين عمر المحامي وعضو مجلس إدارة شعبة الإخوان بطوخ جاء فى رسالتهما : "دعوتمونا باسم الله فالتففنا حولكم وانحرفتم إلى السياسة فأفسدت مبادئكم وليتكم ناصرتم الأمة وسرتم فى صفوف المجاهدين من أجلها ، بل سرعان ما انسحبتم خلف أعوان الاستعمار ، ولكن كشفت أعمالكم حقيقتكم وحقيقة عباراتكم الجوفاء للرأى العام وعليه نعلن براءتنا منكم " (٢٨٠) .

وفى ١٩٤٦/٥/٢٧تنشر "الوفد المصرى" تحت نفس العنوان "هذه الجماعة تهوى – يبرأون من جماعة الإخوان المسلمين "استقالة من شعبة ههيا والتوقيعات بلغت تسعة سطور وقد جاء فى هذه الاستقالة : " ولما كانت الغاية من دعوتكم هى الحصول على أنصار للوصول إلى مطامعكم وهو ما لم نكن نقبله بأى حال" .. " فقصدكم لم يكن عندئذ إلا الحصول على الأموال والاستيلاء على ضحايا من هذا الشعب المسكين ليكونوا (دراويشا) تابعين و (جنودا) مخلصين متفانين فى الجهاد ! ، وحيث قد تبين للناس جميعا أن جهادكم هذا للأسف يتلخص فى محاربة الأحزاب المصرية التى هى أساس النظام الديمقراطى فى البلاد حتى يخلو الجو لك ولتابعيك الطائعين من

أصحاب القمصان الصفراء الذين تبشرونهم بالجنة وتمنونهم بمطلع الفجر الذى تبزغ فيه شمس الفاشية المصرية سند الاستعمار الجديد ، ولما كنتم تستخدمون هذه الطرق فى نواح تتطلب فيها وطنية كل مصرى أن يكون متيقظا منتبها لما يراد بوطنه المنكود فى هذه الأيام الفاصلة فى مستقبله فحاولتم صرف الناس عن الوطنية الصحيحة وقاطعتم كل حركة وطنية سليمة ، وداهنتم كل وزارة لتحفظوا كيان حزبكم وتضمنوا بقاءكم " .

وواصلت الرسالة الحديث عن تحايل الجماعة فى الاستيلاء على أموال البر بالخداع بإنشاء لجان البر والخدمة الاجتماعية ثم لجان الرياضة لجذب الشباب (٢٨١) .

وتنشر جريدة البلاغ اليومية فى ٢٢ إبريل ١٩٤٧ تعليقا على نص عريضة الدكتور ابراهيم حسن وكيل الجماعة والتى نشرها فى البلاغ بتاريخ ١٩٤٧/٤/١٩ يستعرض فيها أسباب استقالته .

التعليق على هذه العريضة بقلم الأستاذ على عبد العظيم المحامى تحت عنوان : حول وثيقة البلاغ الأخيرة - شيخ الإخوان يعبث - دعوة دينية دنستها الأهواء والنزوات " وقد تحدث فى المقال عن موقف البلاغ من الشيخ حسن البنا وحرصها على نصحه ، وأنها لم تأخذ فى محاربته وهتك أستاره إلا بعد أن أصم أذنيه عن نصحها ولج طويلا فى غيه وضلاله . ونحن نعلم أن الرجل يذوب حسرات على ما صار إليه بعد أن انفضح أمره وذهب عنه الأكرمون من رجاله ! " .

ثم تحدث عن وثيقة ابراهيم حسن التى نشرتها البلاغ وتناول بالتعليق فى هذا العدد الاتهام الموجه لعبد الحكيم عابدين وإدانته ودفاع الشيخ حسن البنا عنه (وسنشير إلى ذلك فى حينه) (٢٨٢) .

وفى اليوم التالى ١٩٤٧/٤/٢٣ نشر الكاتب الجزء الثانى من المقال فى البلاغ تحت نفس العنوان مع تغيير طفيف فى بعض الألفاظ "حول وثيقة البلاغ الأخيرة - شيخ الإخوان يعبث - دعوة دينية دنستها الأطماع والشهوات " وكان التعليق يدور حول ما ذكرته وثيقة ابراهيم حسن من طلب حسن البنا أن يدفع الوفد للإخوان ٥٠ ألف جنيه مقابل تعاونهم معه ، وبدأ الكاتب قوله : " اليوم نعرض للمسألة الثانية فى عريضة الدكتور ابراهيم حسن فقد أثار فى مسألته الثانية تنكر الشيخ لواجبه فى حماية أقدار البلاد

ومصالحها إلا أن يكون ذلك عن أجر يتقاضاه قدره الشيخ بمبلغ خمسين الفا من الجنيهات أو يزيد !

ولم يضيع الشيخ وقتا ! فهو رجل ماهر لا تفلت الفرص من بين يديه ، فقد علم أن الوفد لا يعرف المساومة فى أقدار البلاد ولا يشترى الناس بالذهب والمال " .

ثم تحدث عن مقابلة الشيخ لابراهيم عبد الهادى وزير الخارجية واتفاقه معه على المعارضة الهادئة مقابل مساعدة الحكومة على سير الدعوة

" ويظهر أن حكومة صدقى باشا بعد هذه المقابلة قد صدقت ما عاهدت الشيخ عليه فكانت معه (على أحسن حال وساعدته على أعماله وسير دعوته) وكان الشيخ من جانبه عند عهده فى مهادنتها وممالأتها ، فكفت جريدته عن مهاجمتها ، وهكذا انقلب الشيخ من صفوف الجهاد الوطنى إلى صفوف المشايعين لحكومة الانقلاب فجرى فى الركاب " .

وسخر من يقظة الشيخ والإخوان ومن تبريرهم طلب خمسين الفا من الجنيهات (وأنهم لن يكونوا مطية لحزب أو هيئة كائنة ما كانت) " فقد أثبت الدليل القاطع أنه ممن لا تخطئهم هذه اليقظة أليس قد سارع إلى التحول من صفوف اليسار إلى صفوف اليمين ، وانقلب من المعارضة إلى التأييد والتعضيد ! ولكنه قد أهدر فى هذه اليقظة أعز ما يزين الرجال من الثبات على المبادىء والغايات والامتناع عن الأطماع والشهوات ، فلم يكن مطية للوفد حقا ، ولكنه ارتضى لنفسه وجماعته أن يكون مطية لصدقى باشا ، ويا للفخر ! ومتى ؟ فى وقت أحدقت فيه الأخطار بالبلاد . وبات أنه لا نجاة لها ولا عاصم إلا فى جهاد ، فلما تأذن الله بهذا الجهاد إذا بالشيخ يفلت من الميدان " (٢٨٣) .

وفى بيان الأستاذ أحمد السكرى الذى رد به على إقالة حسن البنا له ، وأشار فيه إلى موضوعات الخلاف بينهما ، ذكر أن حسن البنا رمى بالدعوة فى أحضان السياسة والسياسيين وصدر للقيادة من ارتكب الجرائم الخلقية واستمع إلى الدسائس ، هذا عدا ارتباك النظم وفساد الإدارة ويضاف إلى ذلك أمران :

١- دخول بعض العناصر الانتهازية المأجورة فى صفوفنا بإيعاز من رجال السياسة وتدخل سادتهم فى شئوننا .

٢- الإغراق فى السياسة الحزبية .

ثم قال : "أذكرك بما وصلت إليه أسهم الإخوان من الانحطاط عقب تولى صدقى باشا الحكم بسبب تغلب هذه العناصر النفعية عليك فى مهادنته ومسايرته ، وما كان من سخط الناس علينا ، واشتباكنا بعد ذلك مع الوفديين فى بورسعيد وغيرها ثم طلبك إلى بالحاح أن أسافر إلى الاسكندرية للتفاهم مع الوفديين ، وذهابك بنفسك مع أحد الإخوان إلى منزل أحد أقطابهم ليلا تعرض عليه التعاون معهم لكف حملاتهم ، ثم تغلب العناصر النفعية عليك ثانية لنقض هذا التفاهم وإذكاء نار الفتنة والحرب الأهلية بيننا وبين الوفد إرضاء للحكومة القائمة .

ثم يشير السكرى إلى أنه تقدم بمذكرة للإنقاذ وتدعيم القيادة بالمخلصين ، وتطهير الصفوف من المفسدين ، وشاركه فى هذه المذكرة الدكتور ابراهيم حسن والأستاذ حسين عبد الرازق ، وإن حسن البنا وعد بالتنفيذ بعد عودته من الحجاز ، ولم ينفذ (٢٨٤) .

٥- الانشقاق بسبب الاتهامات الأخلاقية الموجهة لعبد الحكيم عابدين

وقع هذا الانشقاق بسبب قضيتين أساسيتين :

القضية الأولى : الخلاف حول ما يجب اتخاذه من عقوبات إزاء ما نسب إلى عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الجماعة من اتهامات أخلاقية .

القضية الثانية : الخلاف حول موقف الجماعة من العداء الصريح لكافة قوى الحركة الوطنية ومنها الوفد والتنظيمات الماركسية ، في نفس الوقت الذى تتخذ فيه الجماعة مواقف ممالئة لحكومة صدقي سنة ١٩٤٦ ووزارة النقراشي سنة ١٩٤٧ ، ويلاحظ أن هذا السبب كان أيضا من دوافع الانقسامين السابقين .

اتهامات لعبد الحكيم عابدين :

أما عن القضية الأولى فإنها تمتد بجذورها إلى سنة ١٩٤٤ حيث شكا بعض الإخوان وبعضهم أعضاء من مكتب الإرشاد العام إلى الشيخ حسن البنا أن السكرتير العام للجماعة وزوج شقيقته عبد الحكيم عابدين يستغل سلطته في انتهاك حرمة البيوت وأعراض الإخوان تحت ستار الدعوة الدينية في عدة نواح بالقاهرة وبلدة شبرا وغيرها من البلدان وقد تكررت منه هذه المآسي ، ووعد الشيخ حسن البنا المبلغين بالقصاص وأخذ عليهم البيعة على الكتمان وترك الموضوع له حفاظا على سمعة الدعوة .

وظلت هذه التهم محصورة بين البنا وبين المبلغين حتى فوجيء أعضاء مكتب الإرشاد بإقصاء عبد الحكيم عابدين بمعرفة الشيخ حسن البنا عن سكرتارية الجماعة ، على أن يقوم مع المرشد العام بأعماله الخاصة كسكرتير خاص لمكتب المرشد العام ومستشاره الروحي ، وذلك دون معرفة مكتب الإرشاد لأسباب ذلك ، وبعبارة الدكتور ابراهيم حسن وكيل الجماعة في نص عريضته التي قدمها للهيئة التأسيسية في مارس ١٩٤٧ والتي نشرتها جريدة البلاغ في ١٩ ابريل ١٩٤٧ يقول ابراهيم حسن : إن الدعوة كانت قلبا واحدا حتى ١٩٤٤ إذ نزغ الشيطان بين الأحبة فبدل الألفة فرقة

وأضعف الثقة فرانت القلوب وصدأت النفوس ولم يكن ذلك إلا لسبب واحد هو علة العلل ، وأشار إلى أنه سيتوخى ذكر الحقائق الثابتة ، وأنه أخر ذكرها لتوهم أن ذلك فى مصلحة الدعوة وأنه يبديها الآن لأن ذلك عين مصلحة الدعوة ثم قال : فى يوم من الأيام لاحظت تغيب الأخ عبد الحكيم أفندى عابدين عن حضور جلسات مكتب الإرشاد العام وعدم قيامه بالسكرتارية فسألت فضيلة المرشد سؤالا عابرا فقال "خلاص الأستاذ عبده قاسم سيقوم بالسكرتارية أما عبد الحكيم فسيكون معى فى أعمالى الخاصة ، فلم أراجعه فى ذلك لفرط الثقة رغم أننى كنت وكيل الجماعة وقتذاك حتى ولو لم يؤخذ رأيى فى ذلك أو أخطر به من قبيل العلم لا من قبيل المشورة والرأى .

ويذكر إبراهيم حسن أنه لم يعرف سبب ذلك إلا بعد مدة حين كان فى اجتماع عادى بمنزل المرشد العام وبعد انتهاء الاجتماع هم بالانصراف فأشار المرشد له ولبعض أعضاء مكتب الإرشاد بالبقاء " ثم عرض فضيلة المرشد مسألة كانت غريبة على أسماعنا أو أكثرنا وبسطها كل التبسيط وخلاصتها أن بعض الإخوان شكوا إليه من الأستاذ عبد الحكيم مما اعتقدوا أنه اعتداء على بيوتهم وجرح لكرامتهم ، ويذكر ابراهيم حسن أنه استبعد أن يصدر ذلك عن أى أخ فما بالك وقد نسب إلى أخ من أبرز الإخوان هو سكرتير عام الجماعة وفهم حينئذ أن إقصاءه عن السكرتارية كان لمثل هذه الأسباب وطلبت من فضيلة المرشد إعادته خشية القيل والقال .. وقال الأستاذ أحمد السكرى مثل ما قلت وكادت الجلسة تنتهى بسلام لولا أن الأستاذ أمين إسماعيل عضو مكتب الإرشاد حينئذ ومن أكثرهم رزانة وأرجحهم عقلا ثار ثورة عنيفة وقال إلى متى تعالجون الأمور مثل هذا العلاج السطحى ولا تتحرون الحقائق ، وقدم اقتراحا مكتوبا بفصل الأستاذ عبد الحكيم عابدين بعد أن ذكر وقائع معينة يعلمها هو علم اليقين ثم هدد بالاستقالة والانتقام وشايعه فى ذلك الأستاذ محمد شريف والدكتور محمد سليمان والأستاذ سالم غيث فأنهينا الجلسة وقمنا آسفين محزونين .

وحاول الدكتور ابراهيم حسن بعد ذلك التوفيق بعد أن شدد الكثيرون من أعضاء مكتب الإرشاد الحملة على عبد الحكيم عابدين وكثر اللغط واحتدم الجدال ودعا الثائرين إلى غذاء بمنزله ومعهم الشيخ حسن البنا وعبد الحكيم عابدين وبعد تناول الغذاء بدأت الحديث مع الدكتور سليمان والأستاذ سالم

غيث .. وكنت أعتقد أن المسألة لا تتعدى إشاعات وشبها فما شعرت إلا وقد تغير الدكتور محمد سليمان واكفهر وجهه وقال لى إنك لا تعرف الحقائق وإذن فلتعلم أن عبد الحكيم عابدين اعتدى على بيوت الإخوان باسم الدعوة وقام غاضبا .

وحين استمرت حملة أعضاء مكتب الإرشاد عنيفة على عبد الحكيم عابدين اقترح حسن البنا إخراج عبد الحكيم عابدين والثائرين عليه من عضوية المكتب بطريقة لا تلفت الأنظار وذلك بتخفيض عدد مكتب الإرشاد إلى ١٢ عضوا بدلا من عشرين عضوا وفعلا تم ذلك .

غير أن الحملة ازدادت شدة فاقترح المرشد تشكيل لجنة من كبار الإخوان للتوفيق بين الأستاذ عبد الحكيم عابدين والشاكين من الإخوان فإن لم تستطع التوفيق بينهم عرضت عليهم التحقيق فألفت اللجنة من الأستاذ أحمد السكرى والدكتور إبراهيم حسن وحسين بك عبد الرازق ومحمود بك لبيب والأستاذ صالح عشماوى والأستاذ أمين إسماعيل والأستاذ حسين بدر ، وكلهم من أعضاء مكتب الإرشاد العام عدا الأستاذ حسين بدر الذى كان عضوا قديما بالجماعة .

اجتمعت اللجنة وأصر الشاكون وتمسكوا برأيهم فقررت اللجنة سماع أقوالهم "فما إن بدأوا يتكلمون حتى اشمأزت النفوس واقشعرت الأبدان فجعل الأستاذ حسين بك عبد الرازق إصبعيه فى أذنيه وثار محمود بك لبيب كما فجعت أنا فى أحب الإخوان إلى وأوثقهم بى صلة .. وقررنا استدعاء الأستاذ عابدين فى الليلة التالية وقلنا له ما سمعناه فكاد يغمى عليه إذ ارتمى على الأرض يضرب بيديه هنا وهناك ، ولم يستطع أن يقنع اللجنة بعدم صحة ما سمعته وأمهلناه إلى الليلة التالية ، فكان كما هو فى ضعفه وعجزه عن الدفاع عن نفسه ، وبدأت اللجنة تتحرى الوقائع وتسمع بدقة ، وتقدم إليها غير الشاكين الأربعة آخرون بشكاوى جديدة من نفس النوع حتى اقتنعت اللجنة بصحة الوقائع ونسبتها إلى الأخ الأستاذ عبد الحكيم عابدين .

وكتبت لجنة التوفيق تقريرا بل تقارير كتب أكثرها الأستاذ حسين بدر وقال فى أحدها : " إن هذه القضية تعيد إلى الأذهان قصة راسبوتين ، وإن عبد الحكيم عابدين راسبوتين هذه الجماعة " واستقرت اللجنة على تقديم تقرير بعدم استطاعتها التوفيق واقتراح بفصل عبد الحكيم عابدين من الجماعة

تطهيرا لها ولسمعتها ، وعدم إجراء أى تحقيق آخر حفظا على الدعوة من أن تلوكها الألسن ويشهر بها خصومها وأعداؤها .

وقد وافق مكتب الإرشاد على قرار لجنة التوفيق بفصل عبد الحكيم بأغلبية ثمانية من تسعة كانوا حاضرين ، إذ احتفظ التاسع برأيه ، وثار فضيلة المرشد العام ثورة عنيفة وقال : إنه ولو أجمع أعضاء المكتب الاثنا عشر على قبول الاقتراح فإنه سيختلف معهم ويحتكم إلى الهيئة التأسيسية فدهشنا جميعا لهذه السابقة الخطيرة إذ كان الرأى دائما بالأغلبية إلا فى هذه المرة بل أكثر من ذلك أن فضيلة المرشد قال إن الهيئة التأسيسية إذا خذلته فإنه سيحتكم إلى رؤساء المناطق والشعب ومراكز الجهاد ، فقرر بذلك قاعدة قانونية جديدة ، وحاولنا تهدئته وإقناعه برأينا فلم يقبل ولم يقتنع وأصر على تكوين لجنة للتحقيق . وفعلا كونت اللجنة من الدكتور ابراهيم حسن والشيخ محمد فرغلى والأستاذ طاهر الخشاب والأستاذ فضيل الورتلانى والشيخ خالد محمد خالد ، ولم يكن بين أعضائها عضو من مكتب الإرشاد العام غيرى .

وحين بدأت لجنة التحقيق عملها فى ٢١ يناير ١٩٤٦ ظهرت المخازى واضحة جلية لا يختلف فيها اثنان ولا تحتاج إلى برهان .. على أنه قبيل الحكم سمعت بعض الآراء تتردد خارج اللجنة ثم بين أعضائها بأن هذه القضية هى قضية الأستاذ المرشد لا قضية الأستاذ عابدين ، وأن فضيلته أبدى رأيه فيها ، فأى رأى يخالف رأيه يعتبر هزيمة له كذلك ، ترددت الأقوال وتواترت بأن الحكم سيكون بالبراءة لا محالة ، ورأيت فعلا هذا الميل داخل اللجنة ، فطلبت عقد مكتب الإرشاد العام وأخبرتهم بأن التحقيق انتهى وأن ما فيه ثابت لا يقبل الشك ومع ذلك فإن الحق لن يكون هو المقصود ، وطلبت منهم أن يسمحوا للأعضاء بإبداء رأيهم فى القضية كتابة فإننا هيئة تحقيق سمعت من الطرفين وتبدى شهادة بما سمعت ثم أنا بعد ذلك نازل على حكم الأغلبية بمعنى أنه إن قال اثنان بالإدانة وقال ثلاثة بالبراءة - كما حدث - كان الحكم بالبراءة ، ولكن يعرف لكل واحد رأيه ، فقال أعضاء المكتب جميعا كما قال فضيلة المرشد العام إن هذه المسألة يجب أن تنتهى بأى شكل وهم جميعا لا يشكون فى إجرام عبد الحكيم أفندى عابدين وإنهم سيقررون صلته بالدعوة بعد ذلك وإن الحكم سيكون أمام الناس فقط إلى غير ذلك .

وأعلن الحكم بالبراءة التي يعلم الله مقدار بعدها عن البرء المزعوم ، وأوراق التحقيق لا زالت موجودة عندى تشهد بالمخازى والجرائم ولولا أنها تناولت أعراض إخوان كرام لكانت بين أيديكم الآن .

وقد ارتكب عبد الحكيم عابدين فضائح جديدة بعد الحكم فنائب شعبة المحجر ثائر وعنده دليل رآه بعينه وحين قص الدكتور إبراهيم حسن على المرشد هذه القصة قال المرشد : " عبد الحكيم عابدين "خلاها خل" أنا أعلم من جرائمه أضعاف ما تناوله التحقيق وقد شكا إلى إخوان كثيرون من أعماله ، ولكنهم كانوا عقلاء ، فبعضهم اكتفى بإبعاده عن منزله أو الابتعاد عنه ، وائتمنونى على أعراضهم ، وأبوا أن يتركوها عرضة للتشهير تلوكها الألسن فى كل مكان .

وقد تعهد الأستاذ المرشد بإبعاد عبد الحكيم عابدين بل تعهد بأن يطلب منه أن يستقيل ولكنه لم يستطع ذلك وأخبرنا بأن عبد الحكيم رفض أن يكتب استقالة ، ولكن بعد أن طال بعد عبد الحكيم عابدين عن الإخوان كتب استقالة تناول فيها مكتب الإرشاد بالتجريح وقد أمر المرشد العام بكتابتها على الآلة الكاتبة وتوزيعها على أعضاء مكتب الإرشاد واقترح فى اجتماع للمكتب أن يؤخذ الرأى على بقاء عبد الحكيم عابدين فى الدعوة أو خروجه منها ورفض أن يتناول الكلام مسألة استقالته الشائنة بل قال " حانكسر رأسه هو " .

ويذكر إبراهيم حسن أن عبد الحكيم عابدين نشر استقالته التى جرح فيها أعضاء مكتب الإرشاد – فى مجلة الحوادث ويعلق على ذلك بقوله :

"فأثارنى وأدهشنى أن يطعن المجرم الأبرياء الأطهار هذا الطعن ويجرحهم هذا التجريح وكلمنى فضيلة المرشد بالتليفون وقال انه سيكذب وجود مثل هذه الاستقالة ، فقلت له يجب أن لا ننكر الحقائق بل نواجهها وندافع عن رأينا ، وانتظرت من فضيلته أن يرد إلى وإلى غيرى كرامتهم فلم يحدث فعمدت أنا إلى الرد ونشرت ردا تناول حقيقة الاستقالة والمستقيل ، فعند ذلك ثار فضيلة المرشد وعقد مكتب الإرشاد العام وقرر أن يتخذ الاجراءات القانونية ضد جريدة الحوادث لكى يعلم من الذى نشر هذه الاستقالة ثم استنكار نشر الدكتور إبراهيم حسن للرد (٢٨٥) وقد تراجع الشيخ ومكتب الإرشاد عن رفع الدعوى ضد الجريدة بعد أن تحدتهم المجلة وتأكد لهم أن الاستقالة موقعة من عابدين .

ويذكر إبراهيم حسن أن المرشد العام أراد أن يجمع الهيئة التأسيسية ليعرض عليها الأمر ودعا إبراهيم حسن للتفاهم معه فقابله فقال له إبراهيم

حسن : " إن الثقة التى بينى وبينك زالت تماما أو ضعفت إلى حد لا يمكن التعاون عليه ورغم ذلك فإننى لا أريد أن أكون معولا لهدم هذا البنيان القائم وسأتركه لك تتصرف فيه كما تشاء وأفوض أمرى إلى الله .... وبدأنا نتناقش فيما سيقوله فضيلته للهيئة التأسيسية وخلاصته أنه سيقول إن عبد الحكيم أفندى عابدين برىء وإننى تسرعت فى النشر واعتذرت . قلت له وهل حقيقة أن عبد الحكيم عابدين برىء فقال بل إنه مجرم كل الإجرام ولكن الموقف لا يحتمل غير ذلك ، وحاولت إقناعه أن يكتب ما يثبت حسن نيتى فقال إنه لايريد أن يطيل فى البيان وذكر إبراهيم حسن أن المرشد أطلعه على البيان فإذا به يجد كثيرا جدا من المغالطات المقصودة باعتراف المرشد نفسه وذلك بحذف كثير من الحقائق وبتركثير من الوقائع والاقتصار على ذكر ما يفيد وجهة نظر المرشد ، يقول إبراهيم حسن : فقلت فى نفسى لاحول ولا قوة إلا بالله لقد انحرفنا كل الانحراف عن الحق والدين ثم سلمت أمرى إلى الله ووافقت فضيلته وقلت له إننى سأترك المسئولية عليك فى كل هذا أمام الله فقال فضيلته وأنا تحملتها .

وذكر إبراهيم حسن أنه جرت فى اجتماع الهيئة التأسيسية مناورات وضغوط جانبية عليه لكى يستسلم لطلبات المرشد وابتزاز عبد الحكيم عابدين . فالبنا يترك الاجتماع ويختلى بالحجرة الصغيرة فى السطح مع عبد الحكيم عابدين والشيخ محمد فرغلى وطاهر الخشاب ومحمد نصير ثم يستدعيه ويستدعى أحمد السكرى " فدخلت الحجرة فوجدت الأستاذ عبد الحكيم عابدين أفندى ثائرا وفضيلة المرشد يهدىء ثورته ، وفهمت أنه يرفض ذكر أى شىء عن الحوادث التى ارتكبها ويريد أن يقتصر البيان على أن الدكتور ابراهيم حسن أخطأ ونشر ردا على استقالة حضرته وأنه اعتذر لحضرته وللهيئة التأسيسية ولمكتب الإرشاد العام وللجنة التحقيق بل أصر على أن يكتب فى البيان واعتذر الدكتور للأخ الكريم الأستاذ عبد الحكيم أفندى عابدين أمام ثورته المفتعلة ، بل ورغم صدور عبارات كثيرة منه لى شخصيا أبعد ما تكون عن الذوق والأدب واحتمالى لها وقد تحملتها على أساس أننى سأتخلى لفضيلة المرشد بعد اليوم عن مكانى فى الدعوة وأحتسب جهادى فيما مضى كله عند الله ، ولكنى لم أقبل بتاتا صيغة الاعتذار .. ومع ذلك - وبعد ضغط عليه والحاح - وقع البيان متضمنا هذا الاعتذار خضوعا لابتزاز عبد الحكيم عابدين .

ويعلق إبراهيم حسن على ذلك بقوله : " كنت بعد ذلك فى غاية الغضب لله وآلمنى كثيرا موقف فضيلة المرشد فى هذه القضية وضد الحق

الذى يعتقده هو بنفسه وتمشيه وراء المنطق المعكوس من أن فى ضياع الحق وإخفائه مصلحة للدعوة " (٢٨٦) .

وقد نشرت جريدة "الإخوان المسلمون" فى اليوم التالى (٢٠ ابريل ١٩٤٧) ردا على ما جاء بمذكرة الدكتور إبراهيم حسن تحت عنوان " حول ما نشرته صحيفة البلاغ من مغالطات وأراجيف" فجاء فى هذا الرد بشكل مركز دون ذكر تفاصيل أو حيثيات فيما يخص مسأله الأستاذ عبد الحكيم عابدين أنه قد برئ عن طريق لجنة التحقيق ومكتب الإرشاد وقرار الهيئة التأسيسية (٢٨٧) .

وقد عقبت جريدة البلاغ على رد جريدة "الإخوان المسلمين " فذكرت أن وثيقة البلاغ تحدثت عن تصرفات الشيخ حسن البنا فى مسائل ثلاث غاية فى الخطورة وذكرت أن المسألة الأولى هى " موقف الشيخ البنا من التهم الهامة التى وجهت إلى عبد الحكيم أفندى عابدين وإصراره على تبرئته رغم ثبوت إدانته ومتخطيا فى ذلك قرارت اللجان التى باشرت تحقيق هذه التهم والثانية سعى الشيخ البنا إلى الاتفاق مع الوفد والاشتراك فى كفاحة الوطنى مقابل مبلغ ٥٠ ألف جنيه والثالثة سعى الشيخ إلى تشكيل هيئة سياسية عليا للإخوان المسلمين تعمل على التطور بهم إلى حزب سياسى أو الاندماج فى أحد الأحزاب القائمة .

وقالت البلاغ إن هذه التهم ليست من عندنا ولكنها كانت تمثل النص الحرفى للمذكرة التى قدمها الدكتور ابراهيم حسن لهيئة الإخوان التأسيسية .

وقد صدرت جريدة الإخوان المسلمين اليوم وعلى طول صدرها بالبنط الكبير العنوان الآتى (حول ما نشرته صحيفة البلاغ من مغالطات وأراجيف) ، فإذا قرأت ما كتب تحت هذا العنوان لكان من حقك أن تدهش لهذا التسليم على طول الخط بكافة الوقائع التى تضمنتها وثيقة البلاغ ، فى غير محاولة لنفى أية واقعة منها ! ففيم كان إذن هذا العنوان الكبير ، وفيم كان إذن اتهام وثيقة البلاغ بأنها مغالطات وأراجيف ..! ولكن الشيخ يحسب أنه يكفيه فى درء هذه التهم والتنصل من مسئوليتها أن يحتمى ببعض آى الذكر الحكيم ، يختم به رده على البلاغ ويدجل به على الأنصار والأتباع ... والله يبرأ من هذا الشيخ ، وآى الذكر الحكيم أعز وأطهر من أن تلوكها ألسنة المبطلين .

وتوعدت البلاغ بتقديم وثائق أخرى تفضح البنا وتزلزل قدميه (٢٨٨).

وفى ٢٦ ابريل ١٩٤٧ تنشر البلاغ تحت عنوان " فحش فى الكذب مثل لتصرفات الإخوان المسلمين ! " إن البنا قد احتجب عن درس الثلاثاء وألقاه بالنيابة عنه صالح عشماوى الوكيل الجديد والذى حل محل الدكتور إبراهيم حسن ، وذكرت البلاغ أن صالح عشماوى راح فى حديثه يندد بالدكتور إبراهيم حسن ويتهمه بمجانية الصدق ويقول بأن عبد اللحكيم عابدين برىء مما قاله فيه فى مذكرته للجمعية التأسيسية ، وينسى صالح عشماوى أو يتناسى أنه سبق أن وقع بنفسه قرار لجنة التحقيق بإدانة عبد الحكيم عابدين وفصله من الجماعة ، وقد نشر ذلك القرار فى الصحف ، وختمت البلاغ تعقيبها بالتساؤل الموجه لصالح عشماوى عن أى الحالين كان فيهما صادقا ؟ (٢٨٩) .

وتنتقد جريدة صوت الأمة فى ٢٤ /٤٧/١٠ جريدة الإخوان المسلمين ورئيس تحريرها صالح عشماوى لما تشتمل عليه من تناقض بين شعار جماعة الإخوان المسلمين عن محاربة الإباحية وبين وجود عبد الحكيم عابدين فى صدارة الجماعة مع أن رئيس تحريرها وهو صالح عشماوى كان قد طالب فى لجنه التحقيق بفصله من الجماعة ، تقول صوت الأمة تحت عنوان " الجريدة التى تحارب الإباحية "

" تتخذ ورقة الشيخ حسن راسبوتين شعارا جميلا لو كان صادقا ، فهى تقول فى رأسها إنها تحارب الإباحية وعلى الجانب الأيمن من شعارها اسم رئيس تحريرها ووكيل شيخها (صالح عشماوى) وقد طالع القراء من الوثيقة التى نشرناها من يومين للأستاذ أحمد السكرى حول فضيحة الشيخ عبد الحكيم عابدين واعتدائه على أعراض المسلمين وإباحيته الفاجرة الكافرة بكل دين ، طالعنا أن صالح عشماوى كان من الموقعين على طلب فصل الصهر الغالى من جماعة الإخوان المسلمين لإدانته وإباحيته ! ومع ذلك فلا يزال الصهر الغالى فى مكان الصدارة من الجماعة ، ولم يخرج منها إلا من غضب لدينه وشق عصا الطاعة على الفساد والمفسدين من المتاجرين باسم الإسلام والمسلمين ، ولم يبق إلا اسم صالح عشماوى على اليمين والشعار على الشمال من ورقة الدجالين ، فهل يستطيع عشماوى أن ينكر توقيعه ، أو هل يستطيع أن ينكر التناقض الشاذ بين الإباحية لفظا ومعنى ؟

إما أن ترفعوا شعاركم أو أن تفصلوا وكيلكم ورئيس تحريركم الذى يعيش لنفسه كما تعيشون والذى وقع قبلا مع الموقعين وغضب مع الغاضبين ، ولكنه رغم هذا لا يزال يعمل مع الإباحيين ! (٢٩٠)

وكانت صوت الأمة قد نشرت فى ١٩٤٧/١٠/١٩ أى قبل نقدها السابق بخمسة أيام صورة زنكغرافية للقرار الذى أصدرته اللجنة المكلفة بالنظر فى مسألة اعتداء عابدين على أعراض بعض الإخوان وفى هذا القرار أسماء الشاكين ، وذكرت اللجنة أنها لم توفق لإيجاد التفاهم وأنها خرجت بأن عبد الحكيم عابدين مذنب وذنبه كبير فى حق الدعوة وحق الأشخاص الذين جرحوا فى أعراضهم وأن كلام الأربعة سليم من كل وجه ولذا ترى اللجنة فصل عابدين وتنصح بعدم إجراء تحقيق آخر أو تكوين لجنة تحكيم وهذا هو نص القرار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، فضيلة الأستاذ المرشد العام . السلام عليكم ورحمة الله وبعد ، هذه اللجنة التى كلفت بالنظر فى مسألة الأستاذ "عابدين" وحضرات "حسين سليمان ، فهمى السيد ، محمد عمار ، زكى هلال ، لم توفق فى إيجاد التفاهم بين الطرفين -كذا لا تستطيع تحديد المسئولية بصفة قاطعة بالنسبة لإفشاء هذه الفتنة ، وكان لابد لها فى مهمتها أن تستوضح الطرفين فجمعت لهذا الغرض البيانات والاستدلالات فى المحاضر المرفقة ملخصة بعض الوقائع أو كثيرا منها ، ولم تشأ أن تخرج عن مهمتها إلى التحقيق الشامل ، ولكنها خرجت من هذه البيانات برأى قاطع رأت أن تنصح بعدم إجراء تحقيق آخر أو تكوين لجنة تحكيم أوغير ذلك ، ورأت حسما للموضوع أن يكتفى بما توفر للجنة أساسا لتكوين فكرة صحيحة نبرزها فيما يأتى :

١- موقف هؤلاء الأخوة الأربعة يكون سليما من كل وجه

٢- اقتنعت اللجنة اقتناعا كاملا تجمع لديها من بيانات سواء من طريق الأربعة المذكورين أو من طريق غيرهم ممن تقدم إليها من الإخوان بأن الاستاذ عابدين "مذنب" خصوصا إذا أضفنا إلى ذلك اعترافاته إلى بعض أعضاء اللجنة . وإن الذنب بالنسبة إليه – وهو من قادة الدعوة – كبير فى حق الدعوة وفى حق الأشخاص الذين جرحوا فى أعراضهم ، ويحتم عليها واجبها نحو الدعوة توقيع أقصى العقوبة . لهذا ترى اللجنة بالإجماع فصل الأستاذ عابدين من عضوية الجماعة ونشر هذا القرار والعمل على مداواة الجروح التى حدثت . ٥ صفر ١٣٦٥ – ١٩٤٦/١/٩

التوقيعات : أحمد السكرى ، صالح عشماوى ، حسين بدر ، الدكتور إبراهيم حسن ، محمود لبيب , حسين عبد الرازق ، أمين اسماعيل .

وتنشر صوت الأمة فى نفس العدد تعليقا لأحد الإخوان على هذه الوثيقة يذكر فيها أنه ثبت من الوقائع الأخلاقية المنسوبة الى عابدين ما إن كشف الستار

عنه لهال الناس ما يسمعونه من فضائح ترتعد لها فرائص كل إنسان حر غيور على الدين والأخلاق ، ولقد ضحى الأستاذ البنا - في سبيل تمسكه بصهره - بخيرة رجال هذه الدعوة الأحرار وكرام الصف الأول في القيادة . وتساءل من الذى وقع هذا القرار ، وأجاب بأنهم أعضاء مكتب الإرشاد العام . وحرصا منهم على سمعه الدعوة فقد طالبوا الشيخ بعدم إجراء تحقيق آخر يكشف ما استتر من بقية الجرائم التى ارتكبها عابدين في مختلف البلاد والشعب ومع شباب الإخوان الذين انخدعوا بشعوذة مندوب المرشد الروحى كى لا يتسع الخرق وتنتشر الفضيحة ويعلم بها الغادى والرائح ، وعن لجنة التحكيم يقول : هل يغنى عن هذا الحق الواضح ما لجأ إليه الشيخ من مداورات ومساومات فى لجنة أخرى أسماها لجنة التحكيم ليس فيها من يمت إلى الإخوان بصلة إلا عضوان كريمان هما الدكتور ابراهيم والأستاذ التقى الشيخ خالد محمد اللذان أثبتا إدانة عابدين للمرة الثانية أما الباقون فلم يكن فيهم من الإخوان إلا رجل من أتباع الشيخ وأقاربه فى الاسماعيلية والباقيان لا تعرفهما دعوة الإخوان ، ولا يعرفانها إلا كعامة الناس ، استغلهم الشيخ وأغرى رئيسهم - وهو المرجح الوحيد - بالمساعدات المالية فى عمله من جهة كمحام ، وفى تعيينه بمكتب الإرشاد من جهه أخرى ، وقد تم ذلك فعلا !! .

وهل يمكن أن يغنى عن الحق الواضح الصريح ما لجأ إليه الشيخ من توسلات وبكاء يستعطف به الدكتور إبراهيم ويتوسل إليه أن يدارى الموقف ويستر المكشوف درءا للفتنة - على حد تعبيره - وأقسم له بأحرج الأيمان إن ذلك مجرد ناحية شكلية أمام الناس وإنه - الشيخ - معترف بجرائم عابدين ، بل وإن هناك جرائم غيرها اكتفى ضحاياها بأن يذكروها له هو ولم يشاءوا أن يتقدموا للجنة خوف الفضيحة ! وإنه سيفصل عابدين بعد هدوء العاصفة بل ويرسله إلى قطر آخر ليدارى مساوئه عن الناس !!

وفى النهاية تهديد للشيخ بنشر وثائق أخرى بعضها بخط عابدين نفسه وتمس شخصية لا تزال مقدسة فى نظر بعض الإخوان المخدوعين فضلا عن قرارت وتوقيعات أخرى من رجال مكتب الإرشاد الموجودين الآن !! (٢٩١) وتنشر صوت الأمة وثيقة أخرى فى ١٩٤٧/١٠/٢٨ يشهد فيها أعضاء مكتب الإرشاد بادانة عابدين ويطالبون بفصله وبعدم إجراء أى تحقيق آخر فى الموضوع لما يجره من فضائح للعائلات وتشهير بالأعراض وإساءة إلى

الدعوة ، وهذه الوثيقة موقعة من أمين اسماعيل وصالح عشماوى والدكتور إبراهيم حسن ومحمود لبيب وحسين عبد الرازق .

وهذه الرسالة تقدم بها هؤلاء الأعضاء حين علموا بعزم الشيخ حسن البنا على تشكيل لجنة تحكيم " تلعب فيها - كما تقول - الصحيفة - أهواؤه ويطغى فيها إغراؤه ، ويزيف فيها الحق ويظهر فيها الباطل ويموه بها على الإخوان ويفجع قلوب المجروحين الذين هتك " مندوب المرشد الروحى " أعراضهم واستباح حرماتهم "

وتختم الصحيفة تعليقها بأنه أصبح من المحقق أن عابدين هذا مريض بمرض شاذ ينمو ويترعرع ويهيج طالما هو فى هذه الدعوة ممهد له السبيل لغشيان بيوت الإخوان والمبيت فى الكتائب مع الشبان باسم الدعوة وتحت ستار "الحب فى اللـه" والشعوذة الجنسية الشاذة ، ولهذا لا مفر من تطهير الدعوة من هذا الوحش الآدمى الذى أصبح عنوان العار لها (٢٩٢) .

والصحيفة بهذا التعقيب كانت تتحدث عما وقع فعلا فقد نشرت قبل ذلك وبتاريخ ١٩٤٧/٣/١٠ تحت عنوان : " هذه الجماعة تهوى" عن استقالات فى صفوف الإخوان وقرار بإيقاف السكرى والدكتور ابراهيم حسن الوكيلان للجماعة والأستاذ كمال عبد النبى عضو الهيئة التأسيسية واثر هذا فى انهيار الجماعة .

وذكرت الصحيفة أيضا أنه رغم انكشاف أمر عبد الحكيم عابدين واقتناع الشيخ حسن البنا بصحة ما نسب إليه وتصريحه للكثيرين بأنه يعلم من سوء خلقه وسيرته أكثر مما يعلمه غيره من الإخوان غير أن مصلحة الدعوة - فى نظره - تقضى بالتستر عليه وقد جرى على هذا المنطق المعوج حتى بين أعضاء لجنة التحقيق فأقنعهم بمنطقة الفاسد وفتواه الشيطانية وحملهم حملا على تبرئته ووعد الإخوان بفصله إداريا بعد ذلك ولكنه بدلا من أن يفصله زاده تقريبا ، شأنه فى ذلك شأن كل من ساءت أخلاقهم وفسدت نفوسهم من بطانة الشيخ ، فإن سوء الخلق هو الوسيلة التى تقربهم من قلب الشيخ !! .

فبعد أن أقاله من سكرتارية مكتب الإرشاد العام وفصله من عضوية المكتب ، وأبعده عن الجماعة ومنعه من دخول دار الإخوان و دور الإخوان عامة بقرار مكتوب منه نزولا على إرادة الإخوان أعضاء مكتب الإرشاد والشاكين والمتبرمين والمتظلمين وبرا بوعده الذى قطعه على نفسه أمامهم -

عاد فقربه إليه وأرسله إلى سوريا ولبنان ثم إلى السودان يدعو باسم الجماعة ، بل أراد أكثر من ذلك أن يعيده إلى سكرتارية الجماعة فأوعز بانتخابه هذا العام عضوا فى مكتب الإرشاد العام ولكن المكتب خيب ظنه فلم ينتخبه سكرتيرا عاما إذ نال صوته وصوت زميله طاهر أفندى الخشاب وكيل النيابة المفصول كما يعرفة الجميع ، فحاول أن يخترع له لقبا جديدا وصفة ترجع له شيئا من كرامته التى فقدها فاخترع له صفة السكرتير الفنى لمكتب الإرشاد العام لأن تعيينه فيها أو خلعها عليه لا يحتاج إلى موافقة أحد من مكتب الإرشاد أو الهيئة التأسيسية .

وهكذا صار عبد الحكيم عابدين كما كان بل أكثر نفوذا مما كان إذ جعل يكتب المقالات الطوال فى جريدة الإخوان حول رسالة الإخوان وينتقل مع الشيخ فى كل مكان ويخطب فى الإخوان نائبا عن الشيخ فى درس الثلاثاء ، فاشتكى الأحرار والمعتدى على كرامتهم من الإخوان إلى مكتب الإرشاد وصمموا على الاستقالة إذا لم توضع الأمور فى نصابها ، وكانت أولى الاستقالات استقالة حسين بك عبد الرازق ، وطلب تلاوتها فى الهيئة التأسيسية أثناء انعقادها ولكن الشيخ لم يفعل لأنها استقالة مسببة (٢٩٣) .

وقد هاجمت جريدة البلاغ فى ١٩٤٧/٤/٢٢ الشيخ حسن البنا تحت عنوان " شيخ الاخوان يعبث ، دعوة دينية دنستها الأهواء والنزوات ! " وذلك فى تعليقها حول ما نشرته قبل ذلك بأيام من نص عريضة الدكتور ابراهيم حسن وأدانت دفاع حسن البنا عن عبد الحكيم عابدين وذكرت أن من دوافع هذا الدفاع هو أن هذا السكرتير صهر للشيخ لأنه تزوج من شقيقته ، وأنه يعمل إلى جواره مستشارا روحيا له ! وقالت : لقد دنس الشيخ بهذا الموقف جلال الدعوة الدينية التى قامت من أجلها هذه الجماعة (٢٩٤) .

وقبل ذلك نشرت جريدة البلاغ فى ٦ مارس ١٩٤٧ تساؤلات وجهتها إلى الشيخ حسن البنا فقالت :

هل صحيح أن عبد الحكيم عابدين زوج شقيقة الشيخ البنا اعترف أمام حضرات الأساتذه كمال عبد النبى وحسين عبد الرازق وأحمد السكرى بصحة الوقائع التى نسبت إليه ، والتى تكون فى مجموعها عدوانا على كرامة فريق من الإخوان والأخوات ؟ وهل صحيح أن عبد الحكيم عابدين برر هذا

العدوان بأنه لا شائبة فيه إذ أنه من قبيل (اللمم) كما أفتى بذلك فضيلة المرشد العام ؟

وهل صحيح أن عبد الحكيم عابدين هذا قال للأستاذ كمال عبد النبى فى معرض الاعتذار عن هذا العدوان بأنه لعل الشيطان قد تدخل ؟

وهل صحيح أنه قال للأستاذ حسين عبد الرازق فى معرض الاعتذار عن هذا العدوان أيضا بأنه قد تاب وأناب واستغفر ؟

لعل الشيخ أن يجيب على هذه الأسئلة ، ولعله بالأكثر أن يدلنا على هذا الشيطان الذى تدخل فصرفه عن واجبه الإخوانى وألقاه بين أحضان الشيطان ، ولعله أن يجيب كذلك هل لهذه الحوادث ولغيرها علاقة باستقالة الأستاذين كمال عبد النبى وحسين عبد الرازق وإيقاف الأستاذ أحمد السكرى والدكتور ابراهيم حسن ؟! (٢٩٥) .

وكانت مجلة الإخوان المسلمين قد نشرت فى ١٩٤٧/٣/١ قرارين الأول : قرار من المرشد العام بناء على المادة ١١ من القانون الأساسى للإخوان المسلمين بإيقاف الأستاذين أحمد السكرى وكمال عبد النبى والدكتور ابراهيم حسن عن مزاولة حقوق عضوية الهيئة التأسيسية حتى تنعقد فيعرض عليها الأمر .

الثانى : قرار من المرشد العام بناء على المادة ١٦ من هذا القانون بدعوة الهيئة التأسيسية إلى اجتماع غير عادى بدار المركز العام بالقاهرة فى السادسة والنصف من مساء يوم الخميس الموافق ٢٧ من ربيع الآخر ١٣٦٦ هجرية ، ٢٠ من مارس ١٩٤٧ للنظر فى هذا الأمر وفى غيره من الشئون التى تهم الدعوة (٢٩٦) .

وقد أحدثت قضية عبد الحكيم عابدين والاتهامات الموجهة إليه هزات عنيفة داخل الإخوان المسلمين تمثلت فى استقالات عديدة وفصل وإبعاد كما استغلتها الصحف المعادية للإخوان وخاصة صحف الوفد منذ بدأت هذه القضية تتكشف .

ففى ١٩٤٦/٥/٢١ أى قبل قرارات الإيقاف السابقة بما يقرب من العام نشرت جريدة "الوفد المصرى" رسالة باسم السيد محمد الشاهد رئيس مركز جهاد عابدين للإخوان المسلمين تحت عنوان " أحد الفرسان الثلاثة فى الإخوان المسلمين " ويقصد بهم الأساتذة حسن البنا وأحمد السكرى وعبد

الحكيم عابدين وقد نسب للأخير عدة مسائل غير كريمة " وهذا تعبير مخفف على حسب قوله ارتكبت تحت ستار الدعوة الدينية فى عدد من البلدان والشعب . وذكر أن حسن البنا علم بها وطلب من الشاكين الكتمان وترك الموضوع ليتصرف فيه زاعما أن فى ذلك مصلحة الدعوة وتحدثت الرسالة عن عزله من وظيفة السكرتير العام للإخوان ثم إخراجه من مكتب الإرشاد ، وعن اللجان التى ألفت وقررت فصله ورفض البنا " وأخيرا لم ير بدا من الالتجاء الى طريقة شيطانية تشبع شهوته فألف لجنه معظم أعضائها من ذوى المصالح والمآرب الشخصية البعيدين عن الجماعة بل وبعضهم للشيخ عليه أفضال كثيرة ومضطرون إلى مسايرتة فيما يريد ويهوى ... وبالرغم من وصول عدة طعون مسجلة إلى الشيخ حسن البنا فى هذه اللجنه أخرها تحت رقم ٣٤٦ بتاريخ ٩ مايو ١٩٤٦ إلا أنه لم يكترث بها ولم يحققها وكان جل همه هو التستر على صهره ! وفاز أخيرا بما كان يسعى إليه الشيخ حسن البنا منذ سنتين تقريبا وقد بذل فيه جهد الجبابرة وقررت اللجنة بثلاثة أصوات ضد صوتين عودة الشيخ الفاضل عبد الحكيم عابدين إلى صفوف الجماعة ، وهذا كله رغم معارضة الوكيل الثانى للجماعة الدكتور ابراهيم حسن ونحن نتحدى الشيخ حسن البنا أن يكذب هذا وعندئذ سنبرز له المستندات التى تحت أيدينا (٢٩٧) .

وقد نشرت جريدة الإخوان المسلمين ردا على هذه الرسالة بتاريخ ١٩٤٦/٥/٢٢ من المركز العام للإخوان المسلمين تحت عنوان " بخصوص نفى الاتهامات الموجهة إلى عبد الحكيم عابدين "

تقول جريدة الإخوان : جاءنا من المركز العام للإخوان المسلمين الخطاب التالى المرسل إلى جريدة الوفد المصرى ردا على ما نشرته أمس :

وجه بعص الإخوان إلى الأستاذ عبد الحكيم عابدين بعض اتهامات وعرض الأمر على مكتب الإرشاد العام فقرر انتداب لجنة لدراسة الأمر وجمع الطرفين والصلح بينهما . ولما أبى الطرفان إلا التحكيم تألفت لجنة بقرار من مكتب الإرشاد العام بتاريخ أول صفر ١٣٦٥ هجرية الموافق ١٩٤٦/١/٥ من خمسة أعضاء اختار هؤلاء الإخوان اثنين منهم ، واختار الأستاذ عبد الحكيم عابدين اثنين آخرين واختير الخامس أمام الطرفين

بالقرعة من أعضاء لجنه التحقيق العامة بالمكتب العام وأقر الطرفان ذلك بإقرارت كتابية محفوظة بالسكرتارية العامة .

وزاولت اللجنة مهمتها وقررت بطلان هذه الاتهامات ، وأعلن هذا القرار بحضور الطرفين وكثير من الإخوان مساء يوم الاثنين الماضى الموافق ١١ من جمادى الثانية ١٣٦٥ ، ١٣ مايو ١٩٤٦ وكل ما سوى ذلك فلا صحة له (٢٩٨) .

وقد عقب السيد محمد شاهين على ذلك بجريدة الوفد المصرى فى ٢٦/ ٥/ ١٩٤٦ تحت نفس العنوان السابق " أحد الفرسان الثلاثة فى الإخوان المسلمين " فقال : " اطلعت على بيان بل اعتراف الإخوان المسلمين عن الاتهامات المنسوبة إلى عبد الحكيم عابدين ولم أجد به سوى ما يؤيد كلامى .

ومن توفيق الله أن أنطق شيخهم فى محاضرة الثلاثاء الموافق ١٩٤٦/٥/٢١ فى نهاية حديثه عن بيانى بأن قال ما يأتى : (ومين معصوم يا إخوان) ثم تكلم عن حادث سيدنا ماعز . فما معنى هذا ؟

وإزاء ما حدث أرسل جميع أعضاء مركز جهاد عابدين استقالتهم إلى المرشد العام ونصها : اطلعنا على بيان الأخ الكريم السيد أفندى شاهين رئيس مركز جهاد عابدين على صفحات الوفد المصرى الغراء بتاريخ ١٩٤٦/٥/٢١ وبعد تأكدنا من صحة البيانات الواردة به ، وتهربكم من الإجابة على الأسئلة التى وجهناها إليكم عند الاجتماع بكم بحجة عدم مناقشة تصرفات القيادة ، لهذا لا يسعنا إلا أن نعلن استنكارنا الشديد لأعمالكم وتستركم على العبث تحت ستار الدعوة الإسلامية ، وإننا نقدم استقالتنا من حزبكم" . توقيعات ١٤ سطرا (٢٩٩) .

ويعبر أحد قادة الإخوان عن عميق تأثره بقضية عبد الحكيم عابدين فيذكر صلاح شادى أن التحقيق فى هذه القضية أسفر عن براءته من التهم التى نسبت إليه "وإن لم تعفه من اللوم لوضع نفسه فى موطن الشبهات !! " وكبر الأمر فى نفسى واستفاض ! وعجزت عن الملاءمة بين إكبارى لأحد أقطاب الإخوان وبين "اللمم" الذى نسب إليه ، ولم أستطع إلزام نفسى بعدالة الحكم الذى قامت ركائزه على الشرع الحنيف الذى ننادى بتطبيقه ! واستوحشت نفسى من الإمام الشهيد حسن البنا ، وبدا عجزى عن ملاءمة مشاعرى معه حتى صارحته بالأمر !

وذكر صلاح شادى أن حسن البنا شرح له موقف الإسلام من هذه القضية وأن عواطفى المشبوبة قادتنى إلى عدم الإنصاف ، ثم قال حسن البنا له :

"كنت آمل أن تأخذ منى علامات طريقك إلى الله ما دمت عاجزا عن إدراكها وحدك خاصة وسلوكك يحكى شدة تعلقك بى وثقتك فى" !

ثم يعقب صلاح شادى على ذلك بقوله : "فأين نحن الآن من هذه اللمسة الحانية وهذا الفقه الأصيل؟ " (٣٠٠) .

ولكن مؤرخ الإخوان يحاول أن يلتمس لهذه المحنة مبررات أخرى غير موضوعية بعيدة عن جوهر القضية .

فهو يتحدث تحت عنوان " محنة أولى القربى أو الفتنة الثانية" محاولا أن يجعل من الحقد على عبد الحكيم عابدين سببا لاتهامه فى أخلاقه . فهو يتحدث عن أن حب الإخوان لأستاذهم المرشد العام جعلهم يتنافسون فى السعى لخطبة شقيقته الكبرى التى فاز بها عبد الحكيم عابدين إذ اختاره المرشد زوجا لشقيقته وذكر أن الإخوان انقسموا إزاء هذا الحدث ثلاثة أقسام : قسم تلقى المفاجأة بالإجلال والإعجاب وهم الكثرة وقسم خاب أمله وهم عدد قليل من الشباب المؤهل للزواج ، وقسم ثالث فى سن الكهولة ولهم بيوت ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل لخوفهم من مواهب عبد الحكيم عابدين التى تؤهله للبروز فى المجتمع مما يجعله مزاحما لهم وخطرا على مناصبهم البارزة فى الدعوة ، وخاصة أن المرشد العام يثق فى مواهبه وقسم رابع استغل القسمين الثانى والثالث ليحقق أغراضا بعضها سياسى وبعضها شخصى .

ويستطرد مؤرخ الإخوان : ليربط بين الهجوم على عبد الحكيم عابدين والهجوم على المرشد العام متجاهلا الحقائق التى كشفت عنها التحقيقات فيذكر أنه " من الصعب مهاجمة المرشد لما له من الإجلال فى النفوس ، فكان لابد من البحث عن سبيل آخر لإيذائه عن طريق ملتو غير مباشر ، وكان الطريق هو محاولة تجريح شخصية عبد الحكيم والنفوذ من ذلك إلى تجزيح الدعوة نفسها . وقد تم ذلك حين كانت لعبد الحكيم صداقة مع طالب بكلية الآداب اسمه (ع.س.ا) وقد أوسع عبد الحكيم له فى مجلة النذير واختلط عبد الحكيم بأسرة هذا الطالب اختلاطا شديدا وقد حذرته من ذلك وذكرته بوصية الرسول "احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما

ما ، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما" ومرت الأيام وأعلنت خطوبة عبد الحكيم لشقيقة الأستاذ المرشد فكان هذا الإعلان بمثابة إعلان حرب على عبد الحكيم أو قل فى الحقيقة على الدعوة نفسها . انقلب هذا الأخ على عبد الحكيم واتهمه بأنه اتخذ صداقته له وإخوته معه وسيلة إلى مداعبة شقيقته وتبرأ من الدعوة ما لم يبتر منها عبد الحكيم ووجدت هذه الاتهامات آذانا صاغية وأخذ البعض يروجها واعتزل عبد الحكيم الناس لإفراطه فى حسن ظنه بالناس ثم رجع إلى المجتمع بعد بضعة أشهر ، وامتدت آثار هذه الفتنة فصارت " عداء للدعوة يظهر فى صور مختلفة من ابتعاد عن الدعوة إلى استقالات إلى اعتكاف مجموعات تجتمع فى البيوت والكل يشيعون قالة السوء بغير علم" .

وخرجت الدعوة من هذه الفتنة مرفوعة الرأس بأدنى قدر من الخسائر التى هى فى حقيقة أمرها تخليص للدعوة من خبال علق بها" (٣٠١) .

ويحاول مؤرخ الإخوان مرة أخرى أن يلتمس لمحنهم مبررات أخرى مغفلا بذلك الأسباب الحقيقية لهذه المحن فيذكر تحت عنوان : "الفتنة الثالثة أو الاقتحام إلى البناء الداخلى للدعوة" أن المرشد كان "كدأب أصحاب الدعوات " يلتمس التأييد لدعوته من جميع الأوساط والبيئات وإذا كانت الدعوة قد قامت على أكتاف عامة الناس وضعفائهم فإنه كان يتوق ويتمنى لو أن الله تعالى هدى إلى دعوته الأغنياء وذوى الأبهة والسلطان وهذه طبيعة لم يخل منها بشر حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم " أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى " .

وذكر أن بضعة أفراد من البيئات المتعالية استجابت للدعوة وأوسع لهم المرشد فى مجلسه ورحب بهم وخصهم بتكريمه غير أن هؤلاء لم يستطيعوا أن يمتزجوا بعامة الإخوان وكان وجود المرشد ضروريا لهم فى أى مجتمع إخوانى " كأنما هو المادة الموصلة بين الفريقين " وبذل الأستاذ المرشد الكثير لمزج هذه الفئة بعامة الإخوان ولم يحقق إلا نتائج محدودة ثم يقول : هناك أفراد من هذه الطبقة كان امتزاجها بسائر الإخوان امتزاجا كاملا من أول يوم غشوا فيه مجتمعات الإخوان من أمثال حسن العشماوى ومنير الدلة وهارون المجددى لكن أفرادا آخرين لم يمتزجوا وكان هؤلاء الأفراد هم

الهدف السهل لمحاولى النيل من الدعوة ، وكان الأستاذ حسين عبد الرازق والأستاذ كمال عبد النبى بالتبعية من هؤلاء الأفراد"

ويستطرد مؤرخ الإخوان إلى الزعم بأن السراى سعت إلى احتواء أسرة عبد الرازق التى اعتبرت السراى انضمام فرد منها إلى الإخوان وانتظامه عضوا فى الهيئة التأسيسية تطورا خطيرا يخشى معه أن يستفحل أمرها باستيعابها العنصر الوحيد الذى ينقصها وهو عنصر الأسر الكبيرة ذات النفوذ والثراء" .

ويوحى مؤرخ الإخوان بأن دور الأستاذ حسين عبد الرازق فى محنة عبد الحكيم عابدين وفى الانشقاق الناتج عنها إنما ينسجم مع رغبات السراى (٣٠٢) .

وهذا كاتب آخر من قادة الإخوان المسلمين وهو الأستاذ عبد العزيز كامل يكتب فى جريدة الإخوان المسلمين تحت عنوان "إلى الإخوان العاملين" يعرض بالمتمردين والثائرين ويهون من أمرهم ويحط من شأنهم فهم فى نظره منافقون وطبل أجوف يحبون المظاهر ويتعلقون بها ويتصدرون المجالس ويقطفون الثمار وينتزعون الإعجاب ، بينما يعلى من قدر غيرهم ، ويرفعهم إلى مستوى الملائكة الأطهار ، فهم يحملون الدعوة وهم ورثة الأنبياء الذين يندمجون مع روعة الوحى ، ويمدون الدعوة بعصارة حياتهم ، وهم الأتقياء الأخفياء المتواضعون .

يقول عبد العزيز كامل : "العاملون فى الدعوة صنفان : صنف يحمل الدعوة ، وصنف تحمله الدعوة ، أما الصنف الأول فهم ورثة الأنبياء الذين يعلمون ضخامة الحق الذى يدعون إليه ، ومرارة السبيل التى يسيرون فيها ، ويتضح فى قلوبهم جيدا روعة الوحى الذى أنزله الله على رسوله "انا سنلقى عليك قولا ثقيلا " انهم يشقون بالدعوة وذو العقل يشقى فى النعيم بعقله ، ويمدون الدعوة بعصارة حياتهم ويديرون آلتها بدم وجودهم . هم العاملون فى صمت الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا ، أما الصنف الثانى فهم يتمتعون بالدعوة ، وقد يظهرون على الوجه كما يظهر الزبد ، وقد يتصدرون المجالس ؟، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، الدعوة عندهم كالزهرة يضعونها فى عروة ردائهم ، مصدر جمال يلفتون بها الأنظار ، وينتزعون بها الإعجاب ، فإذا ذبلت

رموها وبحثوا عن وردة جديدة أو دعوة جديدة ، هم الذين يحرصون على أن ينتخبوا فى كل مجلس إدارة ، وأن يمثلوا فى كل وفد ، وأن يحضروا كل اجتماع ، هل أستطيع أن أعتبرهم من العاملين ؟ اللهم لا .

وإنما العاملون فى الدعوة صنف واحد ، هم أهل الحق ، وبالحق قامت السموات والأرض ، وهم الذين يحملون الدعوة فى البؤس والنعمى أولئك الذين هداهم الله ، فبهداهم اقتده" (٣٠٣) .

العداء القوى للحركة الوطنية :

وكانت القضية الثانية التى سببت الانشقاق هى مواصلة الجماعة العداء لكافة قوى الحركة الوطنية فى نفس الوقت الذى هادنت فيه ومالأت حكومات الأقلية ووضعت العراقيل التى تحول بينها وبين التقارب مع الوفد والقوى الوطنية الأخرى برفعها لشعارات ومطالب يصعب على الطرف الآخر قبولها .

فقد ذكر الدكتور ابراهيم حسن فى عريضته التى نشرت فى البلاغ وسبق الإشارة إليها أن حسن البنا ساوم على أن يدفع الوفد للإخوان مبلغا قدره خمسون ألف جنيه فى مقابل الانضمام إلى الوفد فى كفاحه ضد حكومات الأقلية المعادية للحركة الوطنية ، ذكر ابراهيم حسن أنه حضر لجنة الاتصال بين الأحزاب وكان المرشد غائبا فى الحجاز فلما حضر المرشد اطلعه على تفاصيل عمل اللجنة وحضر معه اجتماعا لها يوم حضوره وفى اليوم التالى قابل فضيلته وكانا منفردين فقال المرشد له " إنه لا مانع عنده من أن نتفق مع الوفديين على أساس عملى ، فقلت وما هو هذا الأساس العملى فقال يدفع لنا الوفد خمسين ألف جنيه فقلت له لا يرضى الوفد بذلك ولا نرضى نحن بذلك فقال "ليه يا أخى احنا حا نصرفهم على الحركة الوطنية على المسجونين والمقدمين للمحاكمة وعلى أهلهم وعلى من فصل من عمله بسبب الحركة .. الخ . فقلت لفضيلته إن هناك طريقة أشرف من هذه وهى أنه قدم اقتراح فى لجنة الاتصال بعمل صندوق خاص بالحركة وسيدفع المشتركون فيه بقدر ماليتهم . فقال فضيلته على كل حال هذه خواطر وتركت فضيلته وأنا فى غاية الأسف على هذا التفكير وإن كنت أعلم أن حالتنا المالية فى ذلك الوقت أسوأ من السوء فقد كنا اقترضنا مبلغ ٢٠٠ جنيه من شركة

المعاملات الإسلامية لدفع مرتبات موظفي الدار وإرسال مبلغ خمسين جنيها للأستاذ عبد الحكيم عابدين أفندي بالسودان وكان قد أرسل يطلب مددا ، وكانت حالة الجريدة سيئة جدا ، إلا أن كل ذلك لم يبرر في نفسي تفكير فضيلة المرشد ، فإننا عشنا فقراء ولم نكن نعتمد إلا على الله وعلى أنفسنا وإخواننا .. وتحدث ابراهيم حسن عن مقابلة الشيخ لابراهيم عبد الهادي فقال :

وفي اليوم التالي سمعت من فضيلته أنه قابل ابراهيم عبد الهادي باشا وزير الخارجية وأنه استراح إلى آرائه بأن تكون معارضتنا هادئة خالية من كل عنف في نظير أن الحكومة ستكون معنا على أحسن حال وتساعدنا على أعمالنا وسير دعوتنا ، فلم أرد بكثير أو قليل بل عدت إلى عزلتي وأزعجني مساومة الطرفين المتناقضين .

وعن تكوين الهيئة السياسية العليا للإخوان ذكر ابراهيم حسن أنه في يوم من الأيام طلبني الأستاذ محمد بك نصير لمقابلته ببار اللواء وأخبرني أنه تألفت هيئة سياسية عليا للإخوان المسلمين وذكر لي بعض أعضائها وقال إنهم رشحوني لعضوية هذه اللجنة فاعتذرت شاكرا حسن ثقتهم بي ولكنه ألح علي في ذلك فقبلت وقلت لعل في ذلك خيرا إن شاء الله ، واجتمعت هذه الهيئة مرتين الأولى بمنزل الأخ منير بك دلة والثانية بمنزل محمد بك سالم بالمعادي ولم تفعل شيئا جديا ، وكانت الفكرة فيها هي البحث عن طريقة لتحويل جمعية الإخوان المسلمين إلى حزب سياسي ، وتعهد وهيب بك دوس بتقديم برنامج مفصل ، يصلح لأن يكون أساسا للحزب السياسي الجديد وكان من رأيه أن تنضم الجمعية إلى حزب سياسي قديم له مبادىء قويمة ، ومن رأي سعادته أن يكون الحزب الوطني بالذات ، ولم تجتمع الهيئة بعد ذلك أو لا أعلم أنا بعد ذلك هل اجتمعت أم لا ، فإنني لم أدع للاجتماع بعد المرة الأخيرة بالمعادي (٣٠٤) .

وقد ردت جريدة الإخوان المسلمين في ١٩٤٧/٤/٢٠ على ما جاء في مذكرة د. ابراهيم حسن بالبلاغ فقالت عن موضوع الخمسين ألف جنيه إنه مما يفاخر به الإخوان ويدل على يقظتهم وأنهم لن يكونوا مطية لحزب أو هيئة .

وتحدثت عن محاولات الوفد للوصول إلى الحكم فأشارت إلى لجنة الاتصال التى أوعز بها الوفد واجتمعت فى مكتب سراج الدين وغرض الوفد منها إسقاط حكومة صدقى على أن يصل هو للحكم ويعود إلى المفاوضة من جديد ، والإخوان فى هذا الوقت يحملون وحدهم عبء المقاومة الفعلية لحكومة صدقى حتى كان منهم فى السجون والمعتقلات أكثر من ألف فى القاهرة والأقاليم وشرد الموظفون منهم وطرد الطلاب من مدارسهم ، وحوصرت دورهم فى كل مكان ، وكان الوفد يوعز إلى لجانه فى الأقاليم بمناوأة الإخوان والكيد لهم ، وحين عاد المرشد من الحج وتحدث إليه الدكتور ابراهيم حسن بنتائج اجتماعات لجنة الاتصال قال المرشد "إن الوفد إنما يريد بذلك أن يجمع المعارضة من حوله ، ونحن لا مانع عندنا أبدا من الاتفاق معه ما دام موقف المعارضة قد جمعنا ، ولكننا لا نريد أن نخدع ولا أن نكون سلما يرقى الوفد على أكتافنا ثم يفاوض الإنجليز من جديد ويخدع الأمة بدعاياته الواسعة عن حقها الواضح المستبين .

وتحدثت الجريدة عن ميثاق وطنى لعدم خديعة الأمة فذكرت أن الوفد إن كان جادا فى معارضته مخلصا فيها فليكن بيننا وبينه موثق واضح مستبين مكتوب نوقع عليه ويوقعون عليه يتكون من مادتين المادة الأولى : ألا يعود الوفد إلى مفاوضة الإنجليز إلا بعد أن يسلموا بحق مصر فى الجلاء الناجز عن الوادى كله وبوحدته الحقيقية . والمادة الثانية : أن نستلهم روح الإسلام الحنيف فى كل الأوضاع الاجتماعية إذا كان للوفد أن يعود إلى الحكم .

ثم ينشأ بعد ذلك صندوق يسمى صندوق الجهاد ويضع الوفد فيه خمسين ألف جنيه أو عشرين ألف جنيه على الأقل وتضع كل هيئة من الهيئات التى تقبل هذه الوحدة مبلغا بنسبة ماليتها ومنها الإخوان المسلمون.

وتساءلت الجريدة : لماذا ألفت الهيئة السياسية ؟

وأجابت بأنها فكرة لبعض رجال الدعوة والعاطفين عليها لتكوين لجنة شورية فى الشئون القومية العامة ولم يتم فيها شيء بعد (٣٠٥) .

هذه هى موضوعات الخلاف التى تصارعت حولها الآراء والمواقف إلى أن تصاعدت إلى وقف بعض الأعضاء ثم فصل البعض وقبول استقالة آخرين وتوجيه اللوم إلى فريق ثالث .

وقد بدأت عملية الصراعات التنظيمية داخل الجماعة بإزاحة وكيلي الجماعة من منصبيهما ونشرت إحدى المجلات الأسبوعية مقالا تحت عنوان "الإخوان المسلمون يحذفون وكيلهم" فنشرت جريدة "الإخوان المسلمون" بيانا من سكرتارية مكتب الإرشاد وبتوقيع عبده أحمد قاسم السكرتير العام يعلق فيه على هذا المقال بأنه تضمن أمورا لا ظل لها من الحقيقة وأن هذا اصطياد في الماء العكر ، وذكر أن سياسة الإخوان الوطنية سياسة تدور مع المواقف والأعمال لا مع الأحزاب والرجال وهم يصدرون دائما عن اتفاق ويرجعون في كل شيء إلى قيادتهم الممثلة في مكتب الإرشاد العام لا في فلان أو فلان.

ودعوة الهيئة التأسيسية لم تكن للفصل في موقف خاص ولكنها كانت دعوة اعتيادية ومسالة الانتخاب مسألة داخلية بحتة تخص الإخوان وحدهم وقد نزل فضيلة الأستاذ المرشد العام عن حقه في اختيار أعضاء المكتب للهيئة (٣٠٦) ولم يحدث بعد ذلك أن استخدم نفوذه في انتخاب أحد أو إقصاء أحد من الأساليب المعروفة في غير محيط الإخوان ، والأخوان الفاضلان الأستاذ السكرى والدكتور ابراهيم حسن يتمتعان بأكبر قسط من ثقة فضيلة الأستاذ المرشد العام والإخوان حتى أن الدكتور محمد سليمان عضو المكتب عرض على إخوانه أن يتنازل عن انتخابهم إياه ليحل محله الدكتور ابراهيم فرحبوا بذلك بالإجماع ولكن الدكتور ابراهيم اعتذر من عدم الموافقة على هذا الإجراء شاكرا للدكتور سليمان وللإخوان ثقتهم به ، كما أن الأستاذ صالح عشماوى الوكيل الثانى للإخوان عرض قبل ذلك ليعود الدكتور ابراهيم وكيلا كما كان مما يدل على ثقة الإخوان التامة بأخويهم الفاضلين (٣٠٧) .

وفى ظل هذه اللهجة الودية التى تخفى الصراع والشقاق والمناورات لإبعاد هذا وإقصاء ذاك كان الحديث عن الوحدة فى مواجهة الانشقاق وتقوية العزائم بالإيمان والتماسك فيتحدث حسن البنا فى مقاله "حديث الجمعة" بعنوان "وحدة" فى جريدة الإخوان المسلمين بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٤٧ عن السلف الصالح وكيف نجحوا بسبب قوة إيمانهم وشدة تماسك بنيانهم مع قلة عددهم وضعف عددهم ، فهو فى مواجهة الانشقاق والبلبلة فى صفوف الجماعة يعمل على توحيد أنصاره الذين اختلت صفوفهم فيقول لهم "ولقد كنت ولا زلت أقول للإخوان فى كل مناسبة إنكم لن تغلبوا أبدا من قلة عددكم ولا من ضعف وسائلكم ولا من كثرة خصومكم ، ولا من تألب الأعداء عليكم ، ولو

تجمع أهل الأرض جميعا ما استطاعوا أن ينالوا منكم إلا ما كتب الله عليكم ولكنكم تغلبون أشنع الغلب وتفقدون كل ما يتصل بالنصر والظفر بسبب إذا فسدت قلوبكم ولم يصلح الله أعمالكم ، أو إذا تفرقت كلمتكم واختلفت آراؤكم ، أما ما دمتم على قلب رجل واحد متجه إلى الله تبارك وتعالى . فلا تهنوا أبدا ولا تحزنوا أبدا وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم وهل هناك من أزمة حقيقية فى موقفنا الوطنى الحالى إلا أزمة النفوس ودهن القلوب واختلاف الأهواء وتفرق الآراء . وإيمان وحب تتألف منها وحدة حقيقية هى أشد ما نحتاج إليه الآن ، فهل إليهما من سبيل ؟ (٣٠٨) .

ورغم هذه اللهجة الودية والحديث عن الوحدة والحب والثقة فقد صدرت مجلة الإخوان فى أول مارس ١٩٤٧ وبها قرارات من المرشد العام بوقف أحمد السكرى وكمال عبد النبى وابراهيم حسن عن مزاولة حقوق عضوية الهيئة التأسيسية مع دعوة هذه الهيئة لاجتماع غير عادى للنظر فى هذا القرار (٣٠٩) ، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك .

وقد أثار هذا القرار أزمة وثورة داخل مكتب الإرشاد العام فى اجتماعه يوم ١٩٤٧/٣/٩ كما تقول "صوت الامة" لأن المرشد العام تخطى المكتب ولم يستشره فاعتبر بعض الأعضاء هذا التصرف امتهانا لكرامتهم حتى اقترح بعضهم توجيه اللوم إلى المرشد العام "لهذا التصرف الخاطىء والسابقة الخطيرة" خصوصا وأن المادة ١١ من قانون الجماعة التى استند إليها فى إصدار قراره لا تعطيه هذا الحق قبل عرضه على مكتب الإرشاد .

وتذكر الصحيفة أن مندوبها علم أن الشيخ طلب من أعضاء المكتب إقراره على تصرفه خشية أن يفتضح أمره واستبداده بين الإخوان وخصوصا أعضاء الهيئة التأسيسية التى يرجو أن تتصره رغم تعسفه حين عرض قرار الإيقاف عليها فى الجلسة التى بادر بدعوة الهيئة إليها مبكرا يوم ١٢ مارس ١٩٤٧ بعد أن حدد لها يوم ١٩٤٧/٣/٢٠ كما جاء فى قرار الإيقاف (٣١٠) .

وتتلقف الجرائد المعارضة للإخوان خبر الإيقاف فتهاجم حسن البنا وتتهمه بالفشل والانهيار لأنه حول الجماعة من جماعة دينية إلى حزب سياسى يعمل فى خدمة أحزاب الأقلية ضد الصالح العام .

فتذكر جريدة البلاغ فى ٢ مارس ١٩٤٧ تحت عنوان "شيخ الإخوان يتخبط!" فيتخون دعائم جماعته ويوقف وكيليه" أن حسن البنا قد أصدر قرارا

بوقف الأستاذ أحمد السكرى والدكتور ابراهيم حسن وكيلى جمعية الإخوان المسلمين وتذكر البلاغ أن جريدة "الاجبشيان ميل" نشرت فى عددها الصادر فى أول مارس ١٩٤٧ أن الشيخ حسن البنا يتهم الثلاثة بإذاعة وتسريب أسرار الجمعية وقراراتها السرية وأشارت فى ذلك إلى سلسلة المقالات التى نشرناها فى البلاغ عن تصرفات الشيخ البنا والملابسات التى أحاطت بتشكيل الهيئة السياسية العليا للجماعة والقرارات التى اتخذت فى اجتماعات هذه الهيئة لتحويل الجمعية إلى حزب سياسى وما إلى ذلك مما يذكره القراء ولا ينسونه!

وتقول "البلاغ" إنها تبادر فتطمئن الشيخ البنا بأن احدا من هؤلاء الثلاثة لا صلة له بجريدة البلاغ من قريب أو بعيد بسبب واحد بسيط .. هو أن تصرفات الشيخ البنا ونشاطه السرى هنا وهناك أمر متواتر وذائع على كل لسان .

وليس فيما أقدم عليه من فصل أو إيقاف وكيلى الجماعة التى يتزعمها من معنى سوى أنه أقطع دلائل الفشل والانهيار !

ولم يكن مندوحة عن هذا الفشل والانهيار وستتلوه خطوات وخطوات ما دام الشيخ حسن البنا قد أراد لجماعته الدينية ان تجفو مبادئها التى اجتذبت بها بعض الأنصار والأعوان لتتحول إلى حزب سياسى يظاهر بعض الأحزاب أو الجماعات ويؤجر فى سبيل هذه الغاية فى غير خشية من الله أو الصالح العام ! (٣١١) .

وفى نفس الصحيفة فى ٤ مارس ١٩٤٧ يهاجم الدكتور زكى مبارك قرار حسن البنا فيقول تحت عنوان "قبة بلا شيخ"

عزل رئيس جمعية الإخوان المسلمين وكيليه ، وبهذا عزل الرئيس نفسه لأنه أصبح بدون "إخوان" وإذا لم يستطع رئيس جمعية أن يظفر بثقة وكيليه وهما الأمينان المخلصان ، فمعنى هذا أنه لن يظفر بثقة أى إنسان ولهذا الإجمال تفصيل من قلمى " (٣١٢) .

وتتجه صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/٨ إلى المرشد العام فتوجه إليه عديدا من الأسئلة وتقول له : هل هذا صحيح ؟

أن شخصية كبيرة طلبت منك إصدار قرار بوقف الأستاذ السكرى والدكتور ابراهيم حسن والأستاذ كمال عبد النبى نظير أجر معلوم قبض

بعضه يوم الخميس الماضى وقبض باقيه يوم السبت الذى يليه عقب إعلان القرار حسب الاتفاق السابق ؟

وأنك عقدت محالفة مع حزب يناصر العهد الحاضر عن طريق هذه الشخصية الكبيرة التى تمت له بصلة وأصدرت هذا القرار طبقا لخطة موضوعه بينكم ؟

ويبدو أن الجريدة تقصد بالحزب ، الحزب السعدى وبالشخصية الكبيرة ، ابراهيم عبد الهادى باشا .

وتمضى الجريدة فى التساؤل فتقول هل صحيح أن بعض الإخوان وجهوا إليك أسئلة عقب درس الثلاثاء الذى ألقيته بعد غيبة طويلة يستفسرون فيها عن سبب صدور قرار الإيقاف فأجبتهم بأنها أسباب شخصية لتتخلص من أسئلتهم خوفا من مواجهة الحقائق ؟

وأن الحكومة صرحت لك بدرس يوم الثلاثاء بعد أن حرمتك منه مدة ثلاثة أشهر وذلك بعد صدور الإيقاف مباشرة ؟

وتختتم الجريدة بقولها : لك أن تجيب ولك أن تسكت فتثبت على نفسك ماتحمله فى طياتها من خيانة لفرقتك ، واحذر أن تجيب بغير الحق فعندنا الخبر اليقين (٣١٣) .

وقد نشرت جريدة الإخوان أن المرشد العام - ردا على هذه الاتهامات - رفع الأمر للنيابة العامة للتحقيق .

ولقد كان هذا الخلاف الذى استثمرته الصحف المناوئة للهجوم على جماعة الإخوان المسلمين هو ما كان يخشاه حسن البنا وعمل على التعتيم عليه فترة طويلة ، ولقد عبر الأستاذ عبد العزيز كامل عن هذا الخوف بعد قرارات الإيقاف بعدة أيام حين قال : "كلمة سمعتها من أستاذنا المرشد إننى لا أخشى أن تجتمع الدنيا على عداوتكم ولكن أخشى أن تختلفوا على أنفسكم" (٣١٤) .

وقد تصاعدت قرارات الوقف فتطورت إلى قرارات إعفاء ولوم وقبول استقالة ، ومن هنا تأكدت المحنة وتكرس الانشقاق ، فقد نشرت جريدة "الإخوان المسلمون" فى ١٧ مارس ١٩٤٧ أن الهيئة التأسيسية فى اجتماعها المنعقد فى يوم الخميس ٢٠ من ربيع الآخر ١٣٦٦ هـ الموافق ١٣ من مارس ١٩٤٧ قررت ما يأتى :

أولا : إعفاء الأخوين الدكتور ابراهيم حسن والأستاذ كمال عبد النبى من عضوية الجماعة تحقيقا لرغبتهما .
ثانيا : توجيه اللوم إلى الأستاذ أحمد السكرى على خلافه مع بعض الإخوان ومطالبته بتصفية ما فى نفوسهم .
ثالثا : ثم عرضت استقالة الأستاذ حسين عبد الرازق فقررت الهيئة قبولها .

ثم تذكر الجريدة أن الأستاذ أحمد السكرى بادر بتنفيذ قرار الهيئة تنفيذا كان موضع تقديرها .

وتقول أيضا إن فضيلة المرشد العام قد اجتمع هو والأستاذ أحمد السكرى بالأستاذ حسين عبد الرازق والأستاذ كمال عبد النبى والدكتور ابراهيم حسن وتعاهدوا على دوام الصداقة فيما بينهم والتعاون على نصرة الإسلام خارج حدود العضوية الرسمية ، كما وعد الدكتور ابراهيم حسن فى هذا الاجتماع بكتابة الصفحة الطبية أسبوعيا فى جريدة الإخوان ، ووعد الأستاذ حسين عبد الرازق بالمساهمة فى تحريرها كما ساهم فى إنشائها .

وتختم الجريدة قولها : وهكذا يضرب الإخوان للناس المثل الكريمة الطيبة فى كل تصرفاتهم (٣١٥) .

ولكن ما اعتبرته جريدة الإخوان مثلا كريمة طيبة نعتته الصحف المناوئة بالنفاق والدهاء والاستبداد.

فصوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/١٨ تحت عنوان : هذه الجماعة تهوى : نفاق حتى بين أعضائهم" تحدثت عن استبداد حسن البنا واستدلت على ذلك بموقفه من جرائم عبد الحكيم عابدين الخلقية وإبقائه فى مكان الصدارة من الجماعة وحمايته له ولو أبعد فى سبيل ذلك أبرز أعضاء الجماعة مستقيلين أو مقالين !

وعن قرارات الوقف ثم اللوم والإعفاء وقبول الاستقالة تقول الصحيفة : ومن عجب أن تقرر الجماعة إبعاد الدكتور ابراهيم حسن وكيل الجماعة والأستاذين حسين عبد الرازق وكمال عبد النبى ثم تعقب على القرار بأن فضيلة المرشد اجتمع بالمبعدين وتعاهدوا على دوام الصداقة والتعاون على نصرة الإسلام خارج حدود العضوية ، وهذا مظهر من مظاهر النفاق الذى تتردى فيه تلك الجماعة بفضل سياسة الشيخ الضالة ، وذلك لأن هؤلاء الأعضاء إما أن يكونوا من الصالحين للخدمة العامة وعندئذ فلماذا

يبعدون ، وإما أن يكونوا غير صالحين وعندئذ فلماذا الحرص على صداقتهم وجهودهم ؟! .

الحق أن الشيخ يخشى أن يكشف كل من هؤلاء الأعضاء الكبار عما لديه من أوراق فضاحة ضد الشيخ ومساخره التى لم يكشف عنها الستار بعد ، فهو يسترضيهم ويحرص على صداقتهم ، ولكن خارج حدود العضوية !

وهذه صورة لسياسة الشيخ العامة فهو يسير على نفس المنهج عندما ينافق جميع الأحزاب وجميع الهيئات وجميع الحكومات ، ويظن أنه سيصل بذلك إلى شيء غير تبديد كل الثقة به ، إن كان قد تمتع يوما بثقة أحد من غير من خدعهم من السذج باسم الدين .

وتنتهى الصحيفة إلى القول بأنها ستعود بالتفصيل إلى مخازى ما حصل فى اجتماعات جمعيتهم التأسيسية لتطلع الرأى العام على حقائقهم المزرية (٣١٦) .

وتعود صوت الأمة إلى الحديث عن هذا الاجتماع فى عددها الصادر فى ١٩٤٧/٣/٢١ تحت عنوان : "هذه الجماعة تهوى : مخازى الإخوان فى جمعيتهم التأسيسية "

فتذكر أن الجماعة استغلت الدين للاحتيال على الناس وجمعهم حولها ثم الاتجار بهم بعد ذلك فى سوق السياسة الرخيصة الظلماء ، وإن الهيئة اجتمعت للنظر فى أمر الموقوفين وهم أساطين الجماعة وتقرير السياسة التى تسير عليها بعد المهازل التى نشرت من تأليف هيئة عليا تدير سياسة الإخوان من أشخاص ينتمون إلى أحزاب العهد الحاضر مضافا إليهم وهيب دوس بك وأمثاله من أنصار كل انقلاب وقد عرض الشيخ لما لاقته سياسته البهلوانية من معارضة من قبل الموقوفين ، وقال إن الأستاذ السكرى يعارض فى هذه السياسة لميله إلى الوفد وصلته ببعض رجاله ويؤيده فى ذلك الأستاذ كمال عبد النبى المعروف بميوله الوفدية ثم أضاف أن الدكتور ابراهيم حسن والأستاذ حسين عبد الرازق متمسكان بإقصاء عبد الحكيم عابدين ، ولم يكد الشيخ يتم هذه العبارة حتى تصاعدت الأصوات من كل ناحية "نريد إقصاء عابدين" وأخذوا يتمتمون بأن الإخوان يتوارون عن الناس خجلا من أسئلتهم حول فضائح عابدين صهر الشيخ ، وسخريتهم المؤلمة من إبقائه وهو عضو بمكتب الإرشاد !!

فواصل الشيخ كلامه "إنه أقصى عابدين فعلا عن السكرتارية العامة وأمره بالصوم والصلاة ليكفر عما اقترفه من آثام يعلمها شخصيا ولا يسمح له دينه أن ينكرها أو ينفيها ، ثم قال إنه يعتقد أن فى ذلك الكفاية!

وذكر حسن البنا أنه يتهم الموقوفين بالخيانة لأنهم نشروا فى البلاغ أخبار اللجنة السياسية العليا ونفى الدكتور ابراهيم حسن هذا الاتهام وأقسم على المصحف مؤكدا هذا النفى بعد أن تحداه المرشد العام بالقسم على المصحف ، وتعجب أحد الأعضاء من الشيخ حسن البنا كيف يتهم بالخيانة الوكيلين وأحد الأعضاء البارزين ولا يتهم أشخاصا اجتمع بهم وتحدث معهم فى هذا الشأن وهم لا يمتون للدعوة الإسلامية بصلة ؟!

وأشار الأستاذ حسن البنا إلى أن شركة الإخوان للصحافة اشترت سيارة "بلايموث" بمبلغ ٤٥٠ جنيها واستعملها السكرى بوصفه مديرا للجريدة وقال المرشد إن الناس يتحدثون عن المظاهر والأبهة ويتساءلون عن مصادر الشراء ! !

وذكر أحد الأعضاء أن الألسن تتحدث أن حسن البنا قبض ٢٠ ألف جنيه على دفعتين لإصدار قرار الإيقاف وإبعاد بعض الأعضاء إرضاء لبعض الجهات ، وقال عضو آخر إن أسباب الخلاف لا تزال دفينة . وختمت الجريدة مقالها بأن للحديث بقية (٣١٧) .

وفى ١٩٤٧/٣/٢٢ عاودت صوت الأمة الحديث تحت نفس العنوان السابق فأشارت إلى أن السكرى كشف فى الاجتماع عن بعض دوافع الإيقاف ، وأشار إلى عودة الحكومة إلى السماح للمرشد وغير المرشد بإلقاء دروس الثلاثاء والتنقل كيفما شاء بعد أن كان ذلك ممنوعا ، وفتح الدار التى بجوار جامع قيسون وقد كانت مغلقة ، وعلى الجملة عودة الحالة سمنا وعسلا بين الشيخ وبين الحكومة التى أقنعته بأن عدم مجاراة الحكومة معناه تأييد الوفد !! المعارض العنيد للحكومة .. ولعل الحكومة رغبت إليه أن يوقف هؤلاء الذين قد يعترضون على هذه السياسة ، ثم ذكر السكرى فى كلامه هؤلاء المتصلين بالشيخ من خصوم الوفد من أمثال شافعى اللبان ومحمد العربى ومنير دلة ومحمد نصير ثم أخيرا - وليس آخرا - وهيب دوس ، وقال إنهم لا يمتون إلى دعوة الإخوان بسبب .

وكان هناك اتجاه شديد لكى يتقدم فريق كبير من أعضاء الهيئة التأسيسية باقتراح عزل الشيخ وإقصائه عن قيادة الجماعة على أن يظل (صوريا) على ما هو عليه وتفويض السكرى وابراهيم حسن وحسين عبد الرازق للتصرف فى شئون الجماعة كلها ولكن هؤلاء ما عدا السكرى أصروا على عدم التعاون مع الشيخ وجماعته إلا على أسس ، منها تطهير صفوف الجماعة من ذوى السمعة السيئة وفى مقدمتهم عابدين صهر الشيخ (٣١٨) .

ولقد أحدثت هذه الخلافات وما تبودل فيها من اتهامات بالإسراف ومظاهر البذخ والأبهة ، وما تعانيه الجماعة من أزمات مالية دفعها للاقتراض من بعض شركاتها لدفع مرتبات موظفى المركز العام ومواجهة خسائر الجريدة ، أحدث هذا نوعا من البلبلة والقلق عند بعض الأعضاء المساهمين فى شركات الجماعة .

ولقد عبر عن هذا القلق ما نشرته صحيفة صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/٢٦ بتوقيع "مساهم" تحت عنوان "أسئلة فى العضم إلى الشيخ المرشد" من عديد من الأسئلة الموجهة من الإخوان بمنطقة البحر الأحمر الذين يملكون عددا كبيرا من أسهم شركات الجماعة ودفعوا ثمنا بضعة ألوف من الجنيهات بواقع السهم الواحد أربعة جنيهات .

وتتساءل الجريدة : هل صحيح أن هؤلاء الأعضاء كتبوا إلى الشيخ حسن البنا يسألونه عما جرى لأسهمهم ، وهل هى ربحت أم خسرت ؟! وهل صحيح أنهم كلفوا الأستاذ حسنى شقيق الدكتور ابراهيم حسن ليبلغه استياءهم وقلقهم لعدم تلقيهم ردا منه يطمئنهم على أموالهم التى اقتطعوها من أجورهم اليومية الضئيلة ؟!

وهل صحيح أنهم أنذروا الشيخ بغلق الشعب وفض السامر إذا لم يبين لهم حقيقة الأمر فى قصة خلاف الشيخ مع أقطاب الجماعة وهم السكرى وابراهيم حسن وكمال عبد النبى وحسين عبد الرازق ؟!

وتنهى الصحيفة تساؤلاتها بالقول : "إنا لفى انتظار جواب من الشيخ "المرشد" فإن لم يفعل كشفنا عما لدينا من أوراق فضاحة تتعلق بالتغرير بالبسطاء والسذج وجمع المال منهم " (٣١٩) .

ولكن جريدة الإخوان المسلمين تنبرى إلى الدفاع عن المرشد العام وعبقريته الفذة فى اختيار رجاله وتربيتهم ودوره المتفرد وجهده المتفانى فى سبيل بناء الجماعة وانتشارها فى كل مكان فلا يقلل من مكانته "أن اختلف رجاله أو تنازع بنوه" فهو أقدر على جمع الصفوف حول فكرته .

تحدثت الجريدة فى ٢٢ مارس ١٩٤٧ تحت عنوان "روعة البناء" عن انتظار عواصم العروبة ومدائن الإسلام نتيجة اجتماع هيئة الإخوان ، وتعدد المواقف تجاه الخلاف داخل صفوف الجماعة ومن هذه المواقف موقف "من هداهم الله إلى الرشد فما استرابوا لحظة فى أنها دعوة الحق" وعن الموقف الثانى قالت إنه موقف السذج الطيبين وهؤلاء قد توجسوا خيفة على دعوة الله .. ولكنهم لم يعترفوا ان فارسها الأول ومرشدها الامين قد اختار رجاله فأبدع وربى أبناءه فأجاد ولم يفهموا أن الرجل الذى طوى البلاد وحيدا إلا من إيمانه فريدا إلا من عقيدته ، وأسس فى كل بلد حصنا وفى كل قرية شعبة وفى كل كفر مدرسة ، فعل كل ذلك وحده فلا عليه إن اختلف رجاله أو تنازع بنوه ، إنه قدير بفضل الله وقوته على شفاء القلوب وعلاج الجروح وجمع الأفئدة حول فكرته الخالدة " (٣٢٠) .

ولكن هذا الدفاع لم يمنع الانهيارات والاستقالات من الجماعة .

ففى جريدة البلاغ الصادرة فى ١٩٤٧/٤/١٥ نقرأ استقالات من الأستاذ أمين مرعى بك رئيس الإخوان المسلمين بالاسكندرية ومن الدكتور أنيس الخشن رئيس اللجنة الطبية والعضو فى المكتب الإدارى بالاسكندرية ومن الأستاذ فهمى هاشم المحامى والعضو فى هذا المكتب أيضا .

وفى يوم ١٩٤٧/٤/١٦ تنشر البلاغ تحت عنوان "أشياء لا ترضى الله ولا الناس ولا الخلق الكريم أيضا !! " مقتطفات من رسالة الأستاذ أمين مرعى إلى الأستاذ أحمد السكرى وكيل الإخوان بشأن استقالته وقد جاء فيها : "فمنذ بضعة شهور والألم يحز فى نفسى لما اكتشفته فى الكثيرين من القائمين على دعوة الإخوان وفى كثيرين من الإخوان مما لا يرضى الله ولا الناس ولا الخلق الكريم ، وهذا فضلا عن الاضطراب والفوضى وسوء النظم والتردد فى الحق ، وقد ذهبت نصائحى سدى ، بل لقد ازداد الأمر سوءا ، ولهذا صحت عزيمتى على الاستقالة" (٣٢١) .

وقد نشرت البلاغ فى ١٩٤٧/٤/١٩ أن الإخوان المسلمين أصيبوا بزلزال بعد تقديم وثيقة الدكتور ابراهيم حسن وأن جماعة الاسكندرية قد استقالت بسبب هذه الوثيقة مما يؤكد خبر الاستقالات التى نشرتها الصحيفة نفسها فى ١٥،١٦/٤/١٩٤٧ .

ولكن جريدة الإخوان المسلمين فى ١٩٤٧/٤/٢٠ نفت ذلك وقالت : "زعمت البلاغ استقالة الإخوان بالاسكندرية وهى مغالطة ، فقد حدث خلاف بين الأستاذ أمين مرعى وبين الإخوان هناك لا يزال موضع تحقيق المركز العام" (٣٢٢) .

ثم بعد يومين نشرت نفس الجريدة أن مكتب الإرشاد العام قرر بجلسته المنعقدة فى ٢١ ابريل ١٩٤٧ فصل الأستاذ أمين مرعى من عضوية الجماعة (٣٢٣) .

ولكن الأستاذ مرعى يرد على ذلك بجريدة البلاغ فى ١٩٤٧/٤/٢٤ بأنه أرسل كتاب استقالته فى ٦ إبريل وأرسل البنا الأستاذ حسين كمال الدين ليقنعه بالبقاء فى زمرة الإخوان فرفض العرض فأرسل البنا الأستاذ السكرى لإقناعه بالعدول فرفض أيضا ثم يعلق "فبماذا نسمى قرار الفصل مع ثبوت هذه الحقائق ؟ أليس هذا هو الفحش فى الكذب " (٣٢٤) .

وتنشر نفس الجريدة بنفس التاريخ استقالة عضو آخر من المكتب الإدارى بالاسكندرية وهو الأستاذ : عبد السلام بدر المحامى تقدم بها للأستاذ حسن البنا يقول فيها لحسن البنا إن المبادىء التى ناديتم بها هى مبادىء خالدة ولكن هيهات هيهات بين هذه المبادىء وتلك الأيادى الملوثة ، وهيهات هيهات أن ترى النور هذه الآيات البينات فى ذلك الجو المؤلم الخانق الذى لمسته خلال الاثنى عشر شهرا .. فصدمت أول ما صدمت بالدس والتآمر ثم الوقيعة والتشاحن بين فريقين من الإخوان بالاسكندرية تنازعا وتطاحنا بتبادل التهم والطعنات سرا ومجاهرة .

هذه الحالة التى لم تحدث فى هيئة سياسية أو اجتماعية أو دينية من قبل .. ثم يقول عن معانى الرسالة السامية إنه يبدو أنها لم تعرف بعد طريقها إلى نفوس كثير من الإخوان وقادتهم أو قل إن هذه النفوس ضلت سبيلها إلى حقيقة الدعوة وجوهرها فوجدتها سبيلا معبدا الى الاستغلال للمنافع المادية والشخصية ، ثم انتقلنا إلى سلسلة من المؤامرات والدسائس لم تنته حلقاتها إلى

اليوم . الأمر الذى يرهق الأعصاب ويثقل على الضمائر الحية ويدخل اليأس في أشد النفوس صلابة .. وصار وجودى فى هذه الهيئة إثما جسيما امام الله وأمام ضميرى وأمام المسلمين وشرا وبيلا على المثل العليا التى اعتقدت أنها فى محيط الإخوان تصديقا لما يرددونه بألسنتهم وكنت من الواهمين .

وتنشر البلاغ أن الأستاذ عبد السلام بدر الدين أرسل صورة من هذه الاستقالة إلى الأستاذ أمين مرعى بك مصحوبة بخطاب مؤرخ فى ١٩٤٧/٤/١٩ يذكر فيه سبب استقالته من عضوية المكتب الإدارى للإخوان المسلمين بالاسكندرية ، وهو حالة "الانحلال الشديد والانهيار التام فى مجموعهم وأفرادهم ولتلك الأساليب المزرية التى يعالجون بها أمورهم ، والتواء مقاصدهم الحقيقية التى تتنافى مع أبسط قواعد الإسلام وفى النهاية يقول له :

ومع تقديرى التام لجهادكم فى سبيل إصلاح أمرهم وتضامنى معكم فى موقفكم المشرف الذى انتهى باستقالتكم تقبلوا فائق الاحترام والتقدير (٣٢٥) .

وتنشط الجماعة وكتابها فى الرد على هذا الهجوم والتعريض بالمنشقين ولكن هذا الرد اتخذ أساليب مختلفة .

فحسن البنا فى حديث الثلاثاء "يلبس ثياب الصابر المتسامح والمفترى عليه ، المرتفع عن الإيذاء والعاف عن أن يذيع عن المنشقين ما يخجل ولا يطلب لهم إلا الرحمة والهداية .

ففى حديث الثلاثاء الذى نشرته جريدة الإخوان المسلمين فى ١٧ مايو ١٩٤٧ تحت عنوان "ستحل قضايانا وكما نحب" يطالب بالصبر وتحمل الافتراء والأكاذيب والحسد فيقول : " وأحب أن أذكركم فى هذا المقام بالأدب مع البارى جل شأنه حين يواجهنا القدر بما نكره ، فعلينا أن نصبر وان نحتمل الافتراء ونصمد للأكاذيب ونكافح الحسد والحقد وسوء الخلق "

وإن واجهنا القدر بما نحب فعلينا أن نشكر ولا نطغى ونزداد فى الطاعة والعبودية ورحم الله من قال :

تلذ لى الألام إذا أنت مسقمى وإن تمنحنى فهى عندى صنائع

وقد يجرى الله سبحانه الأذى لنا على أيدى الناس لكى لا نسكن إليهم أو يشغلنا عن ذكره شيء وما هم بضارين من أحد إلا بإذن الله " (٣٢٦) .

وفـى نفـس الجريـدة بتـاريخ ١٩٤٧/٥/٣١ فـى حديث الثلاثـاء تحـت عنوان "نظرات فى كتاب الله" يطالب بالرحمـة فـى مواجهـة الإيـذاء والدعـوة للمتمرديـن بالهدايـة لأن الدعـوة تنتصـر بالإيمـان والحـب ولا يصـح أن نذيـع عنهم ما يخجل كل مسلم وذلك فى سياق شرحه للآية الكريمة " يـا أيهـا الذيـن آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهـم .. " فقـال : " فكونـوا أنتم الرحمـاء بكـل مسـلم وعلمـوه كيـف يكـون الحـب والصفـح والترفع عـن السفسـاف والابتعاد عن الظن السيء والقول الجارح والبهتـان المقيت ، سـدوا على الشيطـان هذه الثغرات واجعلوا المسلمين كـالحديد تماسـكا وقـوة واتحـاد عنصـر "

ثم تحدث عن أثر الاستعمار فى انهيار الأخلاق ثم قـال : "وإذا رأيتـم من يسبكم ، فادعوا له بالهداية والخير واحمدوا الله على نعمة العفاف والطهر وحبكم للناس فلن تظهر دعوتكم إلا بشيئين : ١-إيمان بالله عميق ... وتحمل لكل صعب " وإذا مروا بـاللغو مـروا كرامـا" . "وإذا خـاطبهم الجـاهلون قـالوا سلاما " .

٢-وحب فى الله وثيق يجعلكـم علـى قلـب رجـل واحد فتسـيروا إلـى غـايتكم منصوريـن ، فـاصبروا وصـابروا ورابطـوا وافعلـوا الخير لعلكـم تفلحـون ، واعتقدوا أن كل موحد مهما كان عدوا لكم فهو شقيق الفكر والعقيدة وكم فـى الذين أضلتهم أكـاذيب الزعمـاء وأفسدت قلوبهـم الحزبيـة البغيضـة مـن خـير يحتاج إظهاره إلى الزمـن فصونـوا ألسـنتكم وطهـروا قلوبكـم واصـبروا علـى الأذى ، فسيفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفـاتحين ، ولا يهولنكـم طوفان الأكاذيب وفيضـان الزور والبهتان ولا تحسبوا أن ذلـك يحتـاج إلـى رد بالقول الممـاثل كالشغب الذى يرمى به المبطلون . وإذا قلتم إن أهـل الأبـاطيل يذيعونـها وصنـاع الأكاذب يشيعونـها أفلا يليق بأهل الحـق أن يذيعـوا عنهـم مـا هم عليه (بحق) مما يخجل كل مسلم ويزرى بكل رجل ؟ "

وعلى هذا التساؤل لا يجيب إجابة مباشرة موضوعية وإنما يحـاول – فى مهارة وذكاء ولباقة – الهـرب مـن الإجابـة علـى اتهامـات المنشـقين التـى يسميها أكاذيب تافهة وحقيرة لا تستحق الرد ، يقول حسن البنا فى الـرد علـى تساؤله : " وجوابنا على ذلك الذى نستمسك به فى كل حين : هو صـبر جميـل فإن الله هو المستعان على ما يصفون ، لا نقابلهم إلا بالدعاء لهم بالهداية فـى

إلهامهم الرشد ، أما الأباطيل والأكاذيب فهي من التفاهة والحقارة بحيث لا يصدقها أقل الناس عقلا وبحيث يشمئز من وضاعتها أعدى الأعداء .

وإنما هى شياطين تنطق على ألسنة قوم ليس لهم من الذنب إلا ما يكون للببغاء حين تلقن شيئا لترديده.

وإن الأيام تجد بالعرب وبالمسلمين فلا يصح أن ننغمس في تيار تافه خائب هو تيار الخصومة المضللة الحقيرة الهزيلة " (٣٢٧) .

هذا مثال للرد اللين الهين على المنشقين والذى يتفق مع اللباقة والمرونة والدهاء التى كانت من صفات حسن البنا .

ولكن لم يكن هذا هو الأسلوب الوحيد للرد فقد كان هناك أيضا الرد الخشن والهجوم الذى كان يكيل الصاع صاعين .

فقد سبق أن ذكرنا تعريض الأستاذ عبد العزيز كامل بالمنشقين فى حديثه مرة عن مهندسى السطح ومهندسى القاع ومرة أخرى عن صنفين فى الدعوة صنف يحمل الدعوة وصنف تحمله الدعوة والآن نشير إلى لون آخر من التعريض والهجوم كتبه فى مجلة الإخوان المسلمين أيضا بتاريخ ١٩٤٧/٥/٢٤ بعنوان إلى "الإخوان العاملين" يصف فيه المنشقين فى مكرهم بالثعالب فيقول :

"كثيرا ما تضعف أجنحة أقوام عن التحليق فى آفاق الدعوة فتغلب عليهم طباع الثعالب ويعتبرون العنب حصرما " (٣٢٨) .

وفى العدد التالى من نفس المجلة يواصل تعريضه وهجومه على من طردوا من الجماعة فيتهمهم بحب الدنيا والجرى وراء المغانم بينما لم يخلصوا فى البذل والتضحية فيقول :

"هناك فئات من الناس حسبوا الدعوة مغانم وملكا عضوضا فبذلوا فيها أو خيلت لهم نفوسهم أنهم بذلوا ، وانتظروا الجزاء الدنيوى العاجل ، ونسوا أو تناسوا أن أصحاب الدعوات هم أتباع الأنبياء فى كل زمان ومكان وإن دستورهم البذل والبذل وحده " .

وذكر أن العاملين يعتبرون استمرارهم فى البذل ثوابا من الله وأن أفضل ثوابهم أن يقبلهم الله جندا فى كتيبته وأنهم ارتفعوا بإيمانهم فوق جاه المنصب وغرور الصدارة .. ولم يتبعوا إنفاقهم منا ولا أذى .. ويتحدث عن

أنهم يحملون الدعوة فى صمت وسكون وتعف نفوسهم عن حياض تتزاحم عليها النفوس الصغيرة وذكر أن المخلصين قليلون وانتهى إلى القول بأن هناك صنفين من الناس من "أولهما ليل الدعوات وظلامها ومن ثانيهما نور الدعوات ونهارها" (٣٢٩) :

٦- انشقاق أحمد السكرى

يشترك هذا الانشقاق مع الانشقاقين السابقين فى نفس الأسباب ، وإن كانت القضية الجوهرية فى الأول هى التصادم مع بقية فصائل الحركة الوطنية والتهادن مع حكومة صدقى ، وفى الثانى كانت القضية المحورية هى ما نسب إلى عبد الحكيم عابدين من تهم أخلاقية أما الأخير فالحلقة الأساسية فى الخلاف تكمن فى الموقف من الوفد وأحزاب الأقلية .

ورغم أن انشقاق السكرى كان أقل حجما من انشقاق مجموعة شباب محمد سنة ١٩٤٠/٣٩ غير أنه كان أخطر انشقاق شهدته الجماعة لأهمية المنشقين الذين كان على رأسهم السكرى ، ولخطورة الظروف التى حدث فيها ، ولذلك كان لهذا الانشقاق أثره العميق فى إضعاف الجماعة وإتاحة الفرصة لأعدائها فى ازدياد وحدة هجومهم عليها .

ويعود أصل الخلاف إلى أمور داخلية وأخرى خارجية ، أما الداخلية فقد كان من أهمها المسائل الأخلاقية التى نسبت إلى عبد الحكيم عابدين صهر الشيخ حسن البنا الذى تمسك به بل وصدره للهداية والإرشاد رغم ما ثبت عليه من جرائم لا تتفق مع أى خلق أو دين وقد أقر بها الشيخ البنا أما فى الأمور الخارجية فهى ما يتصل بانزلاق حسن البنا إلى مهاوى السياسة الحزبية ومساومته لأهلها وضغطهم عليه للتخلص من زميله وشريكه فى الدعوة (٣٣٠) .

وكانت العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين والوفد قد توترت وتصاعدت إلى أعمال عنف كما حدث فى بورسعيد ، وأضعف هذا الصراع من نمو الحركة الوطنية ، وكان السكرى يتزعم فكرة توحيد العمل بين الإخوان والوفد ويرى أن اندماجهما سيحقق التكامل الروحى للوفد ، ويفسح المجال للجماعة كى تدخل الانتخابات بثقل أكبر بحيث يتيح لها ذلك السيطرة على الحكم وكان السكرى يرى فى نفسه الزعيم السياسى للجماعة على أن يتولى البنا جانب النهوض بالدعوة (٣٣١) ويرى أن اندماج الجماعة مع الوفد سيعطيه دورا أكبر من الدور الذى ينهض به داخل صفوف الجماعة كنائب لرئيسها لا يتيح له حسن البنا من السلطة ما يتكافأ مع طموحاته أما حسن البنا

فكان يرى فى هذا الاندماج تمييعا لجماعته وذوبانا لها داخل الوفد ، وكسرا لانفراده بالسلطة داخل الجماعة ، ولذلك وضع شروطا يستحيل تحقيقها لإتمام هذه الوحدة وهى أن يتبنى الوفد - وهو الحزب العلمانى - مبادىء الجماعة .

وفى رسالته إلى حسن البنا التى رد بها على خطاب إقالته من جماعة الإخوان المسملين بدأ أحمد السكرى باتهام حسن البنا بالاستبداد والانفراد بقرار فصله فيقول :

" أما أنك تستبد وحدك بالأمر وتنزع ممن حضر من إخوان الهيئة التأسيسية يوم ٩ يوليو الماضى سنة ١٩٤٧ - رغم معارضة ذوى الرأى منهم - تفويضا بإقصاء من تشاء وفصل من تشاء هربا من التحكيم وفرارا من مواجهة الموقف ، ودون تمكين من تتهمه أو يتهمك من إبداء رأيه والدفاع عن نفسه فإن هذه ديكتاتورية يأباها الإسلام وتأباها الشرائع والقوانين وتتنافى مع المنطق والخلق " .

ثم أخذ يتحدث عن الدعوة اليوم بأنها "أصبحت تتعثر فى كل واد وتكاد جذوتها تستحيل إلى رماد وأخذت ترتطم بالصخور ، ويكاد يفقد قادتها الهدى والرشاد والنور! " ثم تحدث عن تسلل المنافقين والانتهازيين إلى سفينة الدعوة لإغراقها فقال : "بل ما بال هذه الجرذان والحشرات قد قفزت إلى قاع السفينة تفسد الغذاء الصافى وتلوث البلسم الشافى وتنهش جدرانها فتكاد تغرق فى اليم السحيق !؟ ومن هنا يا أخى نشب الخلاف بينى وبينك " .

وأخذ يتحدث عن أسباب الخلاف الحقيقية فأشار إلى ما قدمه من نصائح يرجو الشفاء " فأخذتك العزة وأشحت بوجهك وقربت إليك أهل الفساد ورميت بالدعوة فى أحضان السياسة والسياسيين وضحيت بأهل الرأى والإخلاص والسداد " وأشار إلى اعوجاج الصف وحدوث الأمور الداخلية والخارجية التى سبق أن أشرنا إليها وفضل الانتظار فى الجماعة أملا فى الإصلاح " وإذا بك يا أخى لا تبالى بصيحات الأحرار بل عملت على إقصائهم الواحد تلو الآخر ، ولم تبال كذلك بما نسب من المسائل الخلقية إلى بعض من صدرتهم للقيادة والإرشاد بعد أن ثبت ما ثبت واعترفت أنت بما وقع ، وماذا كان عليك ونحن دعاة الفضيلة والأخلاق لو أصغيت إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد

سرقت لقطعت يدها" فتضرب بذلك المثل الأعلى فى الانتصار للحق ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين "

ولم تكن هذه المسائل الخلقية وحدها بيت الداء بل وجدت الدسائس والفتن الداخلية والدعايات الباطلة ضد الأحرار وارتباك النظم وفساد الإدارة مرتعا خصيبا داخل صفوفنا ، فإذا ما أضفنا إليها أمرين رئيسيين استطعنا أن ندرك سر ما وصلنا إليه من تدهور واضطراب لا يخفيه هذا الطبل الأجوف والدعايات الفارغة التى تمتلىء بها الجريدة كل يوم .

أما هذان الأمران فهما أولا: دخول بعض العناصر الانتهازية المأجورة فى صفوفنا بإيعاز من رجال السياسة وتدخل سادتهم فى شئوننا وتضحيتك بأغلى رجال الدعوة فى سبيل رضاهم ثانيا : الإغراق فى السياسة الحزبية تبعا لذلك إغراقا تاما وتقلبك فى هذه السياسة وتناسى أهدافنا السامية مما جعلنا موضع مساومة الجميع . ولا أظننى فى حاجة إلى أن أذكرك ، ولو على سبيل الإيجاز بما وصلت إليه أسهم الإخوان من الانحطاط عقب تولى صدقى باشا الحكم بسبب تغلب هذه العناصر النفعية عليك فى مهادنته ومسايرته ، وما كان من سخط الناس علينا واشتباكنا بعد ذلك مع الوفديين فى بورسعيد وغيرها ثم طلبك إلى بإلحاح أن أسافر إلى الاسكندرية للتفاهم مع الوفديين ، وذهابك بنفسك مع أحد الإخوان إلى منزل أحد أقطابهم ليلا تعرض عليه التعاون معهم لكف حملاتهم ، ثم تغلب العناصر النفعية عليك ثانية لنقض هذا التفاهم وإذكاء نار الفتنة والحرب الأهلية بيننا وبين الوفد إرضاء للحكومة القائمة " .

ثم تحدث عن محاولاته للإنقاذ وعن أن الأمور كانت تسير من سىء إلى أسوأ ثم اكتشافه عن طريق الصدفة لاتصال حسن البنا ببعض الشخصيات الأجنبية والمصرية ، " وهالنى ما حدثنى عنه أحدهم يوم ٧ فبراير ١٩٤٧ !!" .

وتكلم عن تنفيذ المؤامرة ضده التى بدأت بقرار الإيقاف بتهمة التمرد على القيادة ثم إخراجه من الجريدة "التى لا يعلم الناس أن سر تدهورها هو سيطرتك عليها وشل نشاطى فيها .. وبعد ذلك يا أخى أسفرت وكشفت القناع متماديا بالدعوة فى الانزلاق السياسى مع الغفلة التامة عن أهدافنا ومبادئنا مما جعلنا مضغة فى الأفواه وجعل الجميع يتحدثون عن أننا صرنا سلعة تباع

وتشترى لا تتقن إلا الدعاية والتهريج " ثم ذكر أن البنا تمادى فى إطلاق ألسنة السوء فى الأقاليم للتشويه من سمعته ، والحط من كرامته زورا وبهتانا ثم فى النهاية يفصل "تحت ضغط هذه الفئة من رجال السياسة " (٣٣٢) بخطاب البنا له فى أول اكتوبر ١٩٤٧.

أما عن أسباب الخلاف من وجهة نظر الأستاذ حسن البنا فقد ذكرها فى خطابه المطول إلى الأستاذ أحمد السكرى الذى شرح فيه أسباب الفصل (٣٣٣) وكررها السكرى فى خطابه وهى :

١- أننا اختلفنا فى أسلوب التفكير وتقدير الظروف والأشخاص والأحوال .

٢- أننا اختلفنا فى وسائل العمل .

٣- أننا اختلفنا فى الشعور نحو الأشخاص (٣٣٤) .

وقد رد الأستاذ المرشد على السكرى فى نفس جريدة الإخوان التى نشرت خطاب السكرى فاتهمه باستخدام الأسلوب الملفوف ، وعن اتهامه بالاستبداد والتصرف الفردى دون انتظار الهيئة التأسيسية التى يمكن أن تصغى لما يقول وتحكم بناء على ما تسمع ذكر حسن البنا أن الهيئة التأسيسية انعقدت مرتين قبل قرار الفصل الأولى بتاريخ ١٣ مارس ١٩٤٧ والثانية فى ٩ يوليو ١٩٤٧ وكانت الأولى لمحاكمة أحمد السكرى وزملائه بعد قرار الإيقاف واستمر اجتماعها ستا وثلاثين ساعة وكان نصيب أحمد السكرى فيها من الكلام ست ساعات متواصلة ، ويقول حسن البنا " فلم لم تصارحها بهذا الذى تكتبه الآن ولم أعلنت أمامها ثقتك التامة بى وجددت بيعتك لى وقبلت لومها على تصرفاتك ، واشتركت معها فى قرار الاستنكار الذى أصدرته " لمذكرة الدكتور ابراهيم حسن ." ولقد جاء فى خطابك أنك اكتشفت عن طريق الصدفة اتصالاتى ببعض الشخصيات الأجنبية والمصرية وهالك ما حدثك عنه أحدهم يوم ٧ فبراير ١٩٤٧ ولقد أدهشنى منك هذا القول وعجبت من أنك لم تصارحنى بهذا الذى اكتشفته ، وكيف كتمته عن الهيئة التأسيسية التى انعقدت بعد ذلك بنحو شهر واحد بتاريخ ١٣ مارس ١٩٤٧ " ثم تساءل حسن البنا عن عدم انتهاز السكرى فرصة الاجتماع الثانى وكان بعد الأول بأربعة شهور فيدلى إلى الجمعية بآرائه " وذكر حسن البنا أن موضوع السكرى لو عرض على مكتب الإرشاد أو الهيئة التأسيسية والإخوان فردا فردا لكان

حكمهم عليه بالإجماع قاسيا ، وأنه أجهد نفسه فى رد هذا الحكم عنه فى الاجتماع الأول والثانى للهيئة أملا فى إصلاحه ووفاء بحق الأخوة .

ويلاحظ أن هذه التساؤلات تتناول الناحية الإجرائية ولم ترد ردا مباشرا على موضوع الاتهامات نفسها بالنفى أو الإثبات محاولا قفل باب المناقشة والجدل مختفيا وراء التعمية والإبهام والردود المقتضبة والمنازلة فى غير ميدان الصراع الحقيقى ، وعن أسباب الفصل التى أشار السكرى إلى أن حسن البنا ذكرها فى خطابه له وهى :

١-الاختلاف فى أسلوب التفكير . ٢- ووسائل العمل . ٣-والشعور نحو الأشخاص ، فقد علق حسن البنا بأن السكرى حرف " الوقائع بما يصور هذه الأسباب بغير المقصود منها ، وإنما قصدت بالأول أنك تريد الغموض وأريد الوضوح وبالثانى أنك تريد المداورة وأريد المصارحة وبالثالث أنك تؤثر خصوم الدعوة وتفضى إليهم بشئونها ، وأحول أنا دون ذلك وأكف عنك سخط أبنائها والمؤمنين بها ، والوقائع لا تشرفك ، والناس جميعا يعلمون أينا كان يريد أن يورط الدعوة فى السياسة الحزبية وأينا كان يحميها من ذلك . وعواطف الرجال وسياسة الدعوات وخطط الجماعات وأمانات المجالس التى لا يقصد بها إلا وجه الله وخير الدعوة لا يليق أن تعرض سلعا رخيصة فى الأسواق ، لا لشىء إلا لشهوة الجدل ولذة الانتقام " (٣٣٥) .

وقد رد أحمد السكرى على حسن البنا فاتهمه بالتغطية على الاتهامات الموجهة إليه والتعمية والإبهام وتعمد توجيه الغمز إليه وتغافل عن الوقائع التى ذكرها .

وعن اللوم الذى وجهه حسن البنا إليه لعدم كشفه الستار أمام الهيئة التأسيسية يذكر السكرى بأنه أراد بذلك ستره وعدم فضيحته بالمحافظة على كرامته "أملا فى الإصلاح وطمعا فى التقويم مع الإلحاح فى النصح والتحذير" ثم يتساءل : " هل أجازى على هذا الإحسان بالتنمر والغدر والنكران ؟ ! " وهل يعتبر ما أقوله الآن - بعد يأسى وطول صبرى - وما سأكشف عنه الستار مدعما بالأدلة والمستندات والصور الزنكرافية والفوتوغرافية . ترى هل يعتبر هذا أمانة للدعوة وإبراء للذمة ليعرف الناس الغث من السمين والخائن من الأمين ، أم يثور ويثور معه بعض الأتباع والأنصار الذين

يؤمنون بتقديس الأشخاص متغافلين عن روح الإسلام وبراءته من الشعوذة والأوهام ؟!"

ثم يقول " وبيدى من المستندات ما إن أظهرته لفر من حولك كل تقى وكل مخدوع " (٣٣٦) .

وإذا كان قرار الأستاذ حسن البنا بفصل الأستاذ أحمد السكرى قد تم فى أول اكتوبر ١٩٤٧ فقد اجتمعت الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين اجتماعها العادى الدورى الثالث يوم الخميس ١٤محرم ١٣٦٧ هـ - ٧ نوفمبر ١٩٤٧ وأصدرت عدة قرارات منها " الموافقة التامة على قرار المرشد العام بإعفاء الإخوان محمد عبد السميع الغنيمى أفندى وسالم غيث افندى وأحمد السكرى أفندى من عضوية الجماعة بناء على تفويض الهيئة السابقة لفضيلته ، ولما تعرفه الهيئة من تصرفات الأستاذ أحمد السكرى قبل الإعفاء وبعده ، فإنها تقرر بالإجماع اعتباره ناقضا للعهد خائنا باليمين خارجا على الجماعة محاربا للدعوة وكذلك كل من اتصل به أو ناصره " وكان من قرار الهيئة أيضا اعتماد انتخاب مكتب الإرشاد العام والذى كان من بين أعضائه عبد الحكيم عابدين وقد اختاره أعضاء المكتب أيضا ضمن هيئة المكتب سكرتيرا عاما للجماعة (٣٣٧).

وقد واصل الأستاذ أحمد السكرى ومعه الدكتور إبراهيم حسن هجومهما على حسن البنا وجماعته وفتحت لهما صحف الوفد مجالا لنشر آرائهما ، كما نشرا المقالات فى صحيفة الجماهير اليسارية التى كانت تنطق باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، وقد التقيا فى بعض أفكارهما مع التنظيمات اليسارية والوفد فوجها الاتهامات لحسن البنا بالعمالة لصدقى والنقراشى ولوح السكرى بأن البنا تقاضى أموالا من الانجليز (٣٣٨) .

ولقد كان لقرارات الفصل وما اقترن بها من اتهامات أثره الكبير على تماسك الجماعة فاستنكر الكثيرون هذه القرارات واستقال البعض مؤيدا لأحمد السكرى ومنتقدا لحسن البنا .

فهذا زميل لحسن البنا منذ عهد طفولته يرسل لصوت الأمة خطابا يقول فيه إنه سافر من بلده إلى القاهرة ليقف من حسن البنا على الدوافع التى دفعته إلى فصل السكرى شريكه فى الدعوة وقد أجابه الشيخ بأن ذلك تم تحت تأثير الظروف الحاضرة ويقول إنه وجد من حسن البنا عنفا وإصرارا على

موقفه العدائى من السكرى " وكلما أحببت أن أستوضح السر لا أجد إلا هروبا ولا أجد إلا مراوغة لم تذكر لى دليلا واحدا ولم تشف ظمئى بواقعة واحدة ولا حجة محددة اللهم إلا تكرارك كلمة "الظروف التى حكمت وإنه كان الواجب على أخيك الأستاذ أحمد أن يخضع لحكم الظروف وإن الظروف ستتغير فكان لزاما عليه أن ينتظر تغير هذه الظروف !! " .

ثم استعرض تضحيات السكرى وإيثاره للبنا ثم غدر البنا به أخيرا وفى نهاية الخطاب يتهم البنا بالاستبداد بالأمر "واستهتارك بالقانون الذى وضعته يداك وتجاهلك لأبسط أسباب العدالة الإسلامية فى الاستشارة ثم فى التحكيم"

وكان التوقيع باسم : على أحمد عبيد المدرس بالمحمودية بتاريخ ١٩٤٧/١٠/٢٨ .

وقد نشرت صوت الأمة فى ١٩٤٧/١٠/١٥ تحت عنوان " ثورة الإخوان على الشيخ البنا وتأييدهم للأستاذ السكرى" أن البيانات التى أصدرها أحمد السكرى وأزاح فيها الستار عن بعض الفضائح التى يرتكبها الشيخ ليبيع الإخوان لرجال السياسة من أعوان الأقلية كان لها وقعها المرير بين الإخوان الذين لا يزالون يحسنون الظن بالشيخ .

وتذكر صوت الأمة أنها تلقت الكثير من الرسائل البرقية والبريدية التى يستنكر فيها أصحابها تصرفات الشيخ البنا ويؤيدون الأستاذ السكرى فى موقفه ويبايعونه ليقود الدعوة وينقذها من شر الشيخ وصهره وزبانيته .

وتذكر الصحيفة بعض هذه الرسائل ومنها :

الإخوان المسلمون بالموسكى : يؤيدون البيان الرائع الذى أذاعه الأستاذ أحمد السكرى ، ويحتجون على تصرفات الشيخ البنا ضد الدين والوطن ويطلبون تنحيه عن قيادة الإخوان ، عنهم عبد الحميد قنديل التاجر .

باب الشعرية : يعلنون تأييدهم للأستاذ السكرى ويستنكرون موقف الشيخ البنا ، عنهم محمد حسين النجار ومحمد على عطوبة وأحمد محمود الشافعى .. الخ ١١ شخصا .

ادفينا : قذف السكرى بالحق على الباطل فإذا هو زاهق وكشف القناع عن الغش والخداع باسم الدين فإذا الدنيا قد تبدد عنها الظلام الحالك فمرحبا به

قائدا ، وربه يحفظه ويهديه ، وقلوبنا معه تؤيده وتفتديه ، عنهم : محمد الأنصارى وعبد المحسن خطاب .
ديسيا : بايعنا من أمرتنا بمبايعته فخان البيعة وحاد بها عن السبيل القويم ، والآن نبايعك أنت على العمل لإنقاذ هذه الدعوة التى هوت ، فجاهد واعمل ونحن من ورائك جنود الفداء . عنهم عبد السلام أبو سليمان .

وتقول صوت الأمة انها ستوالى نشر ما تلقته من ألوف المؤيدين من البرقيات تباعا (٣٣٩) .

ونشرت صوت الأمة فى ١٣ اكتوبر ١٩٤٧ بتوقيع إخوانى مرتاب تحت عنوان " دكتاتورية غير إسلامية" يقول : " فصل الشيخ حسن البنا من جماعته بقرارات صادرة منه وحده على عدة مرات حضرات وكيلى الجمعية الدكتور ابراهيم حسن والأستاذ أحمد السكرى كما فصل الأستاذين كمال عبد النبى وحسين عبد الرازق وقد كانا من أبرز أعضاء الجماعة ، فقدم دليلا ماديا على أنه لا يعرف معنى الشورى التى هى إحدى القواعد الإسلامية ، وبالتالى قدم دليلا على أنه يكذب إذ يزعم أنه يقوم بدعوة دينية سامية ، فلو أنه كان صادقا لما جافى أبسط الأصول ولما فرض نفسه دكتاتورا على العاملين فى جماعته ، وأحب أن أتساءل : ما معنى خروج هؤلاء جميعا من الجماعة واستنكارهم لتصرفات الشيخ ؟ أليس معنى ذلك أن المرشد مستبد بالأمر يسير بالجماعة إلى غير الطريق القويم الذى رسم لها منذ البداية ؟ إننى أرجو أن يتدبر الإخوان هذه المسائل كلها ، فإننا إذا مضينا أكثر من ذلك فى هذا الطريق فقد نحتمل أوزار ما لا يرضاه الله ولا الناس " (٣٤٠) .

وتنشر صوت الأمة أيضا فى ١٨/١٠/١٩٤٧ هذه الاستنكارات :
الإخوان المسلمون بالدلجمون : توقيعات القائمة الأولى من حضرات : عبد الغنى عبد الباقى رئيس الشعبة ومحمد محمد حجر وكيل الشعبة وعبد القوى محمد رحاب أمين الصندوق ، وعبد الحميد الصيفى سكرتير أول ومحمد مصطفى رمضان سكرتير ثان + ٢٣ سطرا من الأسماء .
حدائق القبة : القاهرة توقيعات ٩ سطور .
باب الفتوح : القاهرة نؤيد الأستاذ أحمد السكرى فى موقفه المشرف إنقاذا للدعوة الإسلامية ونستنكر موقف الشيخ حسن البنا ٧ سطور توقيعات .
القبيسى وغمرة : القاهرة ٧ سطور توقيعات .

باب الشعرية : القاهرة (القائمة الثانية) ١٨ سطرا من التوقيعات .

الإخوان المسلمون بحلق الجمل يؤيدونكم في موقفكم المشرف ويستنكرون موقف الشيخ حسن البنا رئيس الشعبة غريب عوض + ٦ سطور توقيعات .

كفر الزيات : أحمد فؤاد النطاط عن عمال شركة الملح والصودا البالغ عددهم ١٥٧٠ عاملا – محمد على أبو شادى رئيس النقابة + ٢٣ سطرا من التوقيعات (٣٤١) .

وتنشر صوت الأمة في ١٩٤٧/١٠/٢٠ تحت عنوان " شيوخ حسن البنا يستنكرون موقفه وتصرفاته الأخيرة " إن الشيخ حسن البنا ذكر يوم ٢٣ يوليو الماضى في مذكراته التى ينشرها تباعا في جريدته أنه حينما كان في منتصف الرابعة عشرة من عمره كان يحضر في حلقات الذكر والعلم بالمحمودية وتوطدت الصلات بينه وبين بعض الشيوخ الأتقياء الذين تلقى على أيديهم العلم ونشأ في أكنافهم وإنه التقى بالأستاذ أحمد السكرى في ذلك الوقت وكان لهذا اللقاء أثره البالغ في حياة كل منهما ، وقد كتب هؤلاء الشيوخ الأجلاء خطابا بمناسبة تصرفاته الأخيرة . وفي الخطاب تذكية بماضيه وهو طفل معهم وشاب في التصوف ، وحديث عن ارتباطه بالسكرى وذكريات هذه العلاقة على مدى ٢٧ عاما ، ثم يوجهون إلى حسن البنا النقد لتنكره للسكرى وتضحيته به مع إخلاصه ، ويؤيدون السكرى ويحذرون حسن البنا . والخطاب بتوقيع السيد عثمان وشلبى الرحال ، ومحمد أبو شوشة بالمحمودية .

وفي نفس العدد من الصحيفة نجد استنكارات أخرى وهى :

إخوان المعهد العالى للهندسة : عنهم رمضان زكى مراد رئيس لجنة الإخوان بالمعهد .

شباب منطقة الشهداء : عنهم محمد خليل الضبع .

منطقة الوايلى : توقيعات في ٢٥ سطرا .

باب الشعرية : (القائمة الثالثة) توقيعات ١٥ سطرا .

إخوان كفر الزيات (قائمة ثانية) ١٠ أسطر توقيعات (٣٤٢) .

وفي صوت الأمة في ١٩٤٧/١٠/٢١ نجد الاستنكارات التالية :

إخوان طلبة المكس بالاسكندرية عنهم عبد القوى عبد القوى علوان .

إخوان بسيون عنهم عبد العزيز محمود ساهل .

شرشيمة والسكاكرة والمطاعنة – هيها- شرطة : توقيعات شملت ٩٠ سطرا (٣٤٣) .

وفى صوت الأمة فى ١٩٤٧/١٠/٢٣ نقرأ :

إخوان المحمودية يقرعون الشيخ البنا ويستنكرون تصرفاته – بيان طويل على ثلاثة أعمدة بطول الصفحة ، يؤيد السكرى ويستنكر تصرف البنا . توقيعات بطول ٣٠ سطرا (قائمة أولى) (٣٤٤) .

وتواصل صوت الأمة نشر هذه الاستنكارات تحت عنوان "ثورة الإخوان على الشيخ البنا " بتاريخ ١٩٤٧/١٠/٢٨ .

منطقة القاهرة :العباسية توقيعات ٢٤ سطرا .

عزبة أبو حشيش توقيعات ٢٦ سطرا .

إخوان ميت برة يستنكرون خداع الشيخ حسن البنا ، وبيعته الدين والوطن لرجال العهد الحاضر ويطلبون تنحى الشيخ عن رئاسة الجماعة . عنهم السيد يس زايد .

إخوان دمياط : توقيعات ٣ سطور .

شعبة كفر الأكرم : توقيعات ٣ سطور .

إخوان المحمودية (قائمة ثانية) : توقيعات ١٩ سطرا .

إخوان منطقة العطفى توقبعات ٢٦ سطرا .

الخرنفش القاهرة توقيعات ٥ سطور (٣٤٥) .

وتوالى صوت الأمة نشر هذه الاستنكارات ، فنقرأ فى عددها الصادر فى ١٩٤٧/١٠/٣١ تحت عنوان "يستنكرون تصرفات الشيخ البنا" ما يلى :

إخوان المحمودية (القائمة الثالثة) توقيعات ١٨ سطرا .

إخوان النجيلة بحيرة عنهم : السيد الطناني – إخوان أريمون (قائمة أولى) توقيعات ١٨ سطرا – القصر (قائمة أولى) ١٢ سطرا – دمنهور : نستنكر تصرفات الشيخ البنا وتخبطه بين الأحزاب واستبداده بالأمور مخالفا فى ذلك تعاليم الإسلام الحنيف ونؤيد الأستاذ أحمد السكرى فى موقفه . محمد حسن عاص دمنهور (٣٤٦) .

وكان الشيخ حسن البنا قد عمل على تحصين أعضاء الجماعة من التأثر بالاتهامات التى نشرها الأستاذ أحمد السكرى فى خطابه إليه فوجه

حسن البنا فى ١٩٤٧/١٠/١٢ بيانا إلى الجماعة بعنوان " إلى الإخوان الفضلاء " ذكر فيه أن السكرى بخطابه السابق قد اعترف "بما كان ينكره من قبل من محاربة الدعوة والقيادة ويقسم على البراءة منه بأغلظ الإيمان فى كل اجتماع وكل مكان ولقد كشف لنا الأستاذ أحمد بخطابه هذا عن كثير مما كان قد خفى علينا من نفسه وتصرفاته ووضع يدنا على الحلقة المفقودة فى الفتنة الماضية" وذكر أن من عظيم فضل الله على الدعوة أن يلحق الأصل بفرعه ثم نصح أنصاره بأن لا يقيموا وزنا لما ستنشره الصحف المغرضة من أنباء أو أخبار خدمة لأغراضها واتجاهاتها الخاصة فليس فى الوقت متسع للجدل (٣٤٧) .

وتبادلت صحف الإخوان والوفد الاتهامات بالتزوير ونشر برقيات استنكار أو تأييد ملفقة ومفتعلة ، فصوت الأمة تنشر الاستنكارات لفصل السكرى وجريدة الإخوان تتهم هذه الاستنكارات بالتزوير .

ومن أمثلة ذلك أن صوت الأمة نشرت أن أهالى أريمون مركز المحمودية بحيرة خارجون على الدعوة والقيادة يؤيدون السكرى ويستنكرون تصرف البنا ، فتنشر جريدة "الإخوان المسلمون" أن سكرتير الإخوان بمنطقة دمنهور ومن أعيان أريمون أرسل إليها يشرح الوسائل التى استخدمت لحمل بعض الأهلين من أهل هذا البلد على التوقيع كما أرسل مع خطابه عريضة باستنكار ما كتب وتأييد للمركز العام للإخوان .

وقد ردت صوت الأمة تتحدى الشيخ فى أمرين أولهما : أن ينشر ما وصله من ورقة مزورة ليقدم موقعوها إلى القضاء بتهم التغرير والتزوير والثانى : أن يتشجع ويرسل أحد صبيانه إلى أريمون .

وترد جريدة الإخوان بقبول التحدى فتنشر ما وصلها من ورقة تقول إنها صحيحة وليست مزورة أما عن البند الثانى فى التحدى فترد جريدة الإخوان بان الدعوة العزيزة إنما يقصد إليها الناس وهى لا تستجدى الأنصار ولا الأتباع وحسبنا من فى أريمون من رجال كرام ليسوا فى حاجة إلى أن نرسل إليهم أحدا .

ويقول سكرتير الإخوان بمنطقة دمنهور فى خطابه إن السكرى منذ فصل من الجماعة وهو يرسل بمندوبيه إلى القرى لأخذ توقيعات منهم بتأييده

بزعم أن هذه العرائض إنما هـى شكوى للحكومـة لتنفيذ أحد مشـاريعها وإن الأهالى حين علموا بحقيقة الأمر كذبوا واستنكروا هذه العرائض (٣٤٨) .

وينهض حسن البنا – وهو أقوى جهاز للدعاية فى الجماعـة – ومعـه كتاب الجماعة المؤيدون له لتثبيت أنصاره وللرد على الاتهامات الموجهة إليه وإلى الجماعة ومواجهة آثارها ولكن بشكل غير مباشر .

ففى احتفال للإخوان بمنطقة السيدة زينب يخطب المرشد العـام فيبـدو فى مظهر النقى المتسامح الودود والذى لا تحرفه المحن عن هدفـه الرئيسـى فيدعو إلى تطهير القلوب من الأحقاد وكما يدعو إلى الصفح " عمن نال منكم وأساء إليكم " وهو يشير بذلك إلى أحمد السكرى بعد إقالته ثم لاحظ قوله "نـال منكم وأسـاء إليكـم" مبعدا الإسـاءة عنـه بينمـا يسندها إلـى جمـاهير الجماعـة لاستثارتها بذكاء ، وهو يضن بهذه القلوب الطـاهرة أن تلـوث بحقد وبخاصـة إذا كان مع افراد جمعتهم يوما ذكريات وألفت بينهم معان وأعمال ، ويقـول : " ادخروا جمرة البغض لساعة آتيـة قريبـة نلقـى فيهـا خصومنـا " ثـم بكبريـاء وتعال يستطرد : " ولست أعنى خصومنا فى الداخـل ، فليـس لنـا فـى الداخـل خصوم والحمد لله ، وإن كانوا فهـم كغثـاء السـيل ، سـتحركهم العاصفـة فإمـا سـاروا وإمـا غـاروا فالوصيـة الوصيـة أن تدخـروا سـاعة البغـض لخصومنـا الحقيقييـن خصـوم الأمـة والوطـن " وهـو يقصـد بهـم عـن حـق الاسـتعمار والصـهيونية (٣٤٩) .

وفى "حديث الجمعة" يكتب حسن البنا تحت عنوان "غايـة" داعيـا إلـى الوحدة لأنه بغير الوحدة لن يستوى صف ولن يقوى ضعف ولن يرهـب عـدو ، ومطالبا بالتخلص مـن شـهوات النفس الماديـة : مـن حـب المـال والمظهـر والمتعة ، والأدبية : من حب الحياة والرياسة والسلطة ، فهـذه أولـى خطـوات الحرية الحقيقية ، ولا حرية لعبد أنانيته ، وأسير شهواته (٣٥٠) .

وفى حديث الثلاثاء تحت عنوان "درس فياض ممتـع لفضيلـة المرشـد العام " يرد بشكل غير مباشر على اتهامات السكرى بأن البنا يتلقى أموالا مـن جهات متعددة : فيذكر أن للإخوان ثلاث ميزات الأولى تحديد الهدف والتجرد للمبدأ ويقول إن هذا هو سر نجاحنا والثانية الوحدة والالتئام ويقول إن قوة هذا الرباط جعلت منا هيئة تحسن العمل إذا أرادتـه ، وتعـرف طريقـه إذا عزمـت عليه وتملك وسيلته إذا تحركت إليه . لخير الإسلام والأوطان ونفع المجموع

وبهذه الوحدة نجحنا . والثالثة إننا الهيئة التى وطنت نفسها على أن تعطى ولا تأخذ .

ثم يعقب على ذلك بقوله : " فدعوا المضللين يعيشون فى أوهامهم ويقولون ما شاؤوا واعذروهم فإنهم فى عجب لأنهم لا يعرفون المعانى التى تعيشون عليها " (٣٥١) .

وفى حديث الجمعة أيضا تحت عنوان "تميز" يكتب داعيا إلى العزلة والانطواء والتعصب والبعد عن مناقشة الأفكار المناوئة أو قراءة مطبوعات الخصوم خوفا من التأثر بأفكارهم وقفل باب المناقشة بعد طرد السكرى وما أحدثه من بلبلة وذلك كله تحت دعوى أن الدعوة ناشئة وأنها بحاجة لحماية نفسها بالإيمان العميق الذى يدعو إلى الإعجاب والتجرد وإلى رفع العقيدة والدعوة عن مرتبة الموازنة والمقارنة والجدل والنقاش " ويبدو أنه كان يدرك أنه سيتهم بالتعصب والجمود والانغلاق فقال " والذين لا يعلمون دقائق علم النفوس والدعوات يسمون هذا "تعصبا" ولكنه فى مفتتح عهد كل دعوة وفى أوقات التبلبل والمحنة هو صريح "الإيمان" الذى هو أفضل أنواع الحماية للحق وأهل الحق ولوكره الذين لا يعلمون .

ونحن الآن فى خضم محنة لا ساحل لها وفى مواجهة فتنة طاغية عارمة تمدها وتؤازرها وتمهد لها المطامع والأهواء تلك هى فتنة التناحر بين تعاليم اليمين واليسار ودعاوى الشيوعية والديمقراطية وما تزين به كل دعوة لنفسها من زخرف القول ومعسول الألفاظ ، وسفينة النجاة لنا من هذا الخطر كله والبلاء كله ليست أن نسرف فى النقاش والجدل أو نضيع الوقت فى المقارنة والموازنة ، فذلك له مجالاته العلمية المجردة وميادينه النظرية البحتة ، أما فى مجال التربية والتقويم فليس أجدى على النفوس والأرواح من العودة إلى حضانة الإيمان ، والاعتزاز الكامل بتعاليم الإسلام الحنيف والإقبال على تلاوة القرآن الكريم ومدارسة سيرة السلف الصالحين .. قولوا للمجادلين أيا كانوا من هذا المعسكر أو ذاك . على رسلكم ندعو إلى الإيمان وتدعون إلى الجحود والكفران (ويضرب بهذا على نغمة التكفير لكل من يعارضه) وندعو إلى الفضيلة وتدعون إلى التحلل والرذيلة ، وندعو إلى الحرية والاستقلال وتدعون إلى العبودية والاحتلال ، ولا يستويان أبدا ، فتميزوا أيها الناس " (٣٥٢) .

ويصعد حسن البنا هجومه على المفصولين بشكل يكاد يكون مباشرا هذه المرة فيصفهم بضعف الإيمان وبالطابور الخامس ويتخذ لهذا مدخلا تفسيره لبعض أيات سورة التوبة التى تتحدث عن المنافقين الذين قعدوا ولم يخرجوا لغزوة تبوك وذلك تحت عنوان "نظرات فى كتاب الله " .

يقول حسن البنا : " ومن هنا كان من الواجب على أصحاب الدعوات ألا يجاملوا أحدا على حساب مصلحة الدعوة أبدا ، وأن يظهروا الناس على خفايا الكائدين المنافقين ليحذروهم" وعن ضعاف الإيمان يقول " وأمثال هؤلاء فى الجيوش والدعوات أخطر عليها من ألد أعدائها وخصومها وهم دعاة الهزيمة والطابور الخامس الذى يجب أن يستأصل ويبيد" ويسرع إلى التهوين من شأنهم فيقول : " ولكن هذا لن يؤثر فى الدعوة أو يحول دون النصر وإن كان له خطره وضرره ، ونرى أمثال هؤلاء يسرون بهزيمة أصحابهم ويكرهون لهم الفوز والظهور وقتل الإنسان ما أكفره ، ومن الخير كل الخير للجيش والجماعة أن تتخلص من هذه الأشكال " (٣٥٣) .

واستمرارا فى نفس الاتجاه وتحت نفس العنوان وفى العدد التالى من مجلة "الإخوان المسلمون" يتحدث حسن البنا عن أخلاق المنافقين ومنها انتهاز الفرصة لينفذوا إلى الطعن فى القادة بالباطل والنيل من نزاهتهم بغير الحق واللمز والغمز وإشاعة التهم والأباطيل " وهكذا تتكرر هذه المآسى فى كل عصر ويخرج من بين الطوائف والجماعات من لا يجد إلا أمثال هذه الاتهامات يوجهها إلى رؤسائها والقائمين بأمرها وهم ليسوا مخلصين فى ذلك النقد ولا متحرين الحق أو الخير فى هذا الاتهام ، ولكنهم إنما يريدون منفعة ذاتية لأشخاصهم فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون مع أنهم بذلك يخسرون كل شىء حتى هذا المطمع "

ثم يمد للمفصولين حبال الأمل ويغريهم حين يقول " فلو أنهم رضوا وسلموا وصبروا وانتظروا ما يأتى به المستقبل وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ، لتحقق لهم ما يريدون " (٣٥٤) .

وفى حديث الثلاثاء تحت عنوان "سورة تعدل ثلث القرآن" تحدث حسن البنا فى تفسيره لسورة الحجرات عن شروط النهضة وحصرها فى قائد وجند ومنهاج وغاية وبدأ بالقائد وذكر أن ثلث السورة الأول بين حق القيادة وشرائطها وحسن الأدب معها وعن الثلث الثانى ذكر أنه تناول صفات الجند

وما يكونون عليه من حب ووحدة والثلث الأخير حدد الغاية ووضحها والغاية هى وجه الله .

ويبدو انه بذلك يرد على المنشقين مبرزا أهمية القيادة وضرورة الطاعة لها "وحسن الأدب معها" ويقول بأنه إذا وجد قوم غايتهم هذه ثم لم يرتابوا واجتمعت قلوبهم من غير سخرية ولا تجسس ولا نميمة وتوفرت لهم القيادة التى تقودهم تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشر الناهضين بتحقيق أمانيهم مهما كان أمامها من عقبات (٣٥٥) .

وفى نفس الاتجاه يكتب فى مجلة "الإخوان المسلمون" تحت عنوان " حديث الثلاثاء :نظرات فى كتاب الله " عن أركان الدعوة وشروط نجاحها فيبرز أهمية القوى الروحية ثم يتحدث عن المنهاج والجنود والقائد فيذكر أنه لابد للمنهاج من الوضوح والشمول والتأثير ولابد للجندى من الإيمان والحب والبذل ولابد للقائد من الإخلاص والكفاية والحزم وهو يبرر بذلك الإجراءات القاسية التى اتخذها ضد المعارضين له فى الجماعة ويقول إن هذه الخطوط تنطبق على دعوته وكأنها رسمت من أجلها هى وحدها ثم يعقب على ذلك بتحقير النظم الأخرى التى تحفز المنشقين على توجيه النقد لحسن البنا واتهامه بالاستبداد وعدم تطبيقه لمبدأ الشورى فيقول متهكما محقرا " فأين من نظامنا هذه النظم التافهة المتداعية ، هذه الديمقراطية والشيوعية والديكتاتورية كلها أنظمة لا تضمن الحرية ولا تحقق السعادة (٣٥٦) .

ويتناول راية الهجوم على المنشقين الأستاذ عبد العزيز كامل من خلال المقارنة بين الدعوة وبين السفن التجارية الضخمة التى يعمل فيها صنفان من المهندسين مهندسو السطح ومهندسو القاع فهو يشبه الدعاة بمهندسى السطح الذين ينظرون إلى الأفق البعيد يحددون سير السفينة ويلبسون الحلل الناصعة والشرائط اللامعة وينظر إليهم المسافرون فى إجلال وإكبار ، وكأنه بهذا التشبيه يعرض بالمنشقين الذين يرى أنهم يتصدرون الدعوة ويترأسون مؤتمراتها وحفلاتها ويشار إليهم بالبنان يتمتعون بخيراتها ويستولون على ألقابها الزاهية .

بينما يشبه المنظمين بمهندسى القاع الذين يسكنون قاع السفينة بين الزيت والفحم والضجيج والنار يتلقى الأمر ويراقب الآلة وعرقه يتصبب من جبينه ، ويده ملوثة وثيابه تحمل آيات العناء بقعا متناثرة وإن أهل السفينة

يتحاشون ثياب مهندسي القاع لو صعدوا إليهم وينظرون إليهم في خشية وإشفاق ويستقبلون شهيقا عميقا إذا آوى مهندسى القاع إلى جحرهم الغائر في قاع السفينة .

والكاتب يومىء بهذا التشبيه إلى الإخوان العاملين المناصرين للشيخ حسن البنا ثم يقول : " لا أدرى لماذا أطلقنا على الصنف الأول الدعاة وعلى الثانى المنظمين فقد يكون فى هذا كثير أو قليل من التجوز ، وإنما أحسسنا وفرة الصنف الأول عندنا وحاجتنا إلى كثير من رجال الصنف الثانى الذى يرى حياته بين آلات الدعوة لا على منابرها ويتعبد إلى الله بالإرهاق ويحسن حركة الآلة تسبيحا ، ويسعد بالزيت إذا لامس ملابسه والفحم إذا ملأ خياشيمه ، هذا صنف لا بد أن يتوفر فى سفينة الدعوة حتى تسير ، ولا تغنى عنه الشرائط الذهبية ، والمناظير المكبرة ، صنف يتقرب إلى الله فى قاع السفينة ذاكرا قول الرسول عليه الصلاة والسلام (أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد) وسمعنا صوتا يسرى مع الليل هادئا عميقا : ما أكثر مهندسى السطح وأشد حاجتنا إلى مهندسى القاع فى سفينة الدعوة !!

وصمتنا ، وكان صمتنا عهدا أن نخرج للدعوة جيلا من مهندسى القاع يحفظ توازن الأمر .. ودار الزمن وانفرج وجه الحقل عن نبت جديد . هذا جيل محدود العدد من مهندسى القاع يحاول أن يسد الفراغ ويتقرب إلى الله فى زيت الآلة وحرارة المرجل ويقبض على صمامات الدعوة بعيون يقظة وأعصاب فولاذية (٣٥٧) .

ومرة أخرى يكتب عبد العزيز كامل عن الدعوة فى بدايتها وكيف سارت نقية بعيدة عن الأشواك لم تتضح حولها خصومات عنيفة مرهقة ولم يتميز لها أعداء أقوياء " وكان عامة الإخوان من الفقراء بعيدين عن فساد المترفين بعدا كبيرا " .

ثم يتحدث عن ضرورة العناية بالأساس فى دعوة الإخوان وحسن اختيار العاملين والصفوف الأولى منهم ، لأن أوضاع القيادة ليست مناصب ولافتات نحاسية توضع على الأبواب وحجاب وسعاة واجتماعات تطول وتقصر ، فيها من الضجيج أكثر مما فيها من الإنتاج .. وهو نضح من الأحزاب يجب علينا أن نجرد أنفسنا منه تجريدا محكما قويا " .

ثم تحدث عن عهود المحن ودورها فى تنقية الصف ، لهذا أحس كثيرا من السعادة فى نفسى فى عهود المحن فإنها أفضل طريقة لتنقية الصف العامل وتمييز المجاهدين من القاعدين ، فيها تظهر على أفراد أمراض لم تكن موجودة من قبل وأقوام يقولون : إن بيوتنا عورة ، ونفر ينقد الأمر الصادر ويحاول أن يتلمس لنفسه صداما لكى يخرج من الدعوة خروجا مسرحيا ، هؤلاء جميعا يجب - وأقول يجب - على الإخوان أن يعاملوهم بمنتهى الكياسة وأن يسهلوا لهم طريق الخروج إذا أرادوا وأن لا يخرقوا عليهم سترا ، وواجب آخر : علينا أن ندرك قوة الأفراد الحقيقية فلا نكلف الأيام ضد طباعها " (٣٥٨) .

والكاتب بذلك يقلل من قيمة المنشقين ويهون على الأعضاء خروجهم ، بل يعبر عن سعادته لهذا الخروج باعتبار أنهم لا خير فيهم للدعوة بل فى خروجهم تنقية لها وتقوية .



هوامش الكتاب

١- حسن البنا : الرسائل الثلاث : دعوتنا ص ١٠-١١

٢-اعتبر الأستاذ عمر التلمساني أن نشرة القانون الأساسي واللائحة هي الرسالة الأولى للإمام الشهيد في كتاب "عمر التلمساني شاهدا على العصر" ص ١٩

٣-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣٨-١٣٩

٤-د. زكريا بيومي الإخوان المسلمون ص ٨٦

٥-حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣٩

٦- المرجع السابق ص ١٣٩-١٤٠

٧-يبدو أن اسمه محمد أفندى الشافعي لأن حسن البنا ذكر في مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٣٣ أن مكتب الإرشاد أصدر نشرة بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ عن انتقال المركز العام من الناصرية بالسيدة زينب الى العتبة الخضراء عمارة الأوقاف رقم ٥ وفي النشرة ذكر أنه نفس عنوان الجريدة الجديد كما ذكر أن صاحب الجريدة ومديرها هو محمد أفندى الشافعي ولكن أحمد عالد كمال في كتابه النقط فوق الحروف الإخوان المسلمون والنظام الخاص يقول إن صاحب امتيازها في أول ما ظهرت هو الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد المرشد

٨- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٤٠

٩-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص١٤١-١٤٣ ، والنذير العدد الأول مايو ١٩٣٨

١٠- حسن البنا : المنار الجزء الخامس المجلد ٣٥ في غرة جمادى الثانية ١٣٥٨ هـ ١٨ يولية ١٩٣٩م ص ٣-٧

١١-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٥٤ ، مجلة المنار الجزء الخامس مجلد٣٥ في ١٨ يوليو ١٩٣٩

١٢- يذكر د. ميتشيل في كتابه ج٢ ص٥٧ أن هذه الجريدة استمرت أربع سنوات والحقيقة أنها استمرت في الصدور أكثر من ست سنوات من أغسطس ١٩٤٢ إلى ديسمبر ١٩٤٨ وهو تاريخ حل الجماعة

١٣- مجلة الإخوان المسلمون أسبوعية العدد ٢٠ السنة الثالثة في ٢٢ رمضان ١٣٦٤ هـ-٣٠ أغسطس ١٩٤٥ م

١٤- أحمد عادل كمال : النقط فوق الحروف الإخوان المسلمون والنظام الخاص ص ١٠٠

١٥-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٦١٩ السنة الثالثة ٢٧ جمادى الاخرة ١٣٦٧هـ ٦ مايو ١٩٤٨ م ص١

١٦- محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص ٥٢

١٧-حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية ص ١٧٧

١٨- المرجع السابق ص ٢٣٣

١٩- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ٢٠ السنة الثالثة في ٢٢ رمضان ١٣٦٤ هـ ٣٠ أغسطس ١٩٤٥م

٢٠- د. ريتشارد ميتشيل الإخوان المسلمون ج٢ ص ٦٢-٦٣

٢١- د. ريتشارد : الإخوان المسلمون ج٢ ص ٦٤-٦٥

٢٢- مجلة النذير العدد الثاني السنة الأولى في ٦ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ ص١٣

٢٣- مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية العدد ٢٢١ السنة السادسة في ١٢ محرم ١٣٦٨هـ ١٣ نوفمبر ١٩٤٨م والمقال لعبد العزيز كامل ص ٤-٥

٢٤-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣٦-١٣٨

٢٥- حسن البنا : حديث الثلاثاء الطريق إلى الجنة مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١١٨ السنة الرابعة في ١٨ شوال ١٣٦٥هـ ١٤ سبتمبر ١٩٤٦

٢٦- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٧٣

٢٧-حسن البنا حديث الثلاثاء ص ٢٨١ تحت عنوان "في سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه" ٤

٢٨- المرجع السابق ص ٤٢٤ تحت عنوان " موقف الإسلام من الأكوان"

٢٩- حسن البنا : حديث الثلاثاء ص١٧٩ بعنوان "إني أعلم ما لا تعلمون" مجلة الإخوان المسلمون" الأسبوعية العدد ١٥٦ السنة الخامسة ٢٥ رجب ١٣٦٦ ١٤ يونيو ١٩٤٧ بعنوان في سيرة سيدنا عثمان

٣٠- حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٨٩
٣١- حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٢٨٥
٣٢- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٠٢ السنة الرابعة فى ١٦ جمادى الثانية ١٣٦٥ ١٨ مايو ١٩٤٦
٣٣- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٧٢١ السنة الثالثة فى ٤ ذو القعدة ١٣٦٧ - ٧ سبتمبر ١٩٤٨ من خطاب المرشد العام فى حفل المركز العام بمناسبة مرور عشرين عاما على تأليف أول شعبة بالاسماعيلية ص٧،١
٣٤- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٥١٣ السنة الثانية الجمعة ٢٠ صفر ١٣٦٧ - ٢ يناير ١٩٤٨ بعنوان حديث الأربعاء أربعة أدلة لحسن البنا ص١
٣٥- مجلة الإخوان المسلمون أسبوعية العدد ١٢١ السنة الرابعة ٩ ذو القعدة ١٣٦٥ - ٥ اكتوبر ١٩٤٦
٣٦- مجلة الإخوان المسلمون أسبوعية العدد ١٠٢ السنة الرابعة فى ١٦ جمادى الثانية ١٣٦٥ - ١٨ مايو ١٩٤٦ ص١٦-١٧
٣٧-حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٩٦-٩٨
٣٨- حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٢٣٦
٣٩- مجلة الإخوان المسلمون أسبوعية العدد ١٥٦ السنة الخامسة ٢٥ رجب ١٣٦٦ - ١٤ يونيو ١٩٤٧ حديث الثلاثاء نظرات فى كتاب الله لحسن البنا ص ١٢
٤٠- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٣٤-٣٥
٤١- د. ميتشيل : الإخوان المسلمون ج٢ ص ٧٠-٧٢
٤٢- د. محمد السيد الوكيل : كبرى الحركات الإسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى ص ٥٧-٥٨
٤٣- محمد شلبى : حسن البنا إمام وقائد ص ٢٣،٢٢ وانظر كيف تدعو الناس لعبد العزيز صقر عن الامام الشهيد
٤٤- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا .؟ ص ٥٥
٤٥- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص٧٢ انظر حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية ص ١١٥ وانظر أنور الجندى : الإخوان المسلمون فى ميزان الحق ص ٢٨ وانظر الإخوان المسلمون فى الميزان
٤٦- د. ميتشيل : الإخوان المسلمون ج٢ ص ٧٦-٧٧
٤٧- النذير العدد الثانى فى ٨ محرم ١٣٥٨ السنة الثانية ص ٢٤،٢٣
٤٨- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ص ٧١
٤٩- صلاح عيسى : فى مقدمته لكتاب الإخوان المسلمون للدكتور ميتشيل ص ٢١-٢٢
٥٠- د. زكريا بيومى : الإخوان المسلمون ص ٨٩
٥١- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣٨
٥٢-جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ٣٠ السنة الاولى فى ١٥ ذى القعدة ١٣٥٢ ص ١-٣
٥٣-جريدة الإخوان المسلمون العدد ٤٠ السنة الخامسة فى ٧ صفر ١٣٥٧ - ٨ابريل ١٩٣٨ ص١-٢
٥٤- جريدة الإخوان المسلمون العدد ٢٧ السنة الثانية ٣٠ رجب ١٣٥٣ - ٨ نوفمبر ١٩٣٤ من مقال "هل نحن قوم عمليون" ص٣-٥ لحسن البنا وانظر جريدة الإخوان المسلمون العدد ٤١ فى ١٤ صفر ١٣٥٧ هـ - ١٥ ابريل ١٩٣٨ السنة الخامسة من مقال بعنوان المنهاج الحق بدون توقيع وهو نفس المقال السابق ص ١-٣
٥٥- جريدة الإخوان المسلمون العدد ٣١ السنة الاولى ٢٢ ذى القعدة ١٣٥٢ تحت عنوان المنهج ص١
٥٦- جريدة الإخوان المسلمون العدد ١٨ السنة الثانية ٩ سبتمبر ١٩٣٤ ص٥
٥٧- الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج١ المقدمة ص ١١٥-١١٦
٥٨- المرجع السابق ص ١٦٠
٥٩- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣٩
٦٠- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٦٩،١٨٩
٦١- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥،١٩٥٢ ص ٥٣
٦٢-د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص ٦٨،٦٩
٦٣- د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون ص ٨٩

٦٤- محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص ١٢٠-١٢١
٦٥-حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية ص ٢١٨-٢٢٠، وانظر جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ٣٥ السنة الرابعة في ٢٤ رمضان ١٣٥٥ - ٨ ديسمبر ١٩٣٦ ص ٦-٧ + د. رءوف شلبي : الشيخ حسن البنا ومدرسته الإخوان المسلمون ص ٤٠٧-٤٠٨ + المرجع السابق
٦٦- حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٤٩١-٤٩٣
٦٧- حسن البنا : حديث الثلاثاء ص ٤٨٥،٤٨٦،٤٨٩
٦٨- النذير العدد ٣٤ السنة الأولى في ٣ ذي الحجة ١٣٥٧ من مقال بعنوان في صميم الدعوة لحسن البنا ص ١١-١٢
٦٩-حسن البنا : رسالة المؤتمر الخامس من مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص ١٦١
٧٠-طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥،١٩٥٢ ص ٣٧٤
٧١-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٩ (مقدمة لحسن البنا)
٧٢- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٩٣ نقلها عن السيد محمد عشماوي تاريخ الفكر السياسي المصري ١٩٥٢/٤٥ وهي رسالة دكتوراه غير منشورة ص ٢٠٥
٧٣- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص ٩٣
٧٤- طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص ٣٧٤
٧٥-عمر التلمساني شاهدا على العصر لابراهيم قاعود ص ٣٨
٧٦-عمر التلمساني شاهدا على العصر لابراهيم قاعود ص ٣٩
٧٧- محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٨٤
٧٨- هذا الاعتراف يعني أن حسن البنا كان يتعامل مع الدعوة والجماعة وكأنها ملكية خاصة به لا هيئة عامة
٧٩- عباس السيسي : حسن البنا : مواقف في الدعوة والتربية ص ١٤٥-١٤٧
٨٠-طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص ٥٣
٨١-حسن البنا : "بين الأمس واليوم" من مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص ١٤٤
٨٢-طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ص ٥٤
٨٣-حسن البنا من مجموعة رسائله ص ٨٧
٨٤-طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص ٥٤
٨٥-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٦١، ٢٦٣
٨٦-حسن البنا : بين الامس واليوم من مجموعة رسائل الامام الشهيد ص ١٤٢-١٤٣
٨٧- طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص ٥٤-٥٥
٨٨-حسن البنا : مجموعة رسائل الامام الشهيد ص ٨٤-٨٧
٨٩- طارق البشرى الحركة السياسية ص ٧٢ ، مذكرات الدعوة والداعية ص ١١٥، أنور الجندي : الإخوان المسلمون في ميزان الحق ص ٢٨ والإخوان المسلمون في الميزان
٩٠- حسن البنا : مجموعة الرسائل ص٩٩ ، د. محمد السيد الوكيل : كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري ص ٥١
٩١-حسن البنا : مجموعة رسائل الامام الشهيد ص ٣٣-٣٤
٩٢- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٢٦-٢٢٨
٩٣- مجلة الإخوان المسلمون العدد ٣٠ السنة الثانية أسبوعية في ٢١ شعبان ١٣٥٣ - ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤ ص ٣-٤
٩٤- محسن محمد : من قتل حسن البنا ؟ ص ٣٦٣
٩٥- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ١٩٠ السنة الأولى في ٢٣ محرم ١٣٦٦هـ - ١٧ ديسمبر ١٩٤٦ م
٩٦- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ١٠١ السنة الأولى ٥ شوال ١٣٦٥ هـ - أول سبتمبر ١٩٤٦ ص١
٩٧- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص ٩٣-٩٤
٩٨- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٨٨-٨٩ نقلها عن محكمة الشعب الجزء الأول ص٦٣ والسادس ص١٢٠٨ المحاكمات التي تمت من ٢٢ إلى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٤
٩٩-جابر رزق : الأسرار الحقيقية لاغتيال حسن البنا ص ١٦-١٧

١٠٠-مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٩٢ السنة السادسة ١٦ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ ٢٧ مارس ١٩٤٨ ص ٨-٩

١٠١- مجلة الإخوان المسلمون الأعداد ١٩٨،٢٠٢،٢١٤،٢١٧،٢١٨،٢١٩،٢٢١،٢٢٢ السنة السادسة فى الفترة من ٨ مايو ١٩٤٨ إلى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨

١٠٢- حسن البنا : مجموعة رسائل الامام الشهيد - رسالة المؤتمر الخامس ص ١٥٨

١٠٣- الأهرام فى ١٩٩٠/٥/١٨ ص٦ المقال بقلم هالة مصطفى

١٠٤- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص ٩٤-٩٦ ، وانظر أيضا : أنور الجندى : الإخوان المسلمون فى ميزان الحق ص٢٨ ، الإخوان المسلمون : د. ميتشيل ص٢٨ ، محمد جلال : مصريون لا طوائف ص٦١ ، صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ص٤٨ دار المعارف - القاهرة

١٠٥- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ص ٤٩

١٠٦-طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٥٢/٤٥ ص ٥٤،٦١،٦٢

١٠٧- محسن محمد : من قتل حسن البنا ؟ ص ٣٦٤

١٠٨- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٥٢/٤٥ ص ٣٦٨

١٠٩-يقول بهذا الرأى د. زكريا بيومى فى كتابه الإخوان المسلمون ص٨٨

١١٠-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٥٢ السنة الأولى ٤شعبان سنة١٣٦٥هجرى ٣يوليه سنة١٩٤٦ ص٤

١١١-الأهرام فى ١٩٨٧/٩/٧ تحت عنوان "صندوق الدنيا: بحث فى التاريخ "بقلم أحمد بهجت

١١٢-المستشار محمد سعيد العشماوى الإسلام السياسى ص٥٨

١١٣-هو الدكتور زكريا بيومى فى كتابة الإخوان المسلمون ص٨٧

١١٤-د. زكريا بيومى يذكر أنهم عارضوها فى كتابه "الإخوان المسلمون" ص٨٨ والدكتور عبد العظيم رمضان يذكر أنهم أيدوها فى كتابه تطور الحركة الوطنية ص ٣١٥،٣١٦

١١٥-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ١٨٦ السنة الأولى فى ١٨ المحرم سنة١٣٦٦هجرى ١٢ ديسمبر سنة١٩٤٦ ص٣-٤

١١٦-مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية العدد ٧٠(٢٢) السنة الثالثة فى ١٤ شوال سنة١٣٦٤ هجرى ٢٠ سبتمبر سنة١٩٤٥م

١١٧-جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية العدد ١٣٩ السنة الأولى فى ٢٠ من ذى القعدة سنة١٣٦٥هجرى- ١٥ اكتوبر سنة١٩٤٦م

١١٨-جريدة النذير العدد الأول ٣٠ربيع الأول سنة١٣٥٧ هجرى مايو سنة١٩٣٨

١١٩-مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص١٤١-١٤٢

١٢٠-د زكريا بيومى الإخوان المسلمون ص٨٨-٨٩

١٢١-مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا - الإخوان المسلمون تحت راية القران ص ١٠٤

١٢٢-بين الأمس واليوم مجموعة الرسائل ص١٤٠ ، د. محمد عمارة الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ص٤٩ .

١٢٣-حسن البنا :مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٣٠-٢٣٢

١٢٤-مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية العدد ٧٠(٢٢)السنة الثالثة فى ١٤ شوال سنة١٣٦٤هجرية الموافق ٢٠ سبتمبر سنة١٩٤٥ م من كلمة المرشد فى مؤتمر مندوبى الشعب فى ٨ سبتمبر سنة١٩٤٥

١٢٥-مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص١٦٢

١٢٦-طارق البشرى:الحركة السياسية فى مصر ١٩٥٢/١٩٤٥ ص ٤٨-٤٩

١٢٧-.جورج كيرك موجز تاريخ الشرق الأوسط - ترجمة عمر السكندرى ص٣٤ نقلا عن د. رفعت السعيد :حسن البنا :متى كيف ولماذا ؟ص ١٠٦

١٢٨-د.رفعت السعيد: المصدر السابق ص١٠٦

١٢٩-د.رفعت السعيد. حسن البنا متى كيف ولماذا؟ ص١٠٨

١٣٠-عبد المتعال الجبرى : لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا ؟ ص ٨٥

١٣١-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٥٠ السنة الأولى ٢ شعبان ١٣٦٥هـ ١ يولية ١٩٤٦

١٣٢- المرجع السابق

١٣٣- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ١٠١ السنة الأولى فى ٥ شوال ١٣٦٥ ١ سبتمبر ١٩٤٦

١٣٤-الإخوان المسلمون العدد ٧٠ السنة الثالثة فى ١٤ شوال ١٣٦٤هـ ٢٠ سبتمبر ١٩٤٥

١٣٥-مجلة الإخوان المسلمون نصف شهرية العدد ١٦ السنة الثالثة فى ١٧ شعبان ١٣٦٤هـ ٢٦ يوليو ١٩٤٥م ص٤

١٣٦-مجلة الإخوان المسلمون نصف شهرية العدد ٧ السنة الثالثة فى ٣ ربيع الثانى ١٣٦٤هـ ١٧ مارس ١٩٤٥

١٣٧- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٧١٩ السنة الثالثة الأحد ٢ ذو القعدة ١٣٦٧ هـ ٥ سبتمبر ١٩٤٨

١٣٨- محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج٢ ص ٣٣٧-٣٤١

١٣٩-البلاغ : جريدة يومية فى ١٩٤٧/٤/٢٣

١٤٠-المصور العدد رقم ٣٤٢٨ فى ٢٢ يونية سنة ١٩٩٠

١٤١-د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٥٥-٥٦، مذكرات الدعوة والداعية ص ٩،٩٦،١٣٨

١٤٢-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص ١٣٣

١٤٣-جريدة البلاغ يومية فى ١٩٤٧/٤/٢١ ص٢

١٤٤-جريدة صوت الأمة فى ١٩٤٧/٤/٢١ ص٤

١٤٥-جريدة البلاغ العدد ٧٧٤٥ السنة الخامسة والعشرون ٢٩ ربيع الأول ١٣٦٦، ٢٠ فبراير ١٩٤٧ ص٢

١٤٦-جريدة البلاغ يومية فى ٢٣ فبراير ١٩٤٧ ص٢

١٤٧-جريدة البلاغ يومية فى ٢٤ فبراير ١٩٤٧

١٤٨-البلاغ جريدة يومية فى ٢٥ فبراير ١٩٤٧

١٤٩-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٦٥١ السنة الثالثة فى ٥ شعبان ١٣٦٧هـ ١٣ يونية ١٩٤٨ ص٢ ومجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ٢٠٤ السنة السادسة ١٢ شعبان ١٣٦٧هـ ١٩ يونية ١٩٤٨ م ص١٨

١٥٠-عمر التلمسانى شاهدا على العصر لابراهيم قاعود ص ١٦٨

١٥١-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٣١٠-٣١١

١٥٢-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٧١٩ السنة الثالثة فى ٢ ذو القعدة ١٣٦٧هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٤٨ ص٧،١٠

١٥٣-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٥٢ السنة الأولى ٤ شعبان ١٣٦٥هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٤٦ ص٤

١٥٤- المرجع السابق العدد ٧١٩ السنة الثالثة فى ٢ ذو القعدة ١٣٦٧هـ ٥ سبتمبر ١٩٤٨ م ص٧،١٠

١٥٥- المصدران السابقان + محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٣١٤-٣١٥

١٥٦- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٥٢ السنة الأولى ٣ يوليه ١٩٤٦ ومجلة الإخوان الأسبوعية العدد ١٨ فى ٩ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ ١٢ يونية ١٩٤٣ السنة الأولى

١٥٧-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٣٠١-٣٠٨

١٥٨-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج٢ ص١٢١-١٤٠

١٥٩-رسالة المؤتمر الخامس من مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص ١٥٠-١٥٢

١٦٠-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٩٥

١٦١-مذكرات الدعوة والداعية لحسن البنا ص١٥٤ ، د. زكريا بيومى الإخوان المسلمون ص٨٧

١٦٢-النذير العدد ٣٢ السنة الأولى فى ١١ من ذى القعدة ١٣٥٧ هـ

١٦٣-الهلال - ابريل ١٩٧٧ رأى كاتب امريكى وهو روبير جاكسون فى حسن البنا + د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ص٤٧-٤٨

١٦٤-محمد شلبى : حسن البنا إمام وقائد ص١٢،١٣

١٦٥-عمر التلمسانى :الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل ص١٨

١٦٦-د. عبد العظيم ابراهيم المطعنى : مكاتبات مطوية تنشر لاول مرة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية ص٣٨

١٦٧-محمد شلبى : حسن البنا إمام وقائد ص١١

١٦٨- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٤٦

١٦٩-عمر التلمسانى : الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل ص ١٠٤
١٧٠- المرجع السابق ص ١٠٠
١٧١- الهلال ابريل ١٩٧٧ رأى كاتب أمريكى فى حسن البنا بقلم روبير جاكسون - ترجمة أنور الجندى ، د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٤٦
١٧٢-طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص٦٩-٧٠
١٧٣-ابراهيم قاعود : عمر التلمسانى شاهدا على العصر ص٢٩
١٧٤- المرجع السابق ص ٤١-٤٣
١٧٥- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٤١
١٧٦-د. ميتشيل : الإخوان المسلمون ج١ ص٣٠٢
١٧٧- الهلال مايو ١٩٧٧ حسن البنا فى رأى كاتب أمريكى . ترجمة أنور الجندى ص١١٢-١١٩
١٧٨-ابراهيم قاعود : عمر التلمسانى شاهدا على العصر ص ٢٩
١٧٩-محمد شوقى زكى : الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ٢٢،٢٣
١٨٠-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٧٣
١٨١-احمد عادل كمال : النقط فوق الحروف الإخوان المسلمون والنظام الخاص ص٣٤،٣٥
١٨٢-ابراهيم قاعود : عمر التلمسانى شاهدا على العصر ص ٣٧،٣٨
١٨٣- عمر التلمسانى : الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل ص١٠٢ + رفعت السعيد حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٨٠
١٨٤- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٦٤
١٨٥- N.safram - EGYPT In Seerch of Political Community ١٩٦١ PP.202
نقلا عن د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٦٥
١٨٦-ليوناردو بايندر الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط - تعريب خيرى حماد - دار العلم القاهرة ١٩٦٦ ص٧٨ نقلا عن رفعت السعيد ص٦٥
١٨٧-رفعت السعيد ص٦٥
١٨٨-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص١٣٢
١٨٩- د. ريتشارد ب.ميتشيل : الإخوان المسلمون ج٢ ص٣٣٩-٣٤٢
١٩٠-حسن البنا مواقف فى الدعوة والتربية لعباس السيسى ص٢٤٧-٢٥٠
١٩١-د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٨٠،٨١
١٩٢-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٣٤٦-٣٤٨
١٩٣-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٧١٩ السنة الثالثة فى ٢ من ذى القعدة ١٣٦٧هـ ٥ سبتمبر ١٩٤٨ عدد خاص ص١،٤
١٩٤-محسن محمد : من قتل حسن البنا ؟ ص ٣٦٤
١٩٥-د. ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون ج٢ ص ٣٣٨
١٩٦-د. ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون ج١ ص٤١
١٩٧-د. ميتشيل : الإخوان المسلمون ص١٨٢
١٩٨- د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٧٦-٧٧
١٩٩-جريدة النذير العدد ٢٠ السنة الأولى فى ١٦شعبان ١٣٥٧ تحت عنوان "هذه خديجة عصرها فأين أبو بكر وعمر ؟ "
٢٠٠-مذكرات الدعوة والداعية لحسن البنا ص٢٤٠
٢٠١-حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص٢٣٩-٢٤٠
٢٠٢- المرجع السابق ص ٢٢٩
٢٠٣- المرجع السابق ص ١٢
٢٠٤- المرجع السابق ص١٨
٢٠٥- المرجع السابق ص ٢٠
٢٠٦- المرجع السابق ص ٢٨
٢٠٧- المرجع السابق ص ٢٨-٢٩
٢٠٨- المرجع السابق ص ٥١
٢٠٩- المرجع السابق ص ٥٥-٥٦
٢١٠- المرجع السابق ص ٦٥
٢١١- المرجع السابق ص ٦٧
٢١٢- المرجع السابق ص ٧٢
٢١٣- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص٦٩-٧٠
٢١٤-د. رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٥٣ ، طارق البشرى : الحركة

السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص٦٠-٦١ + أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ص٦٦-٦٧ ، د. اسحق موسى الحسينى : الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية ص١١٤

٢١٥- رفعت السعيد المصدر السابق ص٥٣

٢١٦- حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية ص ١٩٢

٢١٧- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص٦٠

٢١٨- د. ميتشيل : الإخوان المسلمون ج٢ ص٢٨٩

٢١٩- حسن البنا : من رسالة التعاليم مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص٢٧٤

٢٢٠- محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص١٦٨-١٧٠

٢٢١- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص٦٣

٢٢٢- رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٤٦

٢٢٣- المرجع السابق ص ٤٨

٢٢٤-طارق البشرى الحركة السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص٦٣

٢٢٥- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣١-١٣٢

٢٢٦- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص١٣٣

٢٢٧- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص٦٣

٢٢٨- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ١١٣-١١٦

٢٢٩- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص١٢٥

٢٣٠- رفعت السعيد : حسن البنا متى .. كيف ولماذا ؟ ص٦٤

٢٣١- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥/١٩٥٢ ص٣٧٣

٢٣٢- المرجع السابق ص ٤٨-٤٩

٢٣٣- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص ٦٣-٦٤

٢٣٤- محمد عبد الله السمان : حسن البنا الرجل والفكرة ص٩٤،٩٦

٢٣٥-طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص٣٧٣

٢٣٦-د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى : ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية ص٧١-٧٤

٢٣٧- المرجع السابق ص٥٧-٥٩

٢٣٨-من رسائل البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية : د. عبد العظيم ابراهيم المطعنى ص٧١

٢٣٩- حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص١٣٣

٢٤٠- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ٤٥/١٩٥٢ ص٧٤

٢٤١- محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج٢ ص١١ "المقدمة"

٢٤٢-د. ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون ج٢ ص٢٩١،٢٩٤

٢٤٣- المرجع السابق ص ٦٣

٢٤٤-طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ -١٩٥٢ ص٥٩،٦١ ، حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص١١٣-١٢٥ ، د. زكريا بيومى الإخوان المسلمون ص٢٧٦

٢٤٥-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٢٠٢-٢٠٤

٢٤٦-مجلة النذير العدد الثانى السنة الأولى فى ٦ ربيع الثانى ١٣٥٧ هـ ص٢٦

٢٤٧- مجلة النذير العدد الرابع السنة الأولى فى ٢١ ربيع الثانى ١٣٥٧ هـ ص٧

٢٤٨- محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٢٠٥،٢٠٦،٢٠٢،٢٠٩

٢٤٩- المرجع السابق ص ٢٠٠-٢٠١

٢٥٠- المرجع السابق ص ٢١٠

٢٥١- حسن البنا : مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص١٦١

٢٥٢- النذير العدد ٩ السنة الثالثة فى ٢ ربيع أول ١٣٥٩ هـ (١٠/٤/١٩٤٠) + نفس المصدر العدد ٦٠ فى ٢٢ ربيع أول ١٣٦٠ هـ ٢٠ ابريل ١٩٤١ نقلا عن د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون ص١٣٢

٢٥٣- منهاج الدعوة النشرة الأولى لجماعة شباب محمد نقلا عن د. زكريا بيومى الإخوان المسلمون ص١٣٢

٢٥٤- نفس المرجع السابق ص١٣٣

٢٥٥- النذير العدد الأول أول محرم ١٣٥٩ ، ٩ فبراير ١٩٤٠ م السنة الثالثة ص٣،٢

٢٥٦-عباس السيسي : حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية ص١٥٤-١٦٠

٢٥٧- النذير العدد الثالث من السنة الثالثة في ١٦ محرم ١٣٥٩هـ - ٢٤ فبراير ١٩٤٠ م ص١،٢

٢٥٨- النذير العدد الثاني من السنة الثالثة في ٨ محرم ١٣٥٩ هـ - ١٦ فبراير ١٩٤٠م ص١

٢٥٩- د. زكريا بيومي : الإخوان المسلمون ص٢٨٠

٢٦٠- د. زكريا بيومي : الإخوان المسلمون ص٢٨٠ ، ريتشارد ميتشيل : الاخوان المسلمون ج١ ص٥٠

٢٦١- ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون ج١ ص٤٩

٢٦٢- طارق البشري: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ص ٤٨،٤٩

٢٦٣- د. زكريا بيومي : الإخوان المسلمون ص٢٨١-٢٨٢ ، النذير ٢ ربيع أول ١٣٥٩ ١٠/٤/١٩٤٠ وهو العدد التاسع من السنة الثالثة

٢٦٤-النذير في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٦٠ هـ ، نوفمبر ١٩٤١ ، د. زكريا بيومي "الإخوان المسلمون" ص ٢٨١-٢٨٢

٢٦٥- النذير العدد الثاني من السنة الثالثة ٨ محرم ١٣٥٩هـ ١٦ فبراير ١٩٤٠ ص٤

٢٦٦- النذير العدد الرابع من السنة الثالثة في ٢٣ محرم ١٣٥٩هـ ٢ مارس ١٩٤٠ ص٣

٢٦٧-النذير ٧ محرم ١٣٦٤ نقلاً عن د. زكريا بيومي : الإخوان المسلمون ص٢٨٢

٢٦٨- النذير ١٤ محرم ١٣٦٤ المرجع السابق ص ٢٨٢ + تقارير الأمن العام ٢٠٢٠ سري سياسي وثيقة ١٣٢

٢٦٩-د. عبد العظيم ابراهيم المطعني : مكاتبات مطوية تنشر لاول مرة - الرسالة رقم ١٠ ص ٥٠

٢٧٠- المرجع السابق ٤ ص ٢٥

٢٧١- د. عبد العظيم ابراهيم المطيعي - مكاتبات مطوية تنشر لأول مرة الرسالة رقم ١٣ ص ٦٥،٦٦

٢٧٢- المرجع السابق ١٧ ص ٨٤٣

٢٧٣- المرجع السابق ١٤ مؤرخة في ٢١ صفر ١٣٥٩ هـ ص٦٨

٢٧٤- د. زكريا بيومي : الإخوان المسلمون ص١٣٤-١٣٧

٢٧٥- د. زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون ص ٢٨٢-٢٨٤

٢٧٦- الوفد المصري : يومية العدد ٢٤٣٠ السنة السابعة الصادر في يوم الأحد ٣ جمادى الثاني ١٣٦٥ ٥ مايو ١٩٤٦ ص٣

٢٧٧- جريدة الوفد المصري في ٧/٥/١٩٤٦ ص٣،٤

٢٧٨- المرجع السابق ١١/٥/١٩٤٦ ص ٣،٤

٢٧٩- المرجع السابق ٢٠/٥/١٩٤٦ ص٤

٢٨٠- المرجع السابق ٢٤/٥/١٩٤٦ ص٤

٢٨١- المرجع السابق ٢٧/٥/١٩٤٦ ص٤

٢٨٢- جريدة البلاغ اليومية الصادرة في ٢٢/٤/١٩٤٧ ص٣

٢٨٣- جريدة البلاغ اليومية الصادرة في ٢٣ ابريل ١٩٤٧ م ص٢

٢٨٤- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٤٤٣ السنة الثانية الأحد ٢٧ ذو القعدة ١٣٦٦ هـ ١٢ اكتوبر ١٩٤٧ ص٦

٢٨٥- وقد نشرت جريدة الإخوان المسلمون اليومية في عددها ١٢٣ السنة الأولى في أول ذي القعدة ١٣٦٥هـ ٢٦ سبتمبر ١٩٤٦م في برواز صغير في صفحة ٢ أن مكتب الإرشاد العام قرر في جلسته المنعقدة أمس باتخاذ الإجراءات القانونية ضد مجلة الحوادث بخصوص ما نشرته منسوبا إلى الأستاذ عبد الحكيم عابدين بتاريخ الأربعاء ١٨/٩/١٩٤٦ واستنكار ما نشره الدكتور ابراهيم حسن بهذه المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢٥/٩/١٩٤٦ وعرض الأمر على الهيئة التأسيسية في اجتماعها القادم . السكرتير العام عبده قاسم .

٢٨٦- جريدة البلاغ العدد ٧٧٩٣ لسنة الخامسة والعشرون في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ ١٩ ابريل ١٩٤٧ ص١،٤

٢٨٧- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٢٩٥ السنة الاولى في ٢٨ جماد أول ١٣٦٦هـ ٢٠ ابريل ١٩٤٧ ص١

٢٨٨- جريدة البلاغ اليومية في ٢٠ ابريل ١٩٤٧ ص٣ بعنوان "شيخ الإخوان يعترف "

٢٨٩- البلاغ في ٢٦/٤/١٩٤٧ ص٢

٢٩٠-صوت الأمة في ٢٤/١٠/١٩٤٧ ص٢

٢٩١-جريدة صوت الأمة العدد ٣٨٥ السنة الثانية في ١٩/١٠/١٩٤٧ تحت عنوان "كيف تستر الشيخ البنا على فضائح صهره" ص ٣

٢٩٢- صوت الأمة في ٢٨/١٠/١٩٤٧ ص٤

٢٩٣- صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/١٠ ص٣
٢٩٤- جريدة البلاغ فى ١٩٤٧/٤/٢٢ ص٣
٢٩٥- جريدة البلاغ فى ١٩٤٧/٣/٦ ص٢
٢٩٦-مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٤١ السنة الخامسة فى ٨ ربيع الثانى ١٣٦٦هـ ١ مارس ١٩٤٧ ص٣
٢٩٧- الوفد المصرى فى ١٩٤٦/٥/٢١ ص٣،٤
٢٩٨- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ١٦ السنة الأولى ٢١ جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ ٢٢ مايو ١٩٤٦ ص٤
٢٩٩- الوفد المصرى فى ١٩٤٦/٥/٢٦ ص٣
٣٠٠-صلاح شادى : صفحات من التاريخ - حصاد العمر ص١٠،١١ من مقدمة الكتاب
٣٠١-محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٢٦٩-٢٧٦
٣٠٢-محمود عبد الحليم الإخوان المسلمون : أحداث صنعت التاريخ ج١ ص٤٦٧-٤٧١
٣٠٣- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٢٢ السنة الرابعة فى ١٧ ذو القعدة ١٣٦٥ هـ ١٢ اكتوبر ١٩٤٦ ص٩
٣٠٤- جريدة البلاغ اليومية العدد ٧٧٩٣ السنة الخامسة والعشرون فى ٢٧ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ ١٩ ابريل ١٩٤٧ ص١،٤
٣٠٥- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٢٩٥ السنة الأولى فى ٢٨ جماد أول ١٣٦٦هـ ٢٠ ابريل ١٩٤٧ ص١
٣٠٦- هذه نغمة جديدة لم تعهد قبل ذلك فالمعروف من الناحية الرسمية والقانونية أن مكتب الإرشاد ينتخبه أعضاء الهيئة التأسيسية ولا يعين من قبل المرشد العام ولذا فلا محل للقول بأنه تنازل عن حقه فى اختيار أعضاء المكتب للهيئة التأسيسية
٣٠٧- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٢١١ السنة الأولى فى ١٩ صفر ١٣٦٦هـ ١١ يناير ١٩٤٧م ص٢
٣٠٨- جريدة الإخوان المسلمون العدد٢٢٢ السنة الأولى غرة ربيع الأول ١٣٦٦ هـ ٢٣ يناير ١٩٤٧ ص١
٣٠٩- مجلة الإخوان المسلمون الاسبوعية العدد ١٤١ السنة الخامسة فى ٨ ربيع الثانى ١٣٦٦هـ ١ مارس ١٩٤٧ م ص٣
٣١٠- صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/١٠ ص٢ فى برواز على عمود واحد بعنوان "لوم الشيخ"
٣١١- البلاغ فى ٢ مارس ١٩٤٧ ص٢
٣١٢- البلاغ فى ٤ مارس ١٩٤٧ ص٢
٣١٣- صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/٨ ص٢ بعنوان إلى المرشد هل هذا صحيح ؟ فى برواز على عمود
٣١٤- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٤٢ السنة الخامسة فى ١٥ ربيع الثانى ١٣٦٦هـ ٨ مارس ١٩٤٧ ص١٨ تحت عنوان "إلى الإخوان العاملين"
٣١٥- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٢٦٧ السنة الأولى فى ٢٤ ربيع ثان ١٣٦٦هـ ١٧ مارس ١٩٤٧ م ص٢
٣١٦- صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/١٨ ص٣
٣١٧-صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/٢١ العدد ٢٠٣ السنة الأولى ص٣،٥ المقالة الأولى
٣١٨- صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/٢٢ ص٣ المقالة الثانية
٣١٩- صوت الأمة فى ١٩٤٧/٣/٢٦ ص٣
٣٢٠-مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٤٤ السنة الخامسة فى ٢٩ ربيع الثانى ١٣٦٦هـ ٢٢ مارس ١٩٤٧ ص١١ بقلم على قطب الشريف
٣٢١- جريدة البلاغ فى ١٩٤٧/٤/١٦ ص٣
٣٢٢- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٢٩٥ السنة الأولى فى ٢٠ ابريل ١٩٤٧ الموافق ٢٨ جماد أول ١٣٦٦ ص١
٣٢٣- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٢٩٧ السنة الأولى ٣٠ جماد أول ١٣٦٦هـ ٢٢ ابريل ١٩٤٧
٣٢٤- جريدة البلاغ اليومية فى ١٩٤٧/٤/٢٤ ص٣
٣٢٥- المصدر السابق
٣٢٦- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٥٢ السنة الخامسة فى ٢٦ جمادى الثانية ١٣٦٦هـ ١٧ مايو ١٩٤٧ ص١٣
٣٢٧- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٥٤ السنة الخامسة ١١ رجب ١٣٦٦هـ ٣١ مايو ١٩٤٧ ص١٢-١٣
٣٢٨- مجلة الإخوان المسلمون الاسبوعية العدد ١٥٣ السنة الخامسة فى ٤ رجب ١٣٦٦هـ ٢٤ مايو ١٩٤٧ ص٥
٣٢٩- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٥٤ السنة الخامسة فى ١١ رجب ١٣٦٦هـ ٣١ مايو ١٩٤٧ ص ٦

٣٣٠- جريدة صوت الأمة فى ١٩٤٧/١٠/١٨ ص٣

٣٣١- د. زكريا بيومى الإخوان المسلمون ص٢٨٥-٢٨٦

٣٣٢-جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٤٤٣ السنة الثانية فى ٢٧ من ذى القعدة ١٣٦٦هـ ١٢ اكتوبر ١٩٤٧ ص٦ ، جريدة صوت الأمة العدد ٣٧٨ السنة الثانية يوم ٢٦ من ذى القعدة ١٣٦٦هـ ١١ اكتوبر ١٩٤٧ ص٣ وأيضا جريدة الكتلة فى نفس التاريخ الأخير

٣٣٣-كان حسن البنا قد أرسل للسكرى خطابين الأول رسمى يفصله فيه والثانى يحدد فيه الأسباب التى دعته إلى فصله ويطلب فيه من السكرى أن يستقيل وإلا فلا مفر من قبول الخطاب الرسمى بالفصل .

٣٣٤- جريدة الإخوان المسلمون اليومية ٤٤٣ السنة الثانية فى ٢٧ من ذى القعدة ١٣٦٦ ، ١٢ اكتوبر ١٩٤٧ ص٦

٣٣٥- جريدة الإخوان المسلمون العدد السابق ص٦

٣٣٦- جريدة صوت الأمة فى ١٩٤٧/١٠/١٤ ص٣

٣٣٧- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٤٨٤ السنة الثانية فى ١٧ المحرم ١٣٦٧ هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ ص٢

٣٣٨- الجماهير فى ١٩٤٧/١٠/١٩ وما بعد هذا التاريخ نقلا عن د. زكريا بيومى الإخوان المسلمون ص٢٨٦

٣٣٩- صوت الأمة فى ١٩٤٧/١٠/١٥ ص٣

٣٤٠- صوت الأمة فى ١٩٤٧/١٠/١٣ ص٣

٣٤١- صوت الأمة فى ١٩٤٧/١٠/١٨ ص٣

٣٤٢- صوت الامة فى ١٩٤٧/١٠/٢٠ ص٣،٤،٥

٣٤٣- صوت الامة فى ١٩٤٧/١٠/٢١ ص٣

٣٤٤- صوت الامة في ١٩٤٧/١٠/٢٣ ص ٤

٣٤٥- صوت الامة فى ١٩٤٧/١٠/٢٨ ص ٤

٣٤٦- صوت الامة فى ١٩٤٧/١٠/٣١ ص ٣

٣٤٧- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٤٤٣ السنة الثانية الأحد ٢٧ ذو القعدة ١٣٦٦هـ ١٢ اكتوبر ١٩٤٧ م ص٦

٣٤٨- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٤٦٦ السنة الثانية الأحد ٢٦ ذو الحجة ١٣٦٦هـ ٩ نوفمبر ١٩٤٧ ص٣

٣٤٩- المرجع السابق العدد ٤٨٢ فى ١٤ المحرم ١٣٦٧ هـ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧ ص٥

٣٥٠- المرجع السابق العدد ٥٦٧ السنة الثانية فى ٢٤ ربيع الآخر ١٣٦٧ هـ ٥ مارس ١٩٤٨ ص١

٣٥١- المرجع السابق العدد ٥٩٠ السنة الثانية فى ٢١ جمادى الأولى ١٣٦٧ هـ ١ ابريل ١٩٤٨ ص٣

٣٥٢- جريدة الإخوان المسلمون اليومية العدد ٥١٩ السنة الثانية الجمعة ٢٧ صفر ١٣٦٧ هـ ٩ يناير ١٩٤٨ ص١،٥

٣٥٣- مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية العدد ١٨٥ السنة السادسة ٢٧ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ ٧فبراير ١٩٤٨ ص٣،٤

٣٥٤- المرجع السابق ١٨٦ فى ٤ ربيع الثانى ١٣٦٧ هـ ١٤ فبراير ١٩٤٨ ص١٢،١٣

٣٥٥- حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا ص ٨٩

٣٥٦- مجلة الإخوان المسلمون أسبوعية العدد ١٥٦ السنة الخامسة ٢٥ رجب ١٣٦٦ هـ ١٤ يونيو ١٩٤٧

٣٥٧- مجلة الإخوان المسلمون الإسبوعية العدد ٢٢١ السنة السادسة ١٢ محرم ١٣٦٨هـ ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ ص٤،٥

٣٥٨- المرجع السابق ٢٢٣ السنة السادسة ٢٦ محرم ١٣٦٨ هـ ٢

المحتويات





الإخوان المسلمون: هل هى صحوة إسلامية ؟

الجزء الثانى : حسن البنا والبناء الفكرى

الكتاب فى سطور

"ورغم أن حسن البنا يرفض الغرب ويرفض حضارته وكل منجزاته فقد نصح اتباعه بل واغراهم على الأخذ بوسائله فى الدعاية ....." .

"وذكر ان الدعاة اليوم مثقفون مدربون ولاسيما فى البلاد الغربية" .

"حدثت انشقاقات عديدة فى صفوف جماعة الإخوان المسلمين وكان لكل من هذه الانشقاقات أسبابه ومع ذلك فقد كان السبب الرئيسى والقاسم المشترك لهذه الانشقاقات هو انعدام الشورى وانفراد حسن البنا بالسلطة داخل التنظيم" .

المؤلف فى سطور

* من مواليد دكرنس - دقهلية ١٨/٨/١٩٢٩ .
* تعلم فى الأزهر وحصل على ليسانس كلية دار العلوم التربوى عام ١٩٥٨ بعد ان منع - أثناء دراسته به - من الامتحان عامين لأسباب سياسية .
* شارك فى حركة المقاومة الوطنية ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .
* عمل مدرسا ثم ناظرا ثم موجها أول للغة العربية والتربية الدينية الإسلامية ثم مدير إدارة التعليم الثانوى والإعدادى بإدارة مصر الجديدة التعليمية .
* نشرت له بعض الصحف المصرية والعربية عددا من المقالات والدراسات الإسلامية .
* هذه الدراسة (الإخوان المسلمين : هل هى صحوة إسلامية) كتب منها خمسة أجزاء وهى:
  * حسن البنا وبناء التنظيم (بهذا الجزء ملحق إحصائى لكل ما كتبه الشيخ حسن البنا) .
  * حسن البنا والبنا ء الفكرى .
  * الجماعة والعنف .
  * الجماعة وحركة التحرر الوطنى



تصدر هذه السلسلة عن مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
٤ ش ٩ ب - المعادى - ت : ٣٧٥٢٠٣٣
مدير المركز والمشرف على السلسلة: فريد زهران

هذه السلسلة تهتم اولا واخيرا بمصر فى مواجهة المناخ المشبوه الذى يحاول أن يتجاهل مصر وينفى عنها وجودها الحضارى المتميز ودورها الفريد فى المنطقة..بل وفى العالم بأسره